

وزارة المعارف العمومية

كتاب كليلة ودمنة

تأليف
بيدبا الفيلسوف الهندي

ترجمه الى العربية في صدر الدولة العباسية
عبد الله بن المقفع

فروت وزارة المعارف العمومية بتاريخ ٤ من ربيع الأول
سنة ١٣٢٠ (١٠ من يونيو سنة ١٩٠٢ رقم ٨٩٦)
طبع هذا الكتاب على نفقتها وتدرسه بالمدارس الأميرية

القاهرة
طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٧

فهرس كتاب كلىة ودمنة

صفحة	
١	خطبة الكتاب
٩	باب مقدمة الكتاب
٤٢	» بعثة برزويه إلى بلاد الهند
٥٨	» عرض الكتاب — ترجمة عبد الله بن المقفع
٧٤	» برزويه — ترجمة بزرجمهر بن البختگان
٩١	» الأسد والثور — وهو أول الكتاب
١٥٤	» الفحص عن أمر دمنة
١٧٧	» الحماسة المطوقة
٢٠٠	» البوم والغربان
٢٣٢	» القرد والغليم
٢٤٠	» الناسك وابن عرس
٢٤٤	» الجرذ والسِنور
٢٥٣	» ابن الملك والطائر فترة
٢٦٢	» الأسد والشغبر الناسك وهو ابن آوى
٢٧٤	» ايلاذ وبلاد وايراخت
٢٩٤	» اللبؤة والإسوار والشغبر
٢٩٩	» الناسك والضيف
٣٠١	» السائح والصائغ
٣٠٨	» ابن الملك وأصحابه
٣١٧	» الحماسة والتعلب ومالك الحزين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . وَخَصَّهُ دُونَ
الْمَخْلُوقَاتِ بِشَرَفِ التَّكْرِيمِ . وَوَهَبَ لَهُ عَقْلاً يَتَدَبَّرُ بِهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ مِنْ آيَاتٍ ، لِيَسْلُكَ بِإِرْشَادِهِ أَوْضَحَ الْمَحَجَّاتِ ، وَيَمْحُوَ
بُنُورِهِ ظُلُمَاتِ الرَّيْبِ وَالْإِلْبَاسِ ، قَائِلاً : وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ بَيْنِ مَعَالِمِ الْعِرْفَانِ ،
الْمُخْتَصِّ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ . وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ . (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ أُنْحَفَ
الْعَوَارِفِ ، وَاللُّطْفَ الْمَعَارِفِ ، عِلْمٌ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى صِدْقِ
الْفِرَاسَةِ ، وَيُسْتَنْبِطُ مِنْهُ حُسْنَ السِّيَاسَةِ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا لَاحَ
عَلَى صَفَحَاتِ ذَلِكَ الْوَجْهِ وَجَنَّةً ، كِتَابُ «كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ» ،
مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تُرِجِمَتْ فِي صَدْرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنَ اللُّغَةِ
الْأَعْمَمَةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، لِأَنَّهُ فِي ضَرْبِ السِّيَاسَةِ أَكْبَرُ آيَةٍ ،

النور على محمد الحور . ولذلك عكف على الاعتناء به أصناف

الناس ، فترجموه من العربية إلى لغاتهم من سائر الأجناس .
ثم آغلت نسخته بالعربية أيدي الدهور والأعصار ، وطار بها
من رياح الحوادث إعصار . فقيض الله صاحب الفتوح السنية ،
والهمة العلية العلوية ؛ حامى ذمار المسلمين والإسلام ،
ماد سرادق العدل على كافة الأنام ؛ قاهر الطغاة والجبابة ،
ومرغم أنوف المتمردة الفاجرة ؛ أمير أمراء المؤمنين ،
وسيف الله المسلول على أعناق المعتدين ؛ الحاج محمد علي باشا ،
لا زالت بذباب سيفه مهج العدا تتلاشى ؛ ولا برحت ألويته
بالنصر منشورة ، وعساكره في كل وجهة مظفرة منصوره ؛
فأعمل في خدمة الشريعة الغراء ، وسلوك المحجة الواضحة البيضاء ،
كلا من حد السيف وسنان القلم ، حتى فجر بمتون الصفايح
والصحائف ينابيع النصر والحكم ؛ وتصدى لإحياء رميم
المكرمات الدوارس ، وانتدب لإعادة دارس العلوم بإنشاء

مَاذَا أَقُولُ وَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي مَلِكٍ قَدْ فَاقَ كُلَّ مُلُوكِ الْأَعْصِرِ الْأَوَّلِ
 مُحَمَّدًا أَنْتَ إِنْ أَحْمَدَكَ مُبْتَهَلًا وَإِنْ طَلَبْتُ لَكَ الْعَلِيَا فَأَنْتَ عَلِي
 قَدْ أَعْجَزَ الْبُلْغَاءَ اللُّسْنَ مَنْقَبَةً ^(١) عَنْهَا رَوَّايَيْنِ صِدْقِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ

مِثْلُ الْمَلِكِ بَغَى أَمْرًا فَقَرَبَهُ طُولُ الرَّمَاحِ وَأَيْدِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
 وَعَزَمَةٌ بَعَثَتْهَا هَمَّةٌ زُحَلٌ ^(٢) مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ الثَّرِبِ مِنْ زُحَلِ
 عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ ^(٣) تَوْحُشٌ لِمَلَقِ النَّصْرِ مُقْتَبِلِ
 تَتْلُو أَسِنَّةَ الْكُتُبِ الَّتِي نَفَذَتْ وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالًا مِنَ الرُّسُلِ
 يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلَا يَلْقَى سِوَى جُزُرٍ ^(٤) وَمَا أَعَدُّوا فَلَا يَلْقَى سِوَى نَفَلِ ^(٥)

الْفَاعِلُ الْفِعْلُ لَمْ يَفْعَلْ لَشِدَّتِهِ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكَ وَلَمْ يَقِلْ ^(٨)
 وَالْبَاعِثُ الْجَنْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ^(٦) ^(٧)

يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَازِرَةٌ
قَدْ عَرَضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
وَوَكَّلَ الطَّغْنِ بِالْأَسْرَارِ فَانْكَشَفَتْ
هُوَ الشُّجَاعُ يَعُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبْنٍ
يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرِ مُفْتَخِرٍ
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بَغِيَّتَهُ
إِذَا خَلَعَتْ عَلَى عَرِيضٍ لَهُ حُلَلًا
بِيْذِي الْغَبَاوَةِ مِنْ إِنْسَادِهَا ضَرَّرُ
لَقَدْ رَأَتْ كُلَّ عَيْنٍ مِنْهُ مَالِهَا
فَمَا تُكْشِفُكَ الْأَعْدَاءُ عَنْ مَلِيٍّ
وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ
مَا زَالَ طَرْفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ
يَأْمَنُ يَسِيرٌ وَحَكْمُ النَّازِرِينَ لَهُ
إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ
فَمَا تُقَابِلُهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ
وَوَظَاهِرَ الْحَزْمِ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغَيْلِ
لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
وَهُوَ الْجَوَادُ يَعُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَحْلِ
وَقَدْ أَعَدَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ
وَلَا تُحْصَنُ دِرْعٌ مَهْجَةَ الْبَطْلِ
وَجَدْتَهَا مِنْهُ فِي أَبِيهِ مِنَ الْحَلِّ
كَمَا تَضُرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجُعَلِ
وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَةَ الدَّوَلِ
مِنَ الْحُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلِ
تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلِ
حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ
فِيمَا يَرَاهُ وَحَكْمُ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ
وَقَفَّتْ مَرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مَرْتَحِلِ

أَجْرَ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيهَا وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأَوَّلِ
يَنْظُرُونَ مِنْ مَقَلِّ أَدْمَى أَجْتَهَا ^(١) قَرَعُ الْفَوَارِسِ بِالْعَسَالَةِ الذُّبُلِ
فَلَا هَجَمَتْ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفْرِ وَلَا وَصَلَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلٍ ^(٢)

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا جَعَلَهُ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا زِينَةً وَعَيْدًا ، وَلِأَرْبَابِ
الْحُرُوبِ وَالْمَحَارِبِ مَوْسِمًا سَعِيدًا ، دَارُ الطَّبَاعَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا
بِبَلَّاقٍ : إِذْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْآفَاقِ . لِأَنَّ
الْكَتَبَ تُطْبَعُ فِيهَا مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ ، بِكُلِّ لُغَةٍ وَبِكُلِّ رَسْمٍ مَعَ
تَلَوْنِ الْمِدَادِ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ . فَصَادَفَ سَعْدُهُ الْمُقْتَرِنُ مِنَ اللَّهِ
بِالْمِنَّةِ ، وَجُودَ نُسخَةٍ مَطْبُوعَةٍ بِالْعَرَبِيِّ فِي غَيْرِ بِلَادِ الْعَرَبِ مِنْ
كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمِينَةٍ . وَهِيَ الَّتِي تَرَجَمَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ
الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ ، فِي أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ .
وَكَانَتْ تَرَجَمَتْهَا مِنَ اللُّغَةِ الْبَهْلَوِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، وَاتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى
صِحَّةِ تِلْكَ النُّسخَةِ : لِشُهْرَةِ مُصَحِّحِهَا بِالْأَلْمَعِيَّةِ . إِذْ قَالَ

(١) أجمة : جمع حجاج ومن معانيه عظم ينبت عليه الحاجب وهو المراد هنا . (٢) هذه القصيدة

تتعلق بالكتاب المذكور في هذا الفصل .

فِي دِيْبَاجَتِهَا : ” اجْتَمَعَ عِنْدِي مِنْ كِتَابِ كَلِيلَةِ نُسخٍ شَتَّى مُتَّفَقَةٌ
السِّيَاقِ وَالِانْتِظَامِ ، مُخْتَلِفَةٌ الْعِبَارَةُ وَالْأَلْفَاظُ . وَكَانَ مِنْ عَدَدِهَا
نُسخَةٌ قَدِيمَةٌ الْعَهْدِ ، عَجِيبَةٌ الْخَطِّ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُوجَدُ فِيهَا مَعَ
جَوَدَتِهَا بَعْضُ الْغَلَطَاتِ . وَقَدْ ذَهَبَ مِنْهَا أَيْضًا بِتَضَرُّيفِ
الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ ، أَوْرَاقٌ جُعِلَتْ عِوَضًا عَنْهَا أَوْرَاقٌ غَيْرُهَا
جَدِيدَةٌ الْعَهْدِ ، رَدِيئَةٌ الْخَطِّ لَيْسَتْ عَلَى هَيْئَةِ الْبَاقِي . وَالنُّسخَةُ
الْمَذْكُورَةُ هِيَ الَّتِي أَخْتَرْتُهَا حَتَّى تَكُونَ هِيَ الْأَصْلَ الْمُعْتَمَدَ عَلَيْهِ
عِنْدَ طَبْعِ هَذَا الْكِتَابِ . غَيْرَ أَنِّي كُتِمَا عَثَرْتُ فِيهَا عَلَى غَلْطَةٍ ،
أَوْ مَا أَشْتَبَهَ عَلَى الْقَارِئِ فَهَمُّهُ ، قَابَلْتُهَا بِمَا عِنْدِي مِنَ النُّسخِ
غَيْرِهَا ، وَاثْبَتُّ مَا رَأَيْتُ لَفْظَهُ أَفْصَحَ ، وَمَعْنَاهُ أَوْصَحَّ ” انْتَهَى
كَلَامُهُ . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ النُّسخَةَ الْمَطْبُوعَةَ عُرِضَتْ هِيَ وَغَيْرُهَا عَلَى
شَيْخِ مَشَايخِ الْإِسْلَامِ ، وَقُدُورَةِ عَمَدِ الْأَنْبَاءِ ، مَوْلَانَا الشَّيْخِ حَسَنِ
الْعَطَّارِ أَدَامَ اللَّهُ عُمُومَ فَضْلِهِ مَا دَامَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . فَقَالَ : يَصِحُّ
أَلَّا يُوجَدَ لَهَا فِي الصُّحَّةِ مِثَالٌ : لِشُهْرَةِ مُصَحِّحِهَا بِالضَّبْطِ
وَسَعَةِ الْإِطْلَاقِ عَلَى الْأَقْوَالِ . وَحِينَئِذٍ اتَّفَقَتْ الْآرَاءُ عَلَى أَنَّ

يَكُونُ الْمُعَوَّلُ فِي طَبِيعِ ذَلِكَ الْكِتَابِ عَلَيْهَا ، وَمُنْتَهَى اخْتِلَافِ
النُّسخِ وَوِفَاقِهَا إِلَيْهَا . فَبَادَرْتُ إِشَارَةَ الْأَمْرِ بِصَرِيحِ الْإِمْتِنَالِ ،
وَسَرَّخْتُ فِي رِيَاضِ تِلْكَ النُّسخِ سَائِمَ الطَّرْفِ وَالْبَالِ .
فَوَجَدْتُ الْمُطْبُوعَةَ أَفْصَحَهَا عِبَارَةً ، وَأَوْضَحَهَا إِشَارَةً ، وَأَصَحَّهَا
مَعْنَى ، وَأَحْكَمَهَا مَبْنَى ، غَيْرَ أَنَّ فِيهَا لُفِيظَاتٍ حَادَثَتْ عَنْ
سَنَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَبَعْضُ مَعَانٍ مَالَتْ بِهِ الرِّكَازَةُ عَنْ أَنْ يُفْهَمَ
بِطَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ . فَفَرَّيْتُ أَضْيَافَ الْمَعَانِي بِأَيِّ لَفِظٍ تَسْتَهِيهِ .
وَصَاحِبُ الْبَيْتِ أَدْرَى بِاللَّذِي فِيهِ . خُصُوصًا مَعَ وُجُودِ الْمَوَادِّ
الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ وُجُوهِ الصُّحَّةِ نِقَابَ الْإِشْتِبَاهِ . وَمَنْ كَانَ
ذَا مُكْنَةَ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ، مُسْتَعِينًا عَلَى ذَلِكَ بِمَا لَدَيَّ
مِنَ النُّسخِ الَّتِي بِحِطِّ الْقَلَمِ ، مُعَوَّلًا عَلَى عِنَايَةِ مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ . حَتَّى أُنْمَرَتْ بِإِشَاعَةِ ذَلِكَ الْكِتَابِ مَعَ غَايَةِ
التَّحْرِيرِ ، حَدِيقَةُ تِلْكَ الْمُطْبَعَةِ الْمَشْرِقَةِ بِطَوَالِجِ التَّنْوِيرِ ، عَلَى
يَدِ مُصَحِّحٍ مَا بَهَا مِنَ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ ، الْمُسْتَعْمِدِّ مِنْ مَوْلَاهُ

الإعانة والمعیة ، راجی من للفضل یوتی ، عبد الرحمن الصفی ،

غفر الله ذنوبه ، وستر فی الدارين عیوبه ، مع سائر المسلمین .
بجرمة طه ویس . علیه الصلاة والسلام . وعلى آله وصحبه
الكرام .

بَابُ مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ

قَدَّمَهَا بَهْنُودُ بْنُ سَخَّوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ الشَّاهِ الْفَارِسِيِّ .
 ذَكَرَ فِيهَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمِلَ بِيَدِ الْفَيْلَسُوفِ الْهِنْدِيِّ
 رَأْسُ الْبِرَاهِمَةِ لِذَبْشَلِيمَ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَهُ الَّذِي سَمَّاهُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ ؛
 وَجَعَلَهُ عَلَى أَسْنِ الْبِهَائِمِ وَالطَّيْرِ صِيَانَةً لِفَرْضِهِ فِيهِ مِنَ الْعَوَامِّ ،

بَابُ مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ

مَا يَلْزَمُ مُطَالَعَهُ مِنْ إِتْقَانِ قِرَاءَتِهِ وَالْقِيَامِ بِدِرَاسَتِهِ وَالنَّظَرِ إِلَى
 بَاطِنِ كَلَامِهِ ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى الْغَايَةِ مِنْهُ .
 وَذَكَرَ فِيهَا حُضُورَ بَرَزَوِيهِ وَقِرَاءَةَ الْكِتَابِ جَهْرًا . وَقَدْ ذَكَرَ
 السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بَرَزَجِيهِ بَابًا مُفْرَدًا يُسَمَّى بَابَ
 بَرَزَوِيهِ الْمُتَطَبِّبِ ، وَذَكَرَ فِيهِ شَأْنَ بَرَزَوِيهِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ وَأَنَّ
 مَوْلِدَهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ التَّأْدِيبَ ، وَأَحَبَّ الْحِكْمَةَ وَأَعْتَبَرَ فِي أَقْسَامِهَا .
 وَجَعَلَهُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْكِتَابِ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الشَّاهِ الْفَارِسِيُّ : كَانَ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ
 بَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفُ لِدَبْشَدِيمِ مَلِكِ الْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةِ ، أَنَّ
 الْإِسْكَندَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ الرَّومِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا
 بِنَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ ، سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ الْمَشْرِقِ مِنَ الْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ ،
 فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مِنْ نَازِعِهِ وَيُوقِعُ مِنْ وَاقِعِهِ ، وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ
 مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ ، وَهُمْ الطَّبَقَةُ الْأُولَى ، حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ وَقَهَرَ

مِنْ نَاوَاهُ وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ ، فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ ^(١) وَتَمَزَّقُوا
 حَزَائِقَ ^(٢) . فَتَوَجَّهَ بِالْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ الصِّينِ ، فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِمَلِكِ
 الْهِنْدِ لِيَدْعُوهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَالِدُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ وَوِلَايَتِهِ . وَكَانَ عَلَى

لَهُ فُورٌ . فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي الْقَرْنَيْنِ نَحْوَهُ تَاهَبَ لِمُحَارَبَتِهِ ،
 وَأَسْتَعَدَّ لِمُجَادَبَتِهِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ ، وَجَدَّ فِي التَّالِبِ عَلَيْهِ ^(٣) ؛
 وَجَمَعَ لَهُ الْعُدَّةَ فِي أَسْرَعِ مُدَّةٍ مِنَ الْفِيْلَةِ الْمُعَدَّةِ لِلْحُرُوبِ ، وَالسَّبَاعِ
 الْمُضْرَاةِ بِالْوُثُوبِ ، مَعَ الْخَيُْولِ الْمُسْرَجَةِ وَالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ ،
^(٤)

الْحِيلَةَ وَالتَّدْبِيرَ لِأَمْرِهِ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِ .
 فَاسْتَدْعَى بِالْمُنْجِمِينَ، وَأَمَرَهُمْ بِالِاخْتِيَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ لَهُ
 فِيهِ سَعَادَةٌ مُحَارَبَةً مَلِكِ الْهِنْدِ وَالنُّصْرَةَ عَلَيْهِ . فَاسْتَغْلَوْا بِذَلِكَ .
 وَكَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ لَا يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلَّا أَخَذَ الصُّنَاعَ الْمَشْهُورِينَ مِنْ صُنَاعِهَا
 بِالْحَذَقِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ . فَانْتَجَبَتْ لَهُ هِمَّتُهُ وَدَلَّتْهُ فِطْنَتُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ
 إِلَى الصُّنَاعِ الَّذِينَ مَعَهُ فِي أَنْ يَصْنَعُوا خَيْلًا مِنْ نُحَاسٍ مُجَوَّفَةً ،
 عَلَيْهَا تَمَائِيلٌ مِنَ الرِّجَالِ ، عَلَى بَكَرٍ تَجْرِي ، إِذَا دُفِعَتْ مَرَّتْ
 سَرَاعًا . وَأَمَرَ إِذَا فَرَّغُوا مِنْهَا أَنْ يُحْشَى أَجْوَافُهَا بِالنَّفْطِ وَالْكِبْرَيْتِ ،
 وَتُلْبَسَ وَتُقَدَّمَ أَمَامَ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ . وَوَقْتُ مَا يَلْتَقِي الْجَمْعَانِ
 تُضْرَمُ فِيهَا النَّيرَانُ . فَإِنَّ الْفَيْلَةَ إِذَا لَقَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَى الْفُرْسَانِ
 وَهِيَ حَامِيَةٌ، وَلَّتْ هَارِبَةً . وَأَوْعَزَ إِلَى الصُّنَاعِ بِالتَّشْمِيرِ وَالْإِنْكَاشِ
 وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . فَحَدُّوا فِي ذَلِكَ وَعَجَّلُوا . وَقَرَّبَ أَيْضًا وَقْتُ اخْتِيَارِ
 الْأَحْيَانِ . فَأَعَادَهُ الْقَرْنَيْنِ سَأَهُ الْأَنْفُسَ مَا يَدْعُهُ اللَّهُ مِنْ :

عَلَى مُحَارَبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى ذُو الْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ سَارَ إِلَيْهِ بِأُهْبَتِهِ ،
 وَقَدَّمَ فُورَ الْفِيلَةِ أَمَامَهُ ، وَدَفَعَتِ الرَّجَالُ تِلْكَ الْخَيْلَ وَتَمَائِيلَ
 الْفُرْسَانَ ، فَأَقْبَلَتِ الْفِيلَةُ نَحْوَهَا ، وَلَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا
 أَحَسَّتْ بِالْحَرَارَةِ أَلْقَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا ، وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا ،
 وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً ، لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ وَلَا تَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا
 وَطِئَتْهُ . وَتَقَطَّعَ فُورٌ وَجْمَعُهُ ^(١) ، وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْإِسْكَانْدَرِ ،
 وَأَتَمَّخُوا فِيهِمُ الْجَرَاحَ . وَصَاحَ الْإِسْكَانْدَرُ : يَا مَلِكَ الْهِنْدِ أَبْرُزْ إِلَيْنَا ،
 وَأَبْقِ عَلَى عُدَّتِكَ وَعِيَالِكَ ، وَلَا تَحْمِلْهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ
 الْمُرُوءَةِ أَنْ يَرْمِيَ الْمَلِكُ بَعْدَتِهِ فِي الْمَهَالِكِ الْمُتْلِفَةِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُجْبِحِفَةِ ،
 بَلْ يَقِيهِمْ بِمَالِهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ . فَأَبْرُزَ إِلَى وَدَعِ الْجُنْدَ ، فَأَيْنَا

النَّهَارِ لَيْسَ يَلْقَى أَحَدَهُمَا مِنْ ضَاحِحِهِ فُرْصَةً ؛ وَلَمْ يَزَالَا يَتَعَارَكَانِ .
فَلَمَّا أَعْيَا الإسْكَندَرُ أَمْرَهُ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فُرْصَةً وَلَا حِيلَةً أُوقِعَ
ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي عَسْكَرِهِ صَنِيعَةً عَظِيمَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَالْعَسَاكِرُ ؛ فَالْتَفَتَ فُورٌ عِنْدَ مَا سَمِعَ الزَّعَقَةَ ، وَظَنَّهَا مَكِيدَةً
فِي عَسْكَرِهِ ؛ فَعَاجَلَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِضَرْبَةٍ أَمَلَتْهُ عَنْ سَرِجِهِ ، وَتَبِعَهُ
بِأُخْرَى ؛ فَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا رَأَتْ الْهِنْدُ مَا نَزَلَ بِهِمْ ، وَمَا
صَارَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ ؛ حَمَلُوا عَلَى الإسْكَندَرِ فَتَاتَلَوْهُ قِتَالًا أَحْبَبُوا مَعَهُ
الْمَوْتَ . فَوَعَدَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ الْإِحْسَانَ ، وَمَنَحَهُ اللهُ أَكْثَفَهُمْ ؛
فَاسْتَوَلَى عَلَى بِلَادِهِمْ ، وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِهِ . وَأَقَامَ بِالْهِنْدِ
حَتَّى اسْتَوْثِقَ ^(١) مِمَّا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَاتَّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ ؛ ثُمَّ أَنْصَرَفَ
عَنِ الْهِنْدِ وَخَلَّفَ ذَلِكَ الرَّجُلَ عَلَيْهِمْ . وَمَضَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَا قَصَدَ
لَهُ . فَلَمَّا بَعُدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَنِ الْهِنْدِ بِجُيُوشِهِ ، تَغَيَّرَتِ الْهِنْدُ عَمَّا
كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الرَّجُلِ الَّذِي خَلَفَهُ عَلَيْهِمْ ؛ وَقَالُوا لَيْسَ

(١) استوثق هنا : أخذ الثقة مما أراد والذي في صفحة ١٥ استوسق الأمر من الوسق .

يُصْلِحُ لِلسِّيَاسَةِ وَلَا تَرْضَى الْخِصَاصَةَ وَالْعَامَّةُ أَنْ يَمْلِكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا
لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَهْلِ بِيوتِهِمْ . فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَسْتَدِلُّهُمْ
وَيَسْتَقِلُّهُمْ . وَأَجْتَمَعُوا يَمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِهِمْ ؛
فَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ دَبْسَلِيمٌ ؛ وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ
خَلْفَهُ عَلَيْهِمُ الْإِسْكَندَرُ . فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَاسْتَقَرَّ لَهُ
الْمُلْكُ ، طَغَى وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ ؛ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنْ
الْمُلُوكِ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مُوَيْدًا مُظْفَرًا مَنْصُورًا . فَهَابَتْهُ الرِّعِيَّةُ .
فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّطْوَةِ ، عَبَثَ بِالرِّعِيَّةِ وَاسْتَصَغَرَ
أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ السِّيَرَةَ فِيهِمْ . وَكَانَ لَا تَرْتَقِي حَالَهُ إِلَّا أزدَادَ عُتُوًّا .
فَمَكَتْ عَلَى ذَلِكَ بَرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ . وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فِيلَسُوفٌ
مِنَ الْبَرَاهِمَةِ ، فَاضِلٌ حَكِيمٌ ، يُعْرِفُ بِفَضْلِهِ ، وَيَرْجِعُ فِي الْأُمُورِ
إِلَى قَوْلِهِ ، يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ
لِلرِّعِيَّةِ ، فَكَّرَ فِي وَجْهِ الْحِيلَةِ فِي صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ ، وَرَدَّهُ إِلَى
الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ؛ فَجَمَعَ لِدَلِكِ تَلَامِيذَهُ ، وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ
مَا أُرِيدُ أَنْ أُشَاوِرَكُمْ فِيهِ ؟ اإِعْلَمُوا أَنِّي أَطَلْتُ الْفِكْرَةَ فِي دَبْسَلِيمِ

وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ وَلِزُومِ الشَّرِّ وَرَدَاءَةِ السَّيْرِ
 وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ الرَّعِيَّةِ ، وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ أَنْفُسَنَا لِمِثْلِ هَذِهِ
 الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ ، إِلَّا لِنُرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَلِزُومِ
 الْعَدْلِ . وَمَتَى أَغْفَلْنَا ذَلِكَ وَأَهْمَلْنَا لَزِمَ وَقُوعُ الْمَكْرُوهِ بِنَا ، وَبُلُوغُ
 الْمَحْذُورَاتِ إِلَيْنَا ، إِذْ كُنَّا فِي أَنْفُسِ الْجُهَالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ ، وَفِي
 الْعْيُونِ عِنْدَهُمْ أَقْلَ مِنْهُمْ . وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْجَلَاءَ عَنِ الْوَطَنِ .
 وَلَا يَسَعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ وَقُبْحِ
 الطَّرِيقَةِ . وَلَا يُمَكِّنُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ السِّنِّتِنَا . وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنَّ
 نَسْتَعِينُ بِغَيْرِنَا لَمْ تَهَيِّأْ لَنَا مُعَانَدَتُهُ . وَإِنْ أَحْسَسْنَا مِنْهَا بِمُخَالَفَتِهِ
 وَإِنْكَارِنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَوَارِنَا . وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مُجَاوِرَةَ
 السَّبْعِ وَالْكَلْبِ وَالْحَيَّةِ وَالثَّوْرِ عَلَى طِيبِ الْوَطَنِ وَنَضَارَةِ الْعَيْشِ
 لَغَدْرٌ بِالنَّفْسِ . وَإِنَّ الْفَيْلَسُوفَ لِحَقِيقٌ أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مَضْرُوفَةً
 إِلَى مَا يُحْصَنُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ نَوَازِلِ الْمَكْرُوهِ وَلَوَاحِقِ الْمَحْذُورِ ؛
 وَيَدْفَعُ الْمَخُوفَ لِاسْتِجْلَابِ الْمَحْبُوبِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ
 فَيْلَسُوفًا كَتَبَ لِتَلْمِيذِهِ يَقُولُ : إِنَّ مُجَاوِرَ رِجَالِ السُّوءِ وَمُصَاحِبَهُمْ

الفييل لا من غيره . فطارت فوقعت على رأسه باكية ، ثم قالت :
 أيها الملك لم هسمنت بيضى وقتلت فراخى ، وأنا فى جوارك ؟
 أفعلت هذا استصغارا منك لأمرى واحتقارا لشأني ؟ قال :
 هو الذى حملني على ذلك . فتركته وأنصرفت إلى جماعة الطير ،
 فشكت إليها ما نالها من الفييل . فقلن لها وما عسى أن نبلغ منه
 ونحن طيور ؟ فقالت للعقاعى والغربان : أحب منكن أن تصرن
 معي إليه فتفقأن عينيهِ ، فإني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى .
 فأجبنها إلى ذلك ، وذهبن إلى الفييل ، ولم يزلن ينقرن عينيهِ
 حتى ذهبن بهما . وبقى لا يهتدى إلى طريق مطعميه ومشربه
 إلا ما يلقمه من موضعه . فلما علمت ذلك منه ، جاءت إلى
 غدير فيه ضفادع كثيرة ، فشكت إليها ما نالها من الفييل . قالت
 الضفادع : ما حيلتنا نحن فى عظم الفييل ؟ وأين نبلغ منه ؟ قالت :
 أحب منكن أن تصرن معي إلى وهدة قريبة منه ، فتتقنن فيها ،
 وتضججن . فإنه إذا سمع أصواتكن لم يسك فى الماء فيهبوى

(١) جمع عقق وهو طير أبلق بسواد وبياض . (٢) أرض منخفضة .

فِيهَا . فَأَجْبَنَهَا إِلَى ذَلِكَ ، وَأَجْتَمَعْنَ فِي الْهَآوِيَةِ ، فَسَمِعَ الْفِيلُ
 نَقَاةَ الْفَاعِزَةِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَتَأْتَى حَتَّى تَقُومَ

(١)
 فِي الْوَهْدَةِ ، فَأَرْتَطَمَ فِيهَا . وَجَاءَتِ الْقَنْبَرَةُ تَرْقِرُ عَلَى رَأْسِهِ ،
 وَقَالَتْ : أَيُّهَا الطَّاعِي الْمَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ الْمُحْتَقِرُ لِأَمْرِي ، كَيْفَ رَأَيْتَ
 عِظَمَ حَيْلَتِي مَعَ صِغَرِ جُنَّتِي عِنْدَ عِظَمِ جُنَّتِكَ وَصِغَرِ هِمَّتِكَ ؟

فَلْيُشْرِكْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَا يَسْنَحُ لَهُ مِنَ الرَّأْيِ . قَالُوا
 بِأَجْمَعِهِمْ : أَيُّهَا الْفَيْلَسُوفُ الْفَاضِلُ ، وَالْحَكِيمُ الْعَادِلُ ، أَنْتَ
 الْمُقَدَّمُ فِينَا ، وَالْفَاضِلُ عَلَيْنَا ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ
 رَأْيِكَ ، وَفَهَمْنَا عِنْدَ فَهْمِكَ ؟ غَيْرَ أَنَّنا نَعْلَمُ أَنَّ السَّبَّاحَةَ فِي الْمَاءِ
 مَعَ التَّمْسَاحِ تَغْرِيرٌ ، وَالذَّنْبُ فِيهِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ .
 وَالَّذِي يَسْتَخْرِجُ السَّمَّ مِنْ نَابِ الْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيَجْرِبَهُ جَانٍ عَلَى

نَفْسِهِ ، فَإِنَّ النَّسْرَةَ لِلحَيَّةِ ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فِي غَائِبِهِ ،

التَّجَارِبُ . وَلَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ وَلَا عَلَى أَنْفُسِنَا سَطْوَتَهُ وَإِنَّا نَخَافُ
عَلَيْكَ مِنْ سَوْرَتِهِ وَمُبَادَرَتِهِ بِسَوْءٍ إِذَا لَقِيْتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ . فَقَالَ ^(١)
الْحَكِيمُ بَيْدَبَا : لَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ ، لَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ
الْحَازِمَ لَا يَدْعُ أَنْ يُشَاوِرَ مَنْ هُوَ دُونَهُ أَوْ فَوْقَهُ فِي الْمَنْزِلَةِ .
وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يُكْتَفَى بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الْعَامَّةِ .
وَقَدْ صَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى لِقَاءِ دَبْشَلِيمَ . وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكُمْ ،
وَتَبَيَّنَ لِي نَصِيحَتُكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ . غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ
رَأْيًا وَعَزَمْتُ عَزْمًا ، وَسَتَعْرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَجَاوِبِي إِيَّاهُ
فَإِذَا اتَّصَلَ بِكُمْ نُخْرُوجِي مِنْ عِنْدِهِ فَاجْتَمِعُوا إِلَيَّ . وَصَرَفَهُمْ
وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا أَخْتَارَ يَوْمًا لِلدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ
ذَلِكَ الْمَقْتُ أَلْعَلَّهُ مَسْحَهُ ^(٢) . هَلْ لَسْتُ الْهَامَةَ ، وَقَصَدَ بَابَ

الملك ، وسأل عن صاحب إذنه وأرشد إليه وسلم عليه ،

وَأَعْلَمَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَجُلٌ قَصَدْتُ الْمَلِكَ فِي نَصِيحَةٍ . فَدَخَلَ
الْأَذْنَ عَا^(١) الْمَلِكِ فِي وَقْتِهِ ، وَقَالَ : يَا لَيْتَ مَنْ أَلِهَ أَهْمَةَ نَقِيَالٍ لَهُ

بِيَدَبًا ؛ ذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحَةً . فَأَذِنَ لَهُ ؛ فَدَخَلَ وَوَقَفَ
بِأُذُنِهِ وَكَفَّ وَسَجَدَ لَهُ وَأَسْتَوَى قَائِمًا وَسَكَتَ . وَفَكَرَ دَنْسَلِيمُ^(٢)

فِي سُكُوتِهِ ؛ وَقَالَ : إِنْ هَذَا لَمْ يَقْصِدْنَا إِلَّا لِأَمْرَيْنِ : إِمَّا
لِالْتِمَاسِ شَيْءٍ مِنَّا يُصْلِحُ بِهِ حَالَهُ ، وَإِمَّا لِأَمْرٍ لِحَقِّقَهُ فَلَمْ تَكُنْ
لَهُ بِهِ طَاقَةٌ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ فِي مَمْلَكَتِهَا فَإِنَّ
لِلْحُكَمَاءِ فَضْلًا فِي حِكْمَتِهَا أَعْظَمَ : لِأَنَّ الْحُكَمَاءَ أَغْنِيَاءَ عَنِ الْمُلُوكِ
بِالْعِلْمِ وَلَيْسَ الْمُلُوكُ بِأَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكَمَاءِ بِالْمَالِ . وَقَدْ وَجَدْتُ
الْعِلْمَ وَالْحَيَاءَ إِفْقِينَ مُتَالِفَيْنِ لَا يَفْتَرِقَانِ : مَتَى فَقَدَ أَحَدُهُمَا
لَمْ يَوْجِدِ الْآخَرَ ؛ كَالْمُتَصَافِيَيْنِ إِنْ عُدِمَ مِنْهُمَا أَحَدٌ لَمْ يَطِبْ صَاحِبُهُ

المواقف الواهنة ، وينزهمهم عن المواطن الرذلة كان ممن حرم
 عقله ، وخسر دنياه ، وظلم الحكماء حقوقهم ، وعد من
 الجهال . ثم رفع رأسه إلى بيدبا ، وقال له : نظرت إليك
 يا بيدبا ساكناً لا تعرض حاجتك ، ولا تذكر بغيتك ، فقلت :
 إن الذي أسكته هيبته ساورته أو حيرة أدركته ، وتاملت عند
 ذلك من طول وقوفك ، وقلت : لم يكن لبيدبا أن يطرقنا على
 غير عادة إلا لأمر حركة لذلك ، فإنه من أفضل أهل زمانه .
 فهلاً نسأله عن سبب دخوله ! فإن يكن من ضم ناله ، كنت
 أولى من أخذ بيده وسارع في تشريفه ، وتقدم في البلوغ إلى
 مراده وإعرازه ، وإن كانت بغيته غرضاً من أغراض الدنيا
 أمرت بإرضائه من ذلك فيما أحب ، وإن يكن من أمر
 الملك ، ومما لا ينبغي للملوك أن يبذلوه من أنفسهم ولا ينقادوا
 إليه نظرت في قدر عقوبته ، على أن مثله لم يكن ليجتري على
 إدخال نفسه في باب مسألة الملوك ، وإن كان شيئاً من أمور
 الرعية يقصد فيه أني أضرف عنايتي إليهم ، نظرت ما هو ،

فَإِنَّ الْحُكَمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْخَيْرِ ، وَالْجُهَّالَ يُشِيرُونَ بِضَدِّهِ .
وَأَنَا قَدْ فَسَحْتُ لَكَ فِي الْكَلَامِ . فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا ذَلِكَ مِنْ
الْمَلِكِ أَفْرَخَ رَوْعَهُ ^(١) ، وَسَرَى عَنْهُ مَا كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ
وَكَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ ، ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : أَوَّلَ مَا أَقُولُ أَسْأَلُ
اللَّهَ تَعَالَى بِقَاءِ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبَدِ ، وَدَوَامِ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمَدِ : لِأَنَّ

وَمَا يَرَاهُ ، وَإِنْ هُوَ الْقَاهُ ، فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزُمُنِي وَنَحَرَجْتُ مِنْ
لَوْحٍ يَلْحَقُنِي . قَالَ الْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا تَكَلِّمْ كَيْفَ شِئْتَ : فَيَأْتِي مُضْغَمٌ

إِلَيْكَ ، وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ ، وَسَامِعٌ مِنْكَ ، حَتَّى اسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَكَ
إِلَى آخِرِهِ ، وَأَجَازِيكَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ . قَالَ بَيْدَبَا :
إِنِّي وَجَدْتُ الْأُمُورَ الَّتِي أَخْتَصَّ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ
الْحَيَوَانَ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ ، وَهِيَ جُمَاعٌ مَا فِي الْعَالَمِ ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ
وَالْحَمْلُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَقْلِ . وَالْحَيَاءُ

الْحِكْمَةُ . وَالْحَمْلُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَقْلِ . وَالْحَيَاءُ

عِنْدَ مَكْرُوهِ . فَالْحِكْمَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى عَلَى انْفَاقٍ ، وَذَخِيرَةٌ
 لَا يُضْرَبُ لَهَا إِلَّا بِمَلَأَقٍ ^(١) ، وَحَلَةٌ لَا تَخْلُقُ جِدَّتُهَا ^(٢) ، وَلَذَّةٌ لَا تُضْرَمُ ^(٣)
 مَدَّتُهَا . وَلَئِنْ كُنْتُ عِنْدَ مَقَامِي بَيْنَ يَدِي الْمَلِكِ امْسَكْتُ عَنِ
 ابْتِدَائِهِ بِالْكَلَامِ ، إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلَّا لِطَيْبَتِهِ وَالْإِجْلَالِ لَهُ .
 وَلَعَمْرِي إِنَّ الْمُلُوكَ لِأَهْلٍ أَنْ يَهَابُوا ، لَا سِيَّمَا مَنْ هُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ
 الَّتِي جَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ عَنِ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ :
 الزِّمِ السُّكُوتَ ، فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً ، وَتَجَنَّبِ الْكَلَامَ الْفَارِغَ ، فَإِنَّ
 عَاقِبَتَهُ النَّدَامَةُ . مُحْكَمٌ أَنْ تَدْعَى مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَمُّهُ مَحَلْسُ

وَأَجْتَمَعَ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ مُلُوكُ الْأَقَالِيمِ مِنَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ
 وَفَارِسَ وَالرُّومِ ، وَقَالُوا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكَلِمَةٍ
 تَدُونَ عَنْهُ عَلَى غَايِرِ الدَّهْرِ . فَقَالَ مَلِكُ الصِّينِ : أَنَا عَلَى مَا لَمْ
 أَقُلْ أَقْدَرُ مِنْ عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ : عَجِبْتُ
 لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعُهُ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ
 أَوْ بَقِيَّتُهُ . وَقَالَ مَلِكُ فَارِسَ : أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي ،
 وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكَتْهَا . وَقَالَ مَلِكُ الرُّومِ : مَا نَدِمْتُ عَلَى
 مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ ، وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا .
 وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الْهَذَرِ الَّذِي لَا يُرْجَعُ مِنْهُ إِلَى
 نَفْعٍ . وَأَفْضَلُ مَا اسْتَظَلَ بِهِ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ . غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ ،
 أَطَالَ اللَّهُ مُدَّتَهُ ، لَمَّا فَسَحَ لِي فِي الْكَلَامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ ،
 كَانَ أَوْلَى مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ يَكُونَ ثَمَرَةٌ
 ذَلِكَ لَهُ دُونِي ، وَأَنْ أُخْتَصَّه بِالْفَائِدَةِ قَبْلِي . عَلَى أَنَّ الْعُقْبَى
 هِيَ مَا أَقْصِدُ فِي كَلَامِي لَهُ ، وَإِنَّمَا نَفَعُهُ وَشَرَّفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ،
 وَأَكُونُ أَنَا قَدْ قَضَيْتُ فَرَضًا وَجَبَ عَلَى فَاءِ قَوْلٍ :

(١) أهلكته . (٢) وفي نسخة وأعضل ما ضلَّ به الإنسان لسانه .

أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ
 أَسَّسُوا الْمُلْكَ قَبْلَكَ ، وَشَيَّدُوهُ دُونَكَ ، وَبَنَوْا الْقِلَاعَ وَالْحُصُونَ ،
 وَمَهَّدُوا الْبِلَادَ ، وَقَادُوا الْجُيُوشَ ؛ وَاسْتَجَاشُوا الْعُدَّةَ ^(١) ، وَطَالَتْ
 لَهُمُ الْمُدَّةُ ؛ وَاسْتَكْتَرُوا مِنَ السَّلَاحِ وَالْكَرَاجِ ^(٢) ؛ وَعَاشُوا الدُّهُورَ ،
 فِي الْغِبْطَةِ وَالسَّرُورِ ؛ فَلَمْ يَمْنَعَهُمْ ذَلِكَ مِنْ اكْتِسَابِ جَمِيلِ الذِّكْرِ ،
 وَلَا قَطْعَهُمْ عَنِ اغْتِنَامِ الشُّكْرِ ؛ وَلَا اسْتِعْمَالَ الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ ،
 وَالْإِرْفَاقِ بَيْنَ وَلُوهُ ، وَحُسْنِ السَّيْرِ فِيمَا تَقَلَّدُوهُ ؛ مَعَ عِظَمِ
 مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غِرَّةِ الْمُلْكِ ، وَسَكْرَةِ الْإِقْتِدَارِ . وَإِنَّكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
 السَّعِيدُ جَدُّهُ ، الطَّالِعُ كَوْكَبُ سَعْدِهِ ، قَدْ وَرَثْتَ أَرْضَهُمْ
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ الَّتِي كَانَتْ عُدَّتُهُمْ ؛ فَأَقَمْتَ فِيهَا خَوْلَتَ
 مِنَ الْمُلْكِ وَوَرَثْتَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجُنُودِ ؛ فَلَمْ تَقُمْ فِي ذَلِكَ بِحَقِّ
 مَا يَجِبُ عَلَيْكَ ؛ بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَتَوْتَ وَعَلَوْتَ عَلَى الرَّعِيَّةِ ،
 وَأَسَأْتَ السَّيْرَةَ ، وَعَظُمْتَ مِنْكَ الْبَلِيَّةُ . وَكَانَ الْأَوْلَى وَالْأَشْبَهُ

(١) استجاش الجيش : جمعه . (٢) الكراج : اسم لجمع الخيل وقيل الخيل والسلاح .

(٣) عروره .

بِكَ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ أَسْلَافِكَ ، وَتَتَّبَعَ آثَارَ الْمُلُوكِ قَبْلَكَ ،

وَتَقْفُو مَحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ ، وَتُقْلِعَ عَمَّا عَارُهُ لَازِمٌ لَكَ ،
 وَشَيْنُهُ وَاقِعٌ بِكَ ، تُحْسِنُ النَّظَرَ بِرِعِيَّتِكَ ، وَتَسْنُ لَهُمْ سُنَنَ
 الْخَيْرِ الَّذِي يَبْقَى بِعَدِكَ ذِكْرُهُ ، وَيُعْقِبُكَ الْجَمِيلَ فَخْرُهُ ، وَيَكُونُ
 ذَلِكَ أَبْقَى عَلَى السَّلَامَةِ وَأَدْوَمَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ . فَإِنَّ الْجَاهِلَ
 الْمُغْتَرَّ مِنَ اسْتَعْمَلَ فِي أُمُورِهِ الْبَطَرَ وَالْأُمْنِيَّةَ ، وَالْحَازِمَ اللَّيْبَ مِنَ
 سَاسِ الْمُلْكِ بِالْمُدَارَاةِ وَالرَّفْقِ ، فَانظُرَايَهَا الْمُلْكَ مَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ ،
 وَلَا يَثْقُلَنَّ ذَلِكَ عَلَيْكَ : فَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَذَا ابْتِغَاءَ عَرَضٍ مُجَازِينِي
 ه ، وَلَا ابْتِمَاسَ مَعْرُوفٍ تُكَافِئُهُ فِيهِ ، وَلَكِنَّهُ أَتَيْتُكَ نَاصِحًا

مُشْفِقًا عَلَيْكَ .

فَلَمَّا فَرَّغَ بِيَدِهَا مِنْ مَقَالَتِهِ ، وَقَضَى مُنَاصِحَتَهُ ، أَوْغَرَ صَدْرَ
 الْمَلِكِ فَأَغْلَظَ لَهُ فِي الْجَوَابِ اسْتِضْغَارًا لِأَمْرِهِ ، وَقَالَ : لَقَدْ
 تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ

مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ ، وَضَعْفِ مُنْتِكَ ^(١) وَعَجْرِ قُوَّتِكَ ؟ وَلَقَدْ أَكْثَرْتَ
 إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ ، وَتَسَلُّطِكَ بِلِسَانِكَ فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ
 حَدَّكَ . وَمَا أَجْدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ .
 فَذَلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيُرْوَمَ بِمَا رَمَتْ أَنْتَ
 مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا أَسْعَوْا لَهُمْ فِي مَحَالِسِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ بِهَذَا أَنْ يُقْتَأَ

وَيُضَلَّبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا أَمَرَ ، فَكَّرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَجْمَعَ عَنْهُ ،
 ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ . فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ فِي طَلَبِ تَلَامِيذِهِ
 مِمَّنْ كَانَتْ مَعَهُ مِنَ الْهَفَّةِ نِزَافًا لِلأَدَامَةِ عَصَمًا مَعَهُ لَكَ الْحَائِرُ

فَكَثَّ بِيَدَبًا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ ، وَلَا يَلْتَفِتُ
 إِلَيْهِ ، وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةً مِنْ

(١) فَأَرَعَوَى لِدَلِك . وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَقَدْ أَسَأْتُ فِيمَا صَنَعْتُ
 بِهَذَا الْفَيْلَسُوفِ ، وَضَيَعْتُ وَاجِبَ حَقِّهِ ، وَحَمَلْتَنِي عَلَى ذَلِكَ
 سُرْعَةَ الْغَضَبِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ
 فِي الْمُلُوكِ : الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ الْأَشْيَاءِ مَقْتًا ، وَالْبُخْلُ فَإِنَّ
 صَاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْدُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ ، وَالْكَذِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ

أَنْ يُجَاوِرَهُ ، وَالْعُنْفُ فِي الْمُحَاوَرَةِ فَإِنَّ السَّفَهَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهَا .
 وَإِنِّي أَتَى إِلَى رَجُلٍ نَصَحَ لِي ، وَلَمْ يَكُنْ مُبَلِّغًا ، فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ
 مَا نَسَحْتُ ، مَكَفَأْتُهُ بِخِلَافِ مَا نَسَحْتُ بِهِ . وَمَا كَانَ هَذَا خِزَاءً

مِنِّي ، بَلْ كَانَ الْوَاجِبَ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ ، وَأَنْقَادَ لِمَا يُشِيرُ بِهِ .
 ثُمَّ أَنْفَذَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ :
 يَا بَيْدَبَا أَلَسْتَ الَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ هِمَّتِي ، وَعَجَزْتَ رَأْيِي
 فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ آنفًا ؟ قَالَ لَهُ بَيْدَبَا : أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّاصِحُ

كَلَامَكَ كُلَّهُ ، وَلَا تَدَعُ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِئْتَ بِهِ . فَجَعَلَ بِيَدَيَا
يَنْتَرُ كَلَامَهُ ، وَالْمَلِكُ مُضْغِعٌ إِلَيْهِ . وَجَعَلَ دَبْشَلِيمُ كَلَّمَ سَمِعَ مِنْهُ
شَيْئًا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى
بِيَدَيَا ، وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ . وَقَالَ لَهُ : يَا بِيَدَيَا ، إِنِّي قَدْ اسْتَعَذَبْتُ
كَلَامَكَ وَحَسُنَ مَقْعُهُ مِنْ قَلْبِ مَوْلَانَا نَاطِقُ فِي الَّذِي أَشَدَّتْ

بِهِ ، وَعَامِلٌ بِمَا أَمَرْتَ . ثُمَّ أَمَرَ بِقِيُودِهِ فَحُلَّتْ . وَأَلْقَى عَلَيْهِ
مِنْ لِبَاسِهِ ، وَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ . فَقَالَ بِيَدَيَا : يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّ
فِي دُونِ مَا كَلَّمْتِكَ بِهِ نُهْيَةٌ لِمِثْلِكَ . قَالَ : صَدَقْتَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ
الْفَاضِلُ . وَقَدْ وَلَّيْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي
مَمْلَكَتِي . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَعْظَمِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ : فَإِنِّي
غَيْرُ مُضْطَلَعٍ بِتَقْوِيمِهِ إِلَّا بِكَ . فَأَعْفَاهُ مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا انْصَرَفَ ،
عَلِمَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ ، فَبَعَثَ فَرَدَّهُ . وَقَالَ : إِنِّي
فَكَّرْتُ فِي إِعْفَائِكَ مِمَّا عَرَضَتْهُ عَلَيْكَ فَوَجَدْتُهُ لَا يَقُومُ إِلَّا
بِكَ ، وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ ، وَلَا يَضْطَلَعُ بِهِ سِوَاكَ . فَلَا

وَكَانَ عَادَةً مُلُوكَ ذَلِكَ الزَّمَانِ إِذَا اسْتَوَزَرُوا وَزِيرًا أَنْ يَعْقِدُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا ، وَيُرْكَبَ فِي أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ ، وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُفْعَلَ بِبَيْدَبَا ذَلِكَ . فَوُضِعَ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَرَكِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ بِمَجْلِسِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ : يَأْخُذُ لِلدَّيْنِيِّ مِنَ الشَّرِيفِ ، وَيُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ ، وَوَضَعَ سِنِينَ الْعَدْلِ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالنَّدْلِ .

وَاتَّصَلَ الْخَبْرُ بِتَلَامِيذِهِ بِخَاءِ وَهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَرِحِينَ بِمَا جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ مِنْ جَدِيدٍ رَأَى الْمَلِكُ فِي بَيْدَبَا ، وَشَكَرُوا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِ بَيْدَبَا فِي إِزَالَةِ دَبْسَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ ، وَاتَّخَذُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا يُعِيدُونَ فِيهِ فَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ عِيدٌ عِنْدَهُمْ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَمَّا أَخْلَى فِكْرَهُ مِنْ اشْتِغَالِهِ بِدَبْسَلِيمَ ، تَفَرَّغَ لِمَا وَضَعَهُ كِتَابُ السَّاسَةِ وَنَشَطَ لَهَا ، فَعَمِلَ كِتَابًا كَثِيرًا ، فَمَا

السيرة والعدل في الرعية . فرغبت إليه الملوك الذين كانوا
 في نواحيه ، وأنقادت له الأمور على استوائها . وفرحت به
 رعيته وأهل مملكته . ثم إن بيدبا جمع تلاميذه فأحسن صلتهم ،
 ووعدهم وعدًا جميلًا . وقال لهم : لست أشك أنه وقع في نفوسكم
 وقت دخولي على الملك أن قلتم : إن بيدبا قد ضاعت حكمته ،
 وبطلت فكرته : إذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى .
 فقد علمتم نتيجة رأيي وصحة فكري . وإني لم آتِه جهلاً به :
 لأنني كنت أسمع من الحكماء قبلي تقول : إن الملوك لها
 سورة^(١) كسورة الشراب : فالملوك لا تفيق من السورة إلا بمواعظ
 العلماء وأدب الحكماء . والواجب على الملوك أن يتعظوا
 بمواعظ العلماء . والواجب على العلماء تقويم الملوك بالسنتها ،
 وتأديبها بحكمتها ، وإظهار الحجّة البينة اللازمة لهم : ليرتدعوا
 عما هم عليه من الإغوجاج والخروج عن العدل . فوجدت
 ما قالت العلماء فرضاً واجباً على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم

من رَقَدَتَهُمْ ، كَالطَّيِّبِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِي صِنَاعَتِهِ حِفْظُ

الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدِّهَا إِلَى الصِّحَّةِ . فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ
 أَوْ أَمُوتَ وَمَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ كَانَ بِيَدَيَا
 الْفَيْلَسُوفِ فِي زَمَانِ دَبْسَلِيمِ الطَّاغِي فَلَمْ يَرِدْهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ .
 فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ كَلَامُهُ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، قَالُوا : كَانَ
 الْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جَوَارِهِ أَوْلَى بِهِ ، وَالْإِتْرَاعُ عَنِ الْوَطَنِ شَدِيدٌ ،
 فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَيَاتِي ، فَأَكُونُ قَدْ أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ
 الْحُكَمَاءِ بَعْدِي عُذْرًا . فَحَمَلْتُهَا عَلَى التَّغْرِيرِ أَوْ الظَّفْرِ بِمَا ^(١)
 أُرِيدُهُ . وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ : فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ
 الْأَمْثَالِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا بِمَشَقَّةٍ ^(٢)
 تَنَالَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ وَكَيْسٍ فِي دِينِهِ . وَمَنْ
 لَمْ يَرْكَبِ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرَّغَائِبَ . وَإِنَّ الْمَلِكَ دَبْسَلِيمَ قَدْ
 بَسَطَ لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كِتَابًا فِيهِ ضُرُوبُ الْحِكْمَةِ . فَلْيَضَعْ كُلُّ
 وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ ، وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ

(١) التعريض للهلاك . (٢) أى أن يكون صاحب عقيدة صحيحة يتمسك بها مع أنه يؤدي

ويبتغى في سبيلها ، فإذا ناله وكس بسبب ذلك فإنه لا بد أن يعرف الناس قدره بعد حين .

عقله، وأين بلغ من الحكمة فهمه . قالوا : أيها الحكيم الفاضل ،
واللييب العاقل ، والذي وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل
والأدب والفضيلة ، ما خطر هذا بقلوبنا ساعة قط . وأنت
رئيسنا وفاضلنا ، وبك شرفنا ، وعلى يدك انتعاشنا . ولكن
سنجهد أنفسنا فيما أمرت . ومكث الملك على ذلك من حسن
السيرة زمانا يتولى ذلك له بيديا ويقوم به .

ثم إن الملك دبشليم لما استقر له الملك ، وسقط عنه النظر
في أمور الأعداء بما قد كفاه ذلك بيديا ، صرف همته إلى
النظر في الكتب التي وضعتها فلاسفة الهند لابائه وأجداده ؛
فوقع في نفسه أن يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب إليه
وتذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه وأجداده من قبله . فلما عزم
على ذلك ، علم أنه لا يقوم ذلك إلا بيديا : فدعاه وخلا به ؛
وقال له : يا بيديا ، إنك حكيم الهند وفيلسوفها . وإني فكرت
ونظرت في خزائن الحكمة التي كانت للملوك قبلي ؛ فلم أرفيهم
أحدا إلا وقد وضع كتابا يذكر فيه أيامه وسيرته ، ويذني عن

أَدِيهِ وَأَهْلٍ مَمْلَكَتِهِ ، فَمِنَهُ مَا وَضَعْتَهُ الْمُلُوكُ لِأَنْفُسِهَا ، وَذَلِكَ
لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا ، وَمِنَهُ مَا وَضَعْتَهُ حُكَّامُهَا . وَأَخَافُ أَنْ
يَلْحَقَنِي مَا لَحِقَ أَوْلِيئِكَ مِمَّا لَا حِيلَةَ لِي فِيهِ ، وَلَا يُوجَدُ فِي نَخْرَائِنِي
كِتَابٌ أَذْكَرِيهِ بَعْدِي ، وَأَنْسَبُ إِلَيْهِ كَمَا ذَكَرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي
بِكُتُبِهِمْ . وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا بَلِيغًا تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ
يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةَ الْعَامَّةِ وَتَأْدِيبُهَا ، وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ الْمُلُوكِ
وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَةِ الْمَلِكِ وَخِدْمَتِهِ ، فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ
عَنِّي وَعَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ الْمَلِكِ . وَأُرِيدُ أَنْ
يَبْقَى لِي هَذَا الْكِتَابُ بَعْدِي ذِكْرًا عَلَى غَايِرِ الدُّهُورِ . فَلَمَّا سَمِعَ
بِيَدْبَارِ كَلَامِهِ نَحَرَ لَهُ سَاجِدًا ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
السَّعِيدُ جَدُّهُ ، عَلَا نَجْمُكَ ، وَغَابَ نَحْسُكَ ، وَدَامَتْ أَيَّامُكَ ،
إِنَّ الَّذِي قَدْ طُبِعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جَوْدَةِ الْقَرِيحَةِ وَوُفُورِ الْعَقْلِ
حَرَكَهُ لِعَالِي الْأُمُورِ ، وَسَمَّتْ بِهِ نَفْسَهُ وَهَمَّتْهُ إِلَى أَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ
مَنْزِلَةً ، وَأَبْعَدَهَا غَايَةً ، وَأَدَامَ اللَّهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعَانَهُ عَلَى

مَا عَزَمَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ . فَلْيَأْمُرِ الْمَلِكُ
بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ : فَإِنِّي صَائِرٌ إِلَى غَرَضِهِ ، مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي .
قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفًا بِحُسْنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةِ
الْمُلُوكِ فِي أُمُورِهِمْ . وَقَدْ اخْتَبَرْتُ مِنْكَ ذَلِكَ ، وَاخْتَرْتُ أَنْ
تَضَعَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَتَعْمَلَ فِيهِ فِكْرَكَ ، وَتَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَكَ ،
بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَلَيْكُنْ مُشْتَمَلًا عَلَى الْجِدِّ وَالْهَزْلِ
وَاللَّهْوِ وَالْحِكْمَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . فَكَفَّرَ لَهُ بَيْدَبَا وَسَجَدَ ، وَقَالَ : قَدْ
أَجَبْتُ الْمَلِكَ أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ ، وَجَعَلْتُ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ أَجَلًا . قَالَ : وَكَمْ هُوَ الْأَجَلُ ؟ قَالَ : سَنَةٌ . قَالَ :
قَدْ أَجَلْتُكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ تُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ
فَبَقِيَ بَيْدَبَا مُفَكِّرًا فِي الْأَخْذِ فِيهِ ، وَفِي أَيِّ صُورَةٍ يَبْتَدِئُ بِهَا
فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ .

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي لِأَمْرِ
فِيهِ نَخْرِي وَنَخْرِكُمْ وَنَخْرُ بِلَادِكُمْ ، وَقَدْ جَمَعْتُمْ لِهَذَا الْأَمْرِ .
ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ ، وَالْغَرَضَ الَّذِي

قَصَدَ فِيهِ ، فَلَمْ يَقَعْ لَهُمُ الْفِكْرُ فِيهِ . فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ
فَكَرَّ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ إِنَّمَا يَتِمُّ بِاسْتِفْرَاحِ
الْعَقْلِ وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ ، وَقَالَ : أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
إِلَّا بِالْمَلَّاحِينَ : لِأَنَّهُمْ يُعَدِّلُونَهَا ، وَإِنَّمَا تَسْلُكُ الْجَنَّةَ بِمُدْبِرِهَا
الَّذِي تَفَرَّدَ بِأَمْرَتِهَا ^(١) ، وَمَتَى تُحْنَتُ بِالرُّكَّابِ الْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ
مَلَّاحُوهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْغَرَقِ . وَلَمْ يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيهَا يَعْمَلُهُ
فِي رَأْيِ الْكُتَّابِ ، حَتَّى مَضَعَهُ عَلَى الْأَنْفَادِ بِنَفْسِهِ ، مَعْدًا مِنْ

تَلَامِيذِهِ كَانَ يَثِقُ بِهِ ، نَحْلًا بِهِ مُنْفَرِدًا مَعَهُ ، بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْوَرَقِ
الَّذِي كَانَتْ تَكْتُبُ فِيهِ الْهِنْدُ شَيْئًا ، وَمِنَ الْقُوْتِ مَا يَقُومُ بِهِ
وَبِتَلْيِيدِهِ تِلْكَ الْمُدَّةَ . وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ ، وَرَدَّا عَلَيْهِمَا الْبَابَ
ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ الْكُتَّابِ وَتَصْنِيفِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُمْلِي وَتَلْيِيذُهُ

فِيهِ حَظٌّ مِنَ الْهُدَايَةِ . وَصَمَّنَ تِلْكَ الْأَبْوَابَ كِتَابًا وَاحِدًا ،
وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةِ وَدِمْنَةِ . ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسِنِ الْبَهَائِمِ
وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ : لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ لِهَوَا لِلْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ ، وَبَاطِنُهُ
رِيَاضَةً لِعُقُولِ الْخَاصَّةِ . وَصَمَّنَهُ أَيْضًا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ
سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ
دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، وَأَخْرَجَهُ وَأَوْلَاهُ ، وَيُحْضُهُ عَلَى حُسْنِ طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ
وَيُجَنِّبُهُ مَا تَكُونُ مَجَانِبَتُهُ خَيْرًا لَهُ . ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا كَرَسَمِ
سَائِرِ الْكُتُبِ الَّتِي بِرَسْمِ الْحِكْمَةِ : فَصَارَ الْحَيَوَانُ لِهَوَا ، وَمَا يَنْطِقُ
بِهِ حِكْمَةً وَأَدَبًا . فَلَمَّا ابْتَدَأَ بَيِّدَبَا بِذَلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ الْكِتَابِ
وَصَفَ الصَّدِيقِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الصَّدِيقَانِ ، وَكَيْفَ تُقَطَّعُ
الْمُودَّةُ الثَّابِتَةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي النَّمِيمَةِ . وَأَمَرَ تَلْبِيذَهُ أَنْ يَكْتُبَ
عَلَى لِسَانِ بَيِّدَبَا مِثْلَ مَا كَانَ الْمَلِكُ شَرْطَهُ فِي أَنْ جَعَلَهُ لِهَوَا
وَحِكْمَةً . فَذَكَرَ بَيِّدَبَا أَنَّ الْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ النَّقْلَةِ أَفْسَدَهَا
وَجُهَلَتْ حِكْمَتُهَا . فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتَلْبِيذُهُ يُعْمَلَانِ الْفِكْرَ فِيمَا
أَلْفُ الْكَلِمَةِ

بِهِمَّتَيْنِ . فَوَقَعَ لهُمَا مَوْضِعُ اللَّهْوِ وَالْهَزْلِ بِكَلَامِ الْبِهَائِمِ . وَكَانَتْ
 الْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ . فَأَصْنَعْتَ الْحُكْمَاءَ إِلَى حِكْمِهِ وَتَرَكُوا الْبِهَائِمَ
 وَاللَّهْوَ ، وَعَلِمُوا أَنَّهَا السَّبَبُ فِي الَّذِي وُضِعَ لَهُمْ . وَمَالَتْ إِلَيْهِ
 الْجُهَالُ عَجْبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بِهِمَّتَيْنِ ، وَلَمْ يَشْكُوا فِي ذَلِكَ ، وَأَتَّخَذُوهُ
 لَهْوًا ، وَتَرَكُوا مَعْنَى الْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ
 الَّذِي وُضِعَ لَهُ ، لِأَنَّ الْفَيْلَسُوفَ إِذَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ
 الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنِ تَوَاصُلِ الْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ الْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ
 عَلَى التَّحْفِظِ مِنْ أَهْلِ السَّعَايَةِ ^(١) وَالتَّحَرُّزِ مِمَّنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ
 الْمُتَحَابِّينَ : لِيَجْرَ بِذَلِكَ نَفْعًا إِلَى نَفْسِهِ . فَلَمْ يَزَلْ بَيِّدًا وَتَلْبِيذُهُ
 فِي الْمَقْصُورَةِ ، حَتَّى اسْتَمَّتْ عَمَلُ الْكِتَابِ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا
 تَمَّ الْحَوْلُ أَنْفَذَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَإِذَا صَنَعْتَ ؟
 فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بَيِّدًا : إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكَ . فَلْيَأْمُرْنِي بِجَمَلِهِ ،
 بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هَذَا الْكِتَابِ بِحَضْرَتِهِمْ ،
 فَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ سَرَّ ذَلِكَ ، وَوَعَدَهُ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ

(١) السَّعَايَةُ : الْوَشَايَةُ وَالنَّبِيَّةُ .

أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ . ثُمَّ نَادَى فِي أَقَاصِي بِلَادِ الْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ
الْكِتَابِ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، أَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا
سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ ، وَكَرَاسِيٌّ لِأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ . وَأَنْفَذَ
فَأَحْضَرَهُ . فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَبِسَ الثِّيَابَ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا
إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ وَهِيَ الْمَسُوحُ السُّودُ ، وَحَمَلَ الْكِتَابَ
تَلْبِيذُهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَثَبَ الْخَلَاءُ تَقَى بِأَجْمَعِهِمْ ، وَقَامَ
الْمَلِكُ شَاكِرًا . فَلَمَّا قُرِبَ مِنَ الْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ ، وَلَمْ يَرْفَعْ
رَأْسَهُ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا أَرْفَعُ رَأْسَكَ ، فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ
هِنَاءٌ وَفَرَجٌ وَسُرُورٌ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَجْلِسَ . فَحِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ
الْكِتَابِ ، سَأَلَهُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ ، وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ
قَصَدَ فِيهِ . فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ ، وَفِي كُلِّ بَابٍ . فَازْدَادَ الْمَلِكُ
مِنْهُ تَعْجُبًا وَسُرُورًا . فَقَالَ لَهُ : يَا بَيْدَبَا مَا عَدَوْتَ الَّذِي فِي
نَفْسِي ، وَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ ، فَاطْلُبْ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ .
فَدَعَا لَهُ بَيْدَبَا بِالسَّعَادَةِ وَطُولِ الْجَدِّ . وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَمَّا
الْمَالُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَأَمَّا الْكِسُوفَةُ فَلَا إِخْتَارَ عَلَيَّ لِبَاسِي

هَذَا شَيْئًا ، وَلَسْتُ أُخْلِى الْمَلِكَ مِنْ حَاجَةٍ . قَالَ الْمَلِكُ : يَا بَيْدَبَا
مَا حَاجَتُكَ ؟ فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَةٌ . قَالَ : يَا أَمْرُ الْمَلِكِ
أَنْ يُدَوَّنَ كِتَابِي هَذَا كَمَا دَوَّنَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ كِتَابَهُمْ ، وَيَأْمُرُ
بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ : فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، فَيَتَنَاوَلَهُ
أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ ؛ فَالْمَلِكُ يَا أَمْرُ أَلَّا يُخْرَجَ مِنْ بَيْتِ
الْحِكْمَةِ . ثُمَّ دَعَا الْمَلِكُ بِتَلَامِيذِهِ وَأَحْسَنَ لَهُمُ الْجَوَائِزَ . ثُمَّ إِنَّهُ
لَمَّا مَلَكَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ وَكَانَ مُسْتَأْتِرًا بِالْكِتَابِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
وَالنَّظَرِ فِي الْأَخْبَارِ الْأَوَائِلِ وَقَعَ لَهُ خَيْرُ الْكِتَابِ ؛ فَلَمْ يَقْرَأْ قَرَارَهُ
حَتَّى بَعَثَ بَرَزَوِيَةَ الطَّيِّبَ وَتَلَطَّفَ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ
فَأَقْرَهُ فِي خَزَائِنِ فَارِسَ .

بَابُ بَعَثَةِ بَرَزَوِيَةَ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ بِرَحْمَتِهِ ، وَمَنْ عَلَى عِبَادِهِ
بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَرَزَقَهُمْ مَا يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى إِصْلَاحِ مَعَايِشِهِمْ
فِي الدُّنْيَا ، وَيُذَرِّكُونَ بِهِ اسْتِنْقَادَ أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ
فِي الْآخِرَةِ ، وَأَفْضَلَ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِمُ الْعَقْلُ

الَّذِي، هُوَ الدُّعَامَةُ لِحَمْعِ الْأَشْيَاءِ، وَالَّذِي، لَا تَقْدُرُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا

وَبُلُوغِ مَنْزِلَةِ الْفَلَسَفَةِ ، مَا لَمْ يَبْلُغُهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ ،
حَتَّى كَانَ فِيهَا طَلَبٌ وَبَحْثٌ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ بَلَّغَهُ عَنْ كِتَابِ
بَاهِنْدِ ، عَلِمَ أَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ أَدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى
كُلِّ مَنْفَعَةٍ ، وَمِفْتَاحُ عَمَلِ الْآخِرَةِ وَعِلْمُهَا ، وَمَعْرِفَةُ النَّجَاةِ مِنْ
هُوْلَهَا ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ وَزِيرَهُ بَرَزَجْمَهْرَ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ أَدِيبٍ
عَاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، بِصِيرٍ بِلِسَانِ الْفَارِسِيَّةِ ، مَاهِرٍ فِي كَلَامِ
الْهِندِ ، وَيَكُونُ بَلِيغًا بِاللِّسَانَيْنِ جَمِيعًا ، حَرِيصًا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ
مُجْتَهِدًا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ ، مُبَادِرًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالْبَحْثِ
عَنْ كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ . فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ أَدِيبٍ كَامِلِ الْعَقْلِ وَالْأَدَبِ ،
مَعْرُوفٍ بِصِنَاعَةِ الطَّبِّ ، مَاهِرٍ فِي الْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ يُقَالُ لَهُ
بَرَزَوِيهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَّرَ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
يَا بَرَزَوِيهِ : إِنِّي قَدْ أَخَذْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ ،
وَحَرِيصِكَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابِ
بَاهِنْدِ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ . وَقَالَ لَهُ :
تَجَهَّزْ فَإِنِّي مَرَّحُوكَ إِلَى أَرْضِ الْهِندِ ، فَتَلَطَّفَ بِعَقْلِكَ وَحُسْنِ

أَدَبِكَ وَنَاقِدِ رَأْيِكَ ، لِاسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ وَمِنْ
قَبْلِ عُلَمَائِهِمْ ؛ فَتَسْتَفِيدَ بِذَلِكَ وَتُفِيدَنَا . وَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ
كُتُبِ الْهِنْدِ مِمَّا لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِنْهُ شَيْءٌ فَأَحْمِلْهُ مَعَكَ ، وَخُذْ
مَعَكَ مِنَ الْمَالِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَعَجِّلْ ذَلِكَ ، وَلَا تُقْصِرْ
فِي طَلَبِ الْعُلُومِ وَإِنْ أَكْثَرْتَ فِيهِ النَّفَقَةَ ، فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي
خَزَائِنِي مَبْدُورٌ لَكَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ . وَأَمْرٌ بِإِحْضَارِ الْمُنْجِمِينَ ؛
فَاخْتَارُوا لَهُ يَوْمًا يَسِيرُ فِيهِ ، وَسَاعَةً صَالِحَةً يَخْرُجُ فِيهَا . وَحَمَلَ
مَعَهُ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ جِرَابًا ؛ كُلُّ جِرَابٍ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافِ
دِينَارٍ . فَلَمَّا قَدِمَ بَرَزَوِيهِ بِلَادِ الْهِنْدِ طَافَ بِبَابِ الْمَلِكِ وَمَجَالِسِ
السُّوقَةِ ^(١) ، وَسَأَلَ عَنْ خَوَاصِّ الْمَلِكِ وَالْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْفَلَافَةِ ؛ فَعَمَلَ يَغْشَاهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَيَتَلَقَّاهُمْ بِالتَّحِيَّةِ ،
وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِمَ بِبِلَادِهِمْ لِطَلَبِ الْعُلُومِ وَالْأَدَبِ ،

شَيْئًا ، وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ يَسْتُرُ بَغِيَّتَهُ وَحَاجَتَهُ . وَاتَّخَذَ فِي تِلْكَ
الْحَالَةِ لِطَوْلِ مَقَامِهِ أَصْدِقَاءَ كَثِيرَةً مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْفَلَاسِفَةِ وَالشُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةٍ وَصِنَاعَةٍ ، وَكَانَ قَدْ
اتَّخَذَ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهِ رَجُلًا وَاعِدًا قَدْ اتَّخَذَهُ لِسِرِّهِ وَمَا يُحِبُّ
مُشَاوَرَتَهُ فِيهِ ، لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ ، وَاسْتَبَانَ لَهُ مِنْ
صِحَّةِ إِخَانِهِ ، وَكَانَ يُشَاوِرُهُ فِي الْأُمُورِ ، وَيَرْتَاحُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ
مَا أَمَّهُ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ مِنْهُ الْأَمْرَ الَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ لِكَيْ
يَبْلُوهُ وَيَجْبُرَهُ ، وَيَنْظُرَ هَلْ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّهِ . فَقَالَ
لَهُ يَوْمًا وَهَمًّا جَالِسَانِ : يَا أَحِي مَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرِي
فَوْقَ الَّذِي كَتَمْتُكَ . فَأَعْلَمَ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ ، وَهُوَ غَيْرُ الَّذِي
يُظْهِرُ مِنِّي ، وَالْعَاقِلُ يَكْتُمُنِي مِنَ الرَّجُلِ بِالْعَلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ ،
حَتَّى يَعْلَمَ سِرَّ نَفْسِهِ وَمَا يُضْمِرُهُ قَلْبُهُ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : إِنْ
هَذَا لَمْ يَكُنْ بَدَأْتُكَ ، أَخَذْتُكَ بِمَا حَفَّتَ لَهُ ، وَإِنَّا نَوْتَرِدُ ،

وَأَنَّكَ تَكْتُمُ أَمْرًا تَطْلُبُهُ ، وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ ، مَا خَفِيَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْكَ .

اسْتَنَانَ مَا تُخْفِيهِ مِنِّي . فَأَمَّا إِذَا قَدْ أَظْهَرْتَ ذَلِكَ ، وَأَفْصَحْتَ

بِهِ وَبِالْكَلَامِ فِيهِ ، فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنِ نَفْسِكَ ، وَمُظْهِرُكَ لِكَ سِرِّيرَتِكَ ،
وَمُعْلِمُكَ بِحَالِكَ الَّتِي قَدِمْتَ لَهَا ، فَإِنَّكَ قَدِمْتَ بِإِلَادِنَا لِتَسْلُبَنَا
كُنُوزَنَا النَّفِيسَةَ ، فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَتَسْرِبَهَا مَلَكَكَ .
وَكَانَ قُدُومُكَ بِالْمَلِكِ وَالْخَدِيعَةَ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَرِيحَكَ ،

وَمُوَاطَبَتِكَ عَلَى طَلْبِ حَاجَتِكَ ، وَالتَّحْفِظِ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ
الْكَلَامُ ، مَعَ طُولِ مُكْنِكَ عِنْدَنَا ، بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سِرِّيرَتِكَ
وَأُمُورِكَ ، أَزْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ ، وَثِقَةً بِعَقْلِكَ ، فَأَخْبَيْتُ
مُودَتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرِ فِي الرِّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْضَنُ مِنْكَ عَقْلًا ،
وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا ، وَلَا أَصْبِرُ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ وَلَا أَكْتُمُ لِسِرِّهِ
مِنْكَ ، وَلَا سِيَمًا فِي بِلَادِ غُرْبَةٍ ، وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ ، عِنْدَ
قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَّتَهُمْ . وَإِنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ لَيَبِينُ فِي ثَمَانِي خِصَالٍ :
الْأُولَى الرَّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا .
وَالثَّالِثَةُ طَاعَةُ الْمُلُوكِ ، وَالتَّحَرُّى لِمَا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ

الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ .
 وَالْحَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلِقَ اللِّسَانَ ^(١) .
 وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَسِرِّ غَيْرِهِ حَافِظًا . وَالسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ
 عَلَى لِسَانِهِ قَادِرًا ، فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يَأْمَنُ تَبِعْتَهُ . وَالثَّامِنَةُ
 إِنْ كَانَ بِالْمَحْضِلِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا يُسْأَلُ عَنْهُ . فَمَنْ اجْتَمَعَتْ
 فِيهِ هَذِهِ الْخِصَالُ كَانَ هُوَ الدَّاعِي الْخَيْرِ إِلَى نَفْسِهِ . وَهَذِهِ
 الْخِصَالُ كُلُّهَا قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيكَ ، وَبَانَتْ لِي مِنْكَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 يَحْفَظُكَ ، وَيُعِينُكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ ، فَمُصَادَقْتُكَ إِيَّايَ ، وَإِنْ
 كَانَتْ أَسَانِدُ كَثِيرَةً مِنْكَ ، وَمَعْدَنُكَ أَهْلًا لِأَنْ تُسْعَفَ ،

بِحَاجَتِكَ ، وَتُسْفَعَ بِطَلِبَتِكَ ^(٢) ، وَتُعْطَى سُؤْلُكَ ^(٣) . فَقَالَ لَهُ بَرَزَوِيهِ :
 إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّأْتُ كَلَامًا كَثِيرًا ، وَشَعَبْتُ لَهُ شُعُوبًا ، وَأَنْشَأْتُ
 لَهُ أَصُولًا وَطُرُقًا ، فَلَمَّا أَنْتَهَيْتَ إِلَى مَا بَدَأْتَنِي بِهِ مِنْ إِطْلَاعِكَ
 عَلَى أَمْرِي وَالَّذِي قَدِمْتُ لَهُ ، وَالْقَيْتَهُ عَلَيَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ ،

مَعَكَ ، وَعَرَفْتُ الْكَبِيرَ مِنْ أُمُورِي بِالصَّغِيرِ مِنَ الْكَلَامِ ،
 وَاقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى الْإِيْجَازِ . وَرَأَيْتُ مِنْ إِسْعَافِكَ إِيَّايَ
 بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَفَائِكَ : فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا
 أُتِيَ إِلَى الْفَيْلَسُوفِ ، وَالسَّرَّ إِذَا اسْتُودِعَ إِلَى اللَّيْبِ الْحَافِظِ ،
 فَقَدْ حُصِّنَ وَبُلِغَ بِهِ نِهَآيَةَ أَمَلِ صَاحِبِهِ ، كَمَا يُحْصَنُ الشَّيْءُ
 النَّفِيسُ فِي الْقِلَاعِ الْحَصِينَةِ . قَالَ لَهُ الْهِنْدِيُّ : لَا شَيْءَ أَفْضَلُ
 مِنَ الْمَوَدَّةِ . وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَخْلِطَهُ الرَّجُلُ
 بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَدْنَحِرَ عَنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكْتُمُهُ سِرًّا : فَإِنَّ حِفْظَ السَّرِّ
 رَأْسُ الْأَدَبِ . فَإِذَا كَانَ السَّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكَتُومِ فَقَدْ احْتَرَزَ
 مِنَ التَّضْيِيعِ ، مَعَ أَنَّهُ خَلِيقٌ إِلَّا يَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَلَا يَتَمَّ سِرٌّ بَيْنَ اثْنَيْنِ

قَدْ عَلِمَاهُ وَتَفَاوَضَاهُ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسَّرِّ اثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ
 مِنْ جِهَةِ أَحَدِهِمَا ، فَإِذَا صَارَ إِلَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ ، حَتَّى
 لَا يَسْتَطِيعُ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْعِدَهُ وَيُكَابِرَ عَنْهُ ، كَالْغَيْمِ إِذَا كَانَ
 مُتَقَطِّعًا فِي السَّمَاءِ فَقَالَ قَائِلٌ : هَذَا غَيْمٌ مُتَقَطِّعٌ ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ
 عَلَى تَكْذِيبِهِ . وَأَنَا قَدْ يَدَاخِلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ وَخِلَاطِكَ سُرُورٌ

لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ
 الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُكْتَمُ ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشَوْ وَيُظْهَرَ ، حَتَّى يَتَحَدَّثَ
 بِهِ النَّاسُ . فَإِذَا فَشَا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَاكِ هَلَاكًا لَا أَقْدِرُ
 عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ : لِأَنَّ مَلِكًا فَظًّا غَلِيظًا ، يُعَاقِبُ
 عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ ؛ فَكَيْفَ مِثْلُ هَذَا الذَّنْبِ
 تَأْتِي دُونَكَ الْفِتْنَةُ وَالْجَبَلُ وَالْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ وَالْمَلِكَةُ وَالْمَلِكَةُ

لَمْ يَرِدْ عِقَابُهُ عَنِّي شَيْءٌ . قَالَ بَرْزَوِيهِ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتْ
 الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى الْفُوزِ . وَهَذَا الْأَمْرُ
 الَّذِي قَدِمْتُ لَهُ ، لِمِثْلِكَ ذَنْبُهُ ، وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ ؛ وَأَنَا وَاثِقٌ
 بِكْرَمِ طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنِّي وَلَا تَخَافُ

فَأَكَبَّ عَلَى تَفْسِيرِهِ وَنَقَلَهُ مِنَ اللِّسَانِ الهِنْدِيِّ إِلَى اللِّسَانِ الفَارِسِيِّ ؛
وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ ، وَأَنْصَبَ بَدَنَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ وَجِلٌّ
وَفَزِعٌ مِنْ مَلِكِ الهِنْدِ ؛ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ المَلِكُ
الِكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِفُهُ فِي نَخَائِنِهِ . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ
اِنتِسَاحِ الكِتَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ الكُتُبِ . كَتَبَ إِلَى
أَنُوشِرْوَانَ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الكِتَابُ ، سَرَّ بِذَلِكَ
سُرُورًا شَدِيدًا ؛ ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ المَقَادِيرِ أَنْ تُنْغِصَ عَلَيْهِ فَرَحَهُ ؛
فَكَتَبَ إِلَى بَرْزَوِيهِ بِأَمْرِهِ بِتَعْجِيلِ القُدُومِ . فَسَارَ بَرْزَوِيهِ
مُتَوَجِّهًا نَحْوَ كِسْرَى . فَلَمَّا رَأَى المَلِكُ مَا قَدَّمَ لَهُ مِنَ الشُّحُوبِ ^(١)
وَالتَّعَبِ وَالنَّصَبِ ، قَالَ لَهُ : أَيُّهَا العَبْدُ النَّاصِحُ الَّذِي يَأْكُلُ ثَمْرَةَ
مَا قَدَّمَ غَرَسَ ، أَبَشِرْ وَقَرَّ عَيْنًا : فَإِنِّي مُشْرَفُكَ وَبَالِغُكَ أَفْضَلَ
دَرَجَةٍ . وَأَمْرُهُ أَنْ يَرِيحَ بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الثَّامِنُ ،
أَمَرَ المَلِكُ أَنْ يَجْتَمَعَ إِلَيْهِ الأَمْرَاءُ وَالعُلَمَاءُ . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا ،
أَمَرَ بَرْزَوِيهِ بِالحُضُورِ . فَحَضَرَ وَمَعَهُ الكُتُبُ ؛ فَفَتَحَهَا وَقَرَأَهَا

(١) تغير اللون من السفر ونحوه .

عَلَى مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ . فَلَمَّا سَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ
فَرِحُوا فَرَحًا شَدِيدًا ، وَشَكَرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ ، وَمَدَحُوا
بِرِزْوِيهِ وَأَثَنُوا عَلَيْهِ ، وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ تُفْتَحَ لِبِرِزْوِيهِ خَزَائِنُ اللُّوْلُؤِ
وَالزَّبَرْجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ؛ وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ
الْخَزَائِنِ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ أَوْ كِسْوَةٍ ؛ وَقَالَ : يَا بِرِزْوِيهِ إِنِّي قَدْ
أَمَرْتُ أَنْ يُجْلَسَ عَلَيَّ مِثْلُ سِرِيرِي هَذَا ، وَتُلْبَسَ تَاجًا ،
وَتَتَرَأَسَ عَلَيَّ بِجَمِيعِ الْأَشْرَافِ . فَسَجَدَ بِرِزْوِيهِ لِلْمَلِكِ وَدَعَا لَهُ
وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ وَقَالَ : أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلِكَ كَرَامَةَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، وَأَحْسَنَ عَنِّي ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ ؛ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مُسْتَعِينٌ
عَنِ الْمَالِ بِمَا رَزَقَنِي اللَّهُ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْجَدِّ ، الْعَظِيمِ
الْمَلِكِ ؛ وَلَا حَاجَةَ لِي بِالْمَالِ ؛ لَكِن لَمَّا كَلَّفَنِي الْمَلِكُ ذَلِكَ
وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسْرُهُ ، أَنَا أَمْضِي إِلَى الْخَزَائِنِ فَأَخُذُ مِنْهَا طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ
وَأَمْتِنًا لِأَمْرِهِ . ثُمَّ قَصَدَ خِزَانَةَ الثِّيَابِ فَأَخَذَ مِنْهَا تَحْتًا مِنْ
طَرَائِفِ خِرَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ . فَلَمَّا قَبِضَ بِرِزْوِيهِ

مَا أَخْتَارَهُ وَرَضِيَهُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ : أَكْرَمَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَمَدَّ
 فِي عُمُرِهِ أَبَدًا . لَا بُدَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ ،
 وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتَوْجَبَهُ تَعَبًا وَمَشَقَّةً فَقَدْ كَانَ فِيهِمَا رِضَا الْمَلِكِ .
 وَأَمَّا أَنَا فَمَا لَقِيْتَهُ مِنْ عَنَاءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ ، لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ
 فِيهِ الشَّرْفَ يَا أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ ! فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَابِعًا
 رِضًا كُمْ ، أَرَى الْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا . وَالشَّاقَّ هِينًا ، وَالنَّصَبَ
 وَالْأَذَى سُورًا وَلَذَّةً : لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضًا وَقُرْبَةً عِنْدَكُمْ .
 وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسَعِفُنِي بِهَا ، وَتُعْطِينِي فِيهَا
 سُورِي : فَإِنَّ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ ، وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ . قَالَ
 أَنْوِشِرَوَانُ : قُلْ فَكُلِّ حَاجَةٍ لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَةٌ : فَإِنَّكَ عِنْدَنَا
 عَظِيمٌ ، وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَكَتَنَا فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا ، وَلَمْ نَرُدَّ طَلِبَتَكَ ،
 فَكَيْفَ مَا سِوَى ذَلِكَ ؟ فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمْ . فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا
 مَبْدُولَةٌ لَكَ . قَالَ بَرَزَوِيهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي
 فِي رِضَاكَ وَإِنْ كَاشَى فِي طَاعَتِكَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي بَدَلُ

مُهَجَّتِي فِي رِضَاكَ ، وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا
 وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ ، وَلَكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَدًا إِلَى مُجَازَاتِي ،
 وَخَصَّنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بِعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ وَرَفْعِ الدَّرَجَةِ ، حَتَّى لَوْ قَدَّرَ
 أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ . بِحُزَاهُ اللَّهُ عَنَّا
 أَفْضَلَ الْجَزَاءِ . قَالَ أَنْوَشِرَوَانُ : أَذْكَرَ حَاجَتَكَ ، فَعَلَى مَا يُسْرُكَ .
 فَقَالَ بَرَزَوِيهِ : حَاجَتِي أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ ، أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ،
 وَزِيرَهُ بَزْرَجْمَهْرَ بْنَ الْبَخْتِكَانِ ، وَيُقْسِمَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمَلَ فِكْرُهُ ،
 وَيَجْمَعَ رَأْيَهُ ، وَيَجْهَدَ طَاقَتَهُ ، وَيُفْرِغَ قَلْبَهُ فِي نَظْمِ تَأْلِيفِ
 كَلَامٍ مُتَقَنٍ مُحْكَمٍ ، وَيَجْعَلُهُ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصِفُ حَالِي ،
 وَلَا يَدْعُ مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي ذَلِكَ أَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَيَأْمُرُهُ
 إِذَا أَسْتَتَمَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ الَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْأَسَدِ
 وَالشَّوْرِ : فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ
 الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ ، وَأَبْقَى لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى
 الْأَبَدِ حَيْثُمَا قُرِيَ هَذَا الْكِتَابُ .

فَلَمَّا سَمِعَ كَسْرَهُ ، أَنَّهُ شَرَّ وَأَنَّ الْعُظَمَاءَ مَقَالَتَهُ ، مَرَّ سَمَتْ أَنَّهُ نَفْسُهُ

مِنْ مَحَبَّةِ إِبْقَاءِ الذِّكْرِ اسْتَحْسَنُوا طَلِبَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ ، وَقَالَ كِسْرِي :
 حُبًّا وَكَرَامَةً لَكَ يَا بَرَزَوِيهِ ، إِنَّكَ لِأَهْلٌ أَنْ تُسَعَفَ بِحَاجَتِكَ ،
 فَمَا أَقَلَّ مَا قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرُهُ عِنْدَنَا ! وَإِنْ كَانَ خَطَرُهُ عِنْدَكَ
 عَظِيمًا . ثُمَّ أَقْبَلَ أَنْوَشِرَوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بَرَزَجْمَهْرَ فَقَالَ لَهُ : قَدْ
 عَرَفْتَ مُنَاصِحَةَ بَرَزَوِيهِ لَنَا ، وَتَجَشُّمَهُ^(٢) الْمَخَافِ وَالْمَهَالِكِ فِيمَا يُقْرِبُهُ
 مِنَّا ، وَإِتْعَابَهُ بَدَنَهُ فِيمَا يَسْرُنَا ، وَمَا أَتَى بِهِ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ،
 وَمَا أَفَادَنَا اللَّهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا نَفْرَهُ ، وَمَا
 عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ بِذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَلَمْ تَمَلْ
 نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَانَ بَغِيئَهُ وَطَلِبَتَهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَأَاهُ
 هُوَ الثَّوَابَ مِنَّا لَهُ وَالْكَرَامَةَ الْجَلِيلَةَ عِنْدَهُ ، فَيَأْتِي أَحِبُّ أَنْ تُتَكَلَّمَ
 فِي ذَلِكَ وَتُسَعِفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلِبَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَسْرُنِي ،
 وَلَا تَدْعُ شَيْئًا مِنَ الْإِجْتِهَادِ وَالْمُبَالِغَةِ إِلَّا بَلَغْتَهُ ، وَإِنْ نَالَكَ فِيهِ
 مَشَقَّةٌ . وَهُوَ أَنْ تُكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا لِتِلْكَ الْأَبْوَابِ الَّتِي
 فِي الْكِتَابِ ، وَتَذْكُرَ فِيهِ فَضْلَ بَرَزَوِيهِ ، وَكَيْفَ كَانَ ابْتِدَاءُ

أمره وشأنه ، وتنسبه إليه وإلى حسبه وصناعته ، وتذكر فيه

بعثته إلى بلاد الهند في حاجتنا ، وما أقدنا على يديه من هنالك ،
 وشرفنا به وفضلنا على غيرنا ، وكيف كان حال برزويه وقدمه
 من بلاد الهند ، فقل ما تقدر عليه من التثريظ والإطناب
 في مدحه ، وبالغ في ذلك أفضل المبالغة واجتهد في ذلك اجتهاداً
 يسر برزويه وأهل المملكة . وإن برزويه أهل لذلك مني ومن
 جميع أهل المملكة ومنك أيضاً : لمحببتك للعلوم . واجهد أن
 يكون غرض هذا الكتاب الذي ينسب إلى برزويه أفضل من
 أغراض تلك الأبواب عند الخاص والعام ، وأشد مشاكلة لحال
 هذا العلم : فإنك أسعد الناس كلهم بذلك : لانفرادك بهذا
 الكتاب ، وأجعله أول الأبواب . فإذا أنت عملته ووضعتة
 في موضعه فأعلنني لأجمع أهل المملكة وتقرأه عليهم ، فيظهر فضلك
 واجتهادك في محبتنا ، فيكون لك بذلك نحر . فلما سمع برزويه
 مقالة الملك نحر له ساجداً ، وقال : أدام الله لك أيها الملك
 البقاء ، وبلغك أفضل منازل الصالحين في الآخرة والأولى ،
 أما شئت ذلك شئت فقل لا اله الا الله محمد بن محمد بن

عِنْدِ الْمَلِكِ ، فَوَصَفَ بَرَزَوِيهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ أَبَوَاهُ إِلَى الْمَعْلَمِ ،
 وَمُضِيَّهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعَقَاقِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ ؛ وَكَيْفَ تَعَلَّمَ
 خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ ؛ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ أَنْوَشِرَوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ
 الْكِتَابِ . وَلَمْ يَدْعُ مِنْ فَضَائِلِ بَرَزَوِيهِ وَحِكْمَتِهِ وَخَلَائِقِهِ
 وَمَذْهَبِهِ أَمْرًا إِلَّا نَسَقَهُ ، وَأَتَى بِهِ بِأَجُودِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّرْحِ .
 ثُمَّ أَعْلَمَ الْمَلِكُ بِفِرَاغِهِ مِنْهُ . فَجَمَعَ أَنْوَشِرَوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ
 مَمْلَكَتِهِ ، وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ ؛ وَأَمَرَ بَرَزَوِيَّ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ ،
 وَبَرَزَوِيَّهُ قَائِمًا إِلَى جَانِبِ بَرَزَوِيَّ ، وَأَبْتَدَأَ بِوَصْفِ بَرَزَوِيَّهُ
 حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ . فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بِرَزَوِيَّ مِنْ
 الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ . ثُمَّ أَتَى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَهُ عَلَى بَرَزَوِيَّ ،
 وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ ؛ وَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِمَالِ جَزِيلٍ وَكُسُوفَةٍ وَحُلِيِّ
 وَأَوَانٍ ؛ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسُوفَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ
 الْمُلُوكِ . ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذَلِكَ بَرَزَوِيَّهُ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ ؛ وَأَقْبَلَ
 بَرَزَوِيَّهُ عَلَى الْمَلِكِ وَقَالَ : أَدَامَ اللَّهُ لَكَ الْمُلْكَ وَالسَّعَادَةَ فَقَدْ
 بَلَغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ بِمَا أَمَرْتَ بِهِ بِرَزَوِيَّ مِنْ صُنْعِهِ
 الْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَإِبْقَاءِ ذِكْرِي .

(١) أصول الأدوية مفردة عقار .

بَابُ عَرَضِ الْكِتَابِ . تَرْجَمَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقَفَّعِ

هَذَا كِتَابٌ كَلِيلَةٌ وَدِمْنَةٌ ، وَهُوَ مِمَّا وَضَعَهُ عَلِمَاءُ الْهِنْدِ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي أَهْمُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّحْوِ الَّذِي أَرَادُوا . وَلَمْ تَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ مِلَّةٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ عَنْهُمْ ، وَيَحْتَالُونَ فِي ذَلِكَ بِصُنُوفِ

الْحِيلِ ، وَيَبْتَغُونَ إِحْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلَلِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ تِلْكَ الْعِلَلِ وَضَعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ . فَاجْتَمَعَ لَهُمْ بِذَلِكَ خِلَالٌ . أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُتَصَرِّفًا فِي الْقَوْلِ وَشِعَابًا يَأْخُذُونَ مِنْهَا . وَأَمَّا الْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْوًا : فَاخْتَارَهُ الْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ . وَالسُّفَهَاءُ لِللَّهْوِ ، وَالْمُتَعَلِّمُونَ مِنَ الْأَحْدَاثِ نَاشِطٌ فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبِطُ فِي صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ ، بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ . وَكَانَ كَالرَّجُلِ الَّذِي لَمَّا اسْتَكَلَّ الرَّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبْوِيهَ قَدْ كَنَزَا لَهُ كُنُوزًا وَعَقْدًا لَهُ عُقُودًا اسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْكُدْحِ فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ ، فَاعْتَنَاهُ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكْمَةِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وَجُوهِ الْأَدَبِ .

وَيَبْغِي لِمَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهَ الَّتِي وُضِعَتْ
 لَهُ ؛ وَإِلَى أَى غَايَةٍ جَرَى مُؤَلَّفُهُ فِيهِ عِنْدَ مَا نَسَبَهُ إِلَى الْبَهَائِمِ
 وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْضَاعِ الَّتِي جَعَلَهَا
 أَمْثَالًا : فَإِنَّ قَارِئَهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمْ يَذِرْ مَا أُرِيدَ بِتِلْكَ الْمَعَانِي ،
 وَلَا أَى ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا ، وَلَا أَى نَتِيجَةٍ تَحْضُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ
 مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ . وَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ غَايَتُهُ اسْتِثْمَامَ قِرَاءَتِهِ إِلَى
 آخِرِهِ دُونَ مَعْرِفَةِ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ .
 وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ الْعُلُومِ وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ ؛ مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ
 الرَّوِيَّةِ فِيهَا يَقْرُوهُ ، كَانَ خَلِيقًا إِلَّا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الرَّجُلَ
 الَّذِي زَعَمَتِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ اجْتَازَ بَعْضَ الْمَفَاوِزِ ، فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ
 آثَارِ كُنْزٍ ؛ بِجَعَلِ يَحْفِرُ وَيَطْلُبُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَيْنِ
 وَوَرِقٍ ؛ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هَذَا الْمَالِ
 قَلِيلًا قَلِيلًا طَالَ عَلَيَّ ، وَقَطَعَنِي الْإِسْتِغَالُ بِنَقْلِهِ وَإِحْرَازِهِ عَنِ
 اللَّذَّةِ بِمَا أَصَبْتُ مِنْهُ ؛ وَلَكِنْ سَأَسْتَأْجِرُ أَقْوَامًا يَحْمِلُونَهُ إِلَى مَنْزِلِي ،
 وَأَكُونُ أَنَا آخِرُهُمْ ، وَلَا يَكُونُ بَقِي وَرَائِي شَيْءٌ يَشْغَلُ فِكْرِي

يَنْقَلِه ؛ وَأَكُونُ قَدْ اسْتَظْهَرْتُ لِنَفْسِي فِي إِرَاحَةٍ بَدَنِي عَنِ الْكَدِّ
 بِسِيرِ أَجْرَةٍ أُعْطِيهِمْ إِيَّاهَا . ثُمَّ جَاءَ بِالْحَمَّالِينَ ، فَجَعَلَ يَحْمِلُ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ مَا يُطِيقُ ، فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ فَيَفُوزُ بِهِ ؛ حَتَّى لَمْ يَبْقَ
 مِنَ الْكِنْتِ شَيْءٌ . فَانْطَلَقَ ، خَلْفَهُ الْمَاءُ ، مِثْلَهُ . فَلَا يَحْدُ فِيهِ مِنَ

الْمَالِ شَيْئًا ، لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا . وَإِذَا كُتِلَ وَاحِدٌ مِنَ الْحَمَّالِينَ
 قَدْ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْعَنَاءُ
 وَالتَّعَبُ : لِأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ . وَكَذَلِكَ مَنْ قَرَأَ هَذَا
 الْكِتَابَ ، وَلَمْ يَقُمْ مَا فِيهِ ، وَلَمْ يَتَوَلَّ غَضَبَهُ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا

يَقِفُ عَلَى مَعَانِيهَا . ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَحْفَلٍ مِنْ أَهْلِ
 الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، فَأَخَذَ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ ، بَحَرَّتْ لَهُ كَلِمَةٌ أَخْطَأَ فِيهَا ؛
 فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْجَمَاعَةِ : إِنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ ، وَالْوَجْهُ غَيْرُ مَا تَكَلَّمْتَ
 بِهِ . فَقَالَ وَكَيْفَ أَخْطِئُ وَقَدْ قَرَأْتُ الصَّحِيفَةَ الصَّفْرَاءَ ، وَهِيَ
 فِي مَنْزِلِي ؟ فَكَانَتْ مَقَالَتُهُ لَهُمْ أَوْجَبَ لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِ وَزَادَهُ ذَلِكَ
 قُرْبًا مِنَ الْجَهْلِ وَبُعْدًا مِنَ الْأَدَبِ .

ثُمَّ إِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا فَهِمَ هَذَا الْكِتَابَ وَبَلَغَ نِهَآيَةَ عَلَيْهِ فِيهِ ،
 يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عِلْمٌ مِنْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ ، وَيَجْعَلَهُ مِثَالًا
 لَا يَحْدُ عَنْهُ . فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، كَانَ مِثْلَهُ كَالْحَا الَّذِي

اللصّ قَدْ أَخَذَ الْمَتَاعَ وَفَازَ بِهِ . فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يَلُومُهَا ،
 وَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ بِاللَّصِّ : إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ فِي أَمْرِهِ
 مَا يَجِبُ . فَالْعِلْمُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَمَلِ ، وَهُوَ كَالشَّجَرَةِ وَالْعَمَلُ بِهِ
 كَالثَّمَرَةِ . وَإِنَّمَا صَاحِبُ الْعِلْمِ يَقُومُ بِالْعَمَلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ ؛ وَإِنْ
 لَمْ يَسْتَعْمِلْ مَا يَعْلَمُ لَا يُسَمَّى عَالِمًا . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَالِمًا
 بِطَرِيقِ مَخُوفٍ ، ثُمَّ سَلَكَهُ عَلَى عِلْمٍ بِهِ ، سُمِّيَ جَاهِلًا ؛ وَلَعَلَّهُ إِنْ

أَعْرَفُ بِضَرَرِهَا فِيهِ وَأَذَاهَا مِنْ ذَلِكَ السَّالِكِ فِي الطَّرِيقِ
 الْمَخُوفِ الَّذِي قَدْ جَهَلَهُ . وَمَنْ رَكِبَ هَوَاهُ وَرَفَضَ مَا يَنْبَغِي
 أَنْ يَعْمَلَ بِمَا جَرَّبَهُ هُوَ أَوْ أَعْلَمَهُ بِهِ غَيْرُهُ ، كَانَ كَالْمَرِيضِ الْعَالِمِ

إِلَى حُفْرَةٍ فَوْقَهَا فِيهَا ، كَانَا إِذَا صَارَا فِي قَاعِهَا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛
غَيْرَ أَنَّ الْبَصِيرَ أَقْلُ عُدْرًا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الضَّرِيرِ : إِذْ كَانَتْ لَهُ
عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ؛ وَذَلِكَ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ جَاهِلٌ غَيْرٌ عَارِفٌ .

وَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَيُودِبَهَا بِعِلْمِهِ ، وَلَا تَكُونَ غَايَتُهُ
اِقْتِنَاؤُهُ الْعِلْمَ لِمُعَاوَنَةِ غَيْرِهِ ، وَيَكُونُ كَالْعَيْنِ الَّتِي يَشْرَبُ النَّاسُ
مَاءَهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمَنْفَعَةِ ، وَكَدُودَةِ الْقَرْزِ الَّتِي
تُحْكَمُ صِنْعَتُهُ وَلَا تَنْتَفِعُ بِهِ . فَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَبْدَأَ
بِعِظَةِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَقْبِسَهُ ^(١) ؛ فَإِنَّ خِلَالَ مَا يَنْبَغِي
لِصَاحِبِ الدُّنْيَا أَنْ يَقْتَنِيَهَا وَيُقْبِسَهَا : مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْمَالُ . وَمِنْهَا
اِتِّخَاذُ الْمَعْرُوفِ . وَلَيْسَ لِلْعَالِمِ أَنْ يَعِيبَ أَمْرًا بِشَيْءٍ فِيهِ مِثْلُهُ ،
وَيَكُونُ كَالْأَعْمَى الَّذِي يُعِيرُ الْأَعْمَى بِعِمَامَةٍ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ
أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ غَايَةٌ وَنِهَآيَةٌ ، وَيَعْمَلُ بِهَا ، وَيَقِفَ عِنْدَهَا ؛
وَلَا يَتَمَادَى فِي الطَّلَبِ ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ سَارَ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ

(١) أقبسه العلم وقبسه إياه يقبسه : أفاده إياه ، ويقال : اقتبست منه علما وقبست استفدت

يُوشِكُ أَنْ تَنْقَطِعَ بِهِ مَطِيئَتُهُ ، وَأَنَّهُ كَانَ حَقِيقًا ^(١) أَلَّا يَعْنِي نَفْسَهُ
 فِي طَلِبِ مَا لَا حَدَّ لَهُ ، وَمَا لَمْ يَنْلَهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَلَا يَتَأَسَفَ
 عَلَيْهِ ؛ وَلَا يَكُونُ لِدُنْيَاهُ مُؤَثِّرًا عَلَى آخِرَتِهِ : فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَعْطُقْ قَلْبَهُ
 بِالغَايَاتِ قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهَا . وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ
 إِنَّهُمَا يَجْمَلَانِ بِكُلِّ أَحَدٍ : أَحَدُهُمَا النَّسْكُ ^(٢) وَالْآخَرُ الْمَالُ الْحَلَالُ
 وَلَا يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يُوْتَبَّ نَفْسَهُ عَلَى مَا فَاتَهُ وَلَيْسَ فِي مَقْدُورِهِ ؛
 فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ لَهُ مَا سَأَلَهُ ، وَلَا نَكَدَ فِي حُسْنَانِهِ ، وَمَنْ أَمثال

الْحِنْطَةَ . ثُمَّ بَسَطَ قَيْصَهُ لِيَصُبَّ عَلَيْهِ الْحِنْطَةَ . فَقَالَ الرَّجُلُ :
 أَيَذْهَبُ هَذَا بِالْحِنْطَةِ وَلَيْسَ وَرَأَى سِوَاهَا ؟ فَيَجْتَمِعُ عَلَيَّ مَعَ
 الْعُرَى ذَهَابُ مَا كُنْتُ أَقْتَاتُ بِهِ . وَمَا تَجْتَمِعُ وَاللَّهِ هَاتَانِ
 الْخَلَّتَانِ عَلَيَّ أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَكَاهُ . ثُمَّ صَاحَ بِالسَّارِقِ ، وَأَخَذَ هِرَاوَةً^(١)
 كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْسَّارِقِ حِيلَةٌ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ ، وَتَرَكَ
 قَيْصَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ ، وَغَدَا الرَّجُلُ بِهِ كَاسِيًا ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ
 تَكُونَ الْإِثْمَانُ هَذَا وَتُدْعَى مَا نَحَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَذَرِ وَالْعَوْلِ فِي

مِثْلِ هَذَا لِصَلَاحِ مَعَاشِهِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ تَوَاتَيْهِ الْمَقَادِيرُ
 وَتُسَاعِدُهُ عَلَى غَيْرِ التَّمَاسِكِ مِنْهُ : لِأَنَّ أَوْلِيَّكَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ ،
 وَالْجُمْهُورُ مِنْهُمْ مَنْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِي الْكَدِّ وَالسَّعْيِ فِيمَا يُصْلِحُ
 أَمْرَهُ وَيَنَالُ بِهِ مَا أَرَادَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حِرْصُهُ عَلَى مَا طَابَ
 كَسْبُهُ وَحَسَنَ نَفْعُهُ ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لِمَا يَجْلِبُ عَلَيْهِ الْعَنَاءُ
 وَالشَّقَاءُ ، فَيَكُونُ كَالْحَمَامَةِ الَّتِي تُفْرِخُ الْفِرَاحَ فَتُوَخَّذُ وَتُدْبَجُ ،
 ثُمَّ لَا يَمْنَعُهَا ذَلِكَ أَنْ تَعُودَ فَتُفْرِخَ مَوْضِعَهَا ، وَتُقِيمَ بِمَكَانِهَا فَتُوَخَّذَ

الثَّانِيَةُ مِنْ فِرَاحِهَا فَتُذَبِّحُ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ
لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا يُوقَفُ عَلَيْهِ . وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي أَشْيَاءِ حَدِّهَا
أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَهُ التَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِهَا . وَيُقَالُ : مَنْ كَانَ سَعْيُهُ
لِآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ فَحْيَاثُهُ لَهُ وَعَلَيْهِ . وَيُقَالُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ يَجِبُ
عَلَى صَاحِبِ الدُّنْيَا إِضْلَاحُهَا وَبَدَلُ جُهِدِهِ فِيهَا : مِنْهَا أَمْرُ
مَعِيشَتِهِ ، وَمِنْهَا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَمِنْهَا مَا يَكْسِبُهُ الذِّكْرُ
الْجَمِيلَ بَعْدُ . وَقَدْ قِيلَ فِي أُمُورٍ مِنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْتَقِمَّ لَهُ عَمَلٌ .
مِنْهَا التَّوَانِي ، وَمِنْهَا تَضْيِيعُ الْفُرْصِ ، وَمِنْهَا التَّضَدِيقُ لِكُلِّ
مُخْبِرٍ . فَرُبَّ مُخْبِرٍ بِشَيْءٍ عَقَلَهُ وَلَا يَعْرِفُ اسْتِقَامَتَهُ فَيُصَدِّقُهُ .
وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لِهَوَاهُ مَتَبَعًا ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ
حَدِيثًا ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الْخَطَا إِذَا ظَهَرَ لَهُ خَطْوُهُ وَلَا يُقَدِّمُ
عَلَى أَمْرٍ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ ، وَتَتَضَحَّ لَهُ الْحَقِيقَةُ ، وَلَا
يَكُونُ كَالرَّجُلِ الَّذِي يَحِيدُ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَيَسْتَمِرُّ عَلَى الضَّلَالِ ،
فَلَا يَزْدَادُ فِي السَّيْرِ إِلَّا جَهْدًا ، وَعَنِ الْقَصْدِ إِلَّا بُعْدًا ،
وَكَالرَّجُلِ الَّذِي تَقْدَى عَيْنُهُ فَلَا يَزَالُ يُحْكِمُهَا ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ

الْحَكُّ سَبَبًا لِدَهَابِهَا . وَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُصَدِّقَ بِالْقَضَاءِ
وَالْقَدَرِ ، وَيَأْخُذَ بِالْحَزْمِ ، وَيُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَلَا
يَلْتَمِسَ صَلاَحَ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ
خَلِيقًا أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ التَّاجِرَ مِنْ رَفِيقِهِ .

فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ تَاجِرٌ ، وَكَانَ لَهُ شَرِيكٌ ، فَاسْتَأْجَرَ
حَانُوتًا ، وَجَعَلَ مَتَاعَهُمَا فِيهِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ الْمَنْزِلِ مِنَ
الْحَانُوتِ ؛ فَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عَدْلًا مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ ؛
وَمَكَرَ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : إِنْ أَتَيْتُ لَيْلًا لَمْ أَمِنْ أَنْ أَحْمِلَ
عَدْلًا مِنْ أَعْدَالِي أَوْ رِزْمَةً مِنْ رِزْمِي وَلَا أُعْرِفَهَا ؛ فَيَذْهَبَ
عَنَائِي وَتَعْبِي بَاطِلًا . فَأَخَذَ رِدَاءَهُ ، وَأَلْقَاهُ عَلَى الْعِدْلِ الَّذِي
أَضْمَرَ أَخْذَهُ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ . وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذَلِكَ
لِيُصْلِحَ أَعْدَالَهُ ، فَوَجَدَ رِدَاءَ شَرِيكِهِ عَلَى بَعْضِ أَعْدَالِهِ ، فَقَالَ :
وَاللَّهِ هَذَا رِدَاءُ صَاحِبِي ؛ وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ . وَمَا الرَّأْيُ
أَنْ أَدَعَهُ هَاهُنَا ؛ وَلَكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزْمِهِ ؛ فَلَعَلَّهُ يَسْبِقُنِي إِلَى

(١) الأعدال: الأمانة . (٢) الرزمة بالكسر: هالة، فما خرب من الناس .

الحَانُوتِ فَيَجِدُهُ حَيْثُ يُحِبُّ . ثُمَّ أَخَذَ الرَّدَاءَ فَأَلْقَاهُ عَلَى عِدْلِ
 مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ ، وَأَقْفَلَ الحَانُوتَ ، وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ . فَلَمَّا
 جَاءَ اللَّيْلُ أَتَى رَفِيقَهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ^(١) عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ ،
 وَضَمِنَ لَهُ جُعْلًا عَلَى حَمْلِهِ ؛ فَصَارَ إِلَى الحَانُوتِ ؛ فَالْتَمَسَ
 الإِزَارَ فِي الظُّلْمَةِ فَوَجَدَهُ عَلَى العِدْلِ ؛ فَاحْتَمَلَ ذَلِكَ العِدْلَ ،
 وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَالرَّجُلُ ، وَجُعْلًا يَتَرَاوِحَانِ^(٢) عَلَى حَمْلِهِ ؛ حَتَّى أَتَى
 مَنْزِلَهُ ، وَرَمَى نَفْسَهُ تَعَبًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَفْتَقَدَهُ فَإِذَا هُوَ بَعْضُ
 أَعْدَالِهِ ؛ فَندِمَ أَشَدَّ النَّدَامَةِ . ثُمَّ أَنْطَلَقَ نَحْوَ الحَانُوتِ ، فَوَجَدَ
 شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فَفَتَحَ الحَانُوتَ وَوَجَدَ العِدْلَ مَفْقُودًا :
 فَاعْتَمَّ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا ؛ وَقَالَ : وَاسْوَأَ تَأَهُ مِنْ رَفِيقِ صَالِحٍ
 قَدْ ائْتَمَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَّفَنِي فِيهِ ! مَاذَا يَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ ؟
 وَلَسْتُ أَشْكُ فِي تَهْمَتِهِ إِيَّايَ . وَلَكِنْ قَدْ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى
 غَرَامَتِهِ . ثُمَّ أَتَى صَاحِبَهُ فَوَجَدَهُ مُغْتَمًّا ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ ؛ فَقَالَ
 إِنِّي قَدْ افْتَقَدْتُ الأَعْدَالَ ، وَفَقَدْتُ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِكَ ، وَلَا

(١) أَعْلَمُ بِسَبَبِهِ ، وَإِنِّي لَا أَشُكُّ فِي تَهْمَتِكَ إِيَّايَ ، وَإِنِّي قَدْ وَطَّنتُ
نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ : فَإِنَّ الْحَيَانَةَ
شَرُّ مَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ ، وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ لَا يُودِيَانِ إِلَى خَيْرٍ ،
وَصَاحِبَهُمَا مَغْرُورٌ أَبَدًا ، وَمَا عَادَ وَبَالَ الْبَغْيِ إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ ،
وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ وَأَخْتَالَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَكَيْفَ
كَانَ ذَلِكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ :
مَا مَثَلُكَ إِلَّا مَثَلُ اللَّصِّ وَالتَّاجِرِ . فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟
قَالَ : زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَاطِبَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَمْلُوءَةٌ
حِنْطَةً ، وَالْأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا . فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ اللُّصُوصِ
زَمَانًا ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَيَّامِ تَشَاغَلَ التَّاجِرُ عَنِ الْمَنْزِلِ ،
فَتَغَفَّلَهُ اللُّصُّ ، وَدَخَلَ الْمَنْزِلَ ، وَكَمَّنَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ . فَلَمَّا
هَمَّ بِأَخْذِ الْحَاطِيَةِ الَّتِي فِيهَا الدَّنَانِيرُ أَخَذَ الَّتِي فِيهَا الْحِنْطَةُ ،
وَوَظَّنَهَا الَّتِي فِيهَا الذَّهَبُ ، وَلَمَّا يَزَلُ فِي كَدٍّ وَتَعَبٍ حَتَّى أَتَى بِهَا
مَنْزِلَهُ فَلَمَّا فَتَحَهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ . قَالَ لَهُ الْخَائِنُ : مَا أَبْعَدَتْ

(١) أشعر . (٢) الخابية الجبأى الجرة الضخمة وأصلها الحمز لأنها من خبا . (٣) اعتم عقلته .

المثل ، وَلَا تَجَاوَزْتَ الْقِيَّاسَ ، وَقَدْ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطِيئِي
عَلَيْكَ ، وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا كَهَذَا . غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ
الرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . فَقَبِلَ الرَّجُلُ مَعْدِرَتَهُ ، وَأَضْرَبَ عَنِ
تَوْبِيخِهِ وَعَنِ الثَّقَةِ بِهِ ، وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ مَا عَايَنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ
وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ .

وَقَدْ يَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي كِتَابِنَا هَذَا أَلَّا تَكُونَ غَايَتُهُ التَّصَفُّحَ
لِتَزَاوِيَقِهِ ، بَلْ يُشْرِفُ^(١) عَلَى مَا يَتَّضَمُّ مِنَ الْأَمْثَالِ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ
مِنْهُ ، وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ ، وَيُعْمَلَ فِيهَا رَوِيَّتُهُ ،
وَيَكُونُ مِثْلَ أَصْغَرِ الْإِخْوَةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفَ لَهُمْ أَبُوهُمْ الْمَالَ
الْكَثِيرَ ، فَتَنَّاؤُهُ^(٢) بَدَنُهُ ، فَأَمَّا الْكُفَى أَنْ فَانَّحَا أَسْمَ عَا فِي اتِّلَافِهِ

وإنفاقه في غير وجهه ؛ واما الصغير فإنه عند ما نظر ما صار إليه

مَنْزَلَتِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَأَسْتَعْنَانَاهِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَصَرَفَهُ
فِي وَجْهِهِ : مِنْ صَلَاةِ الرَّحِمِ ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْوَلَدِ ، وَالْإِفْضَالِ
عَلَى الْإِخْوَانِ . فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَا يُنْفِقُهُ فِي حُقُوقِهِ ، كَانَ
كَالَّذِي يُعَدُّ فَقِيرًا وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا . وَإِنْ هُوَ أَحْسَنَ إِمْسَاكَهُ
وَالْقِيَامَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَعْدِمِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مِنْ دُنْيَا تَبَقَى عَلَيْهِ ، وَحَمْدٍ
يُضَافُ إِلَيْهِ ، وَمَتَى قَصَدَ إِنْفَاقَهُ عَلَى غَيْرِ الْوُجُوهِ الَّتِي عَلِمْتَ ،
لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُتْلِفَهُ وَيَبْقَى عَلَى حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ . وَلَكِنَّ الرَّأْيَ
أَنْ أُمْسِكَ هَذَا الْمَالَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْفَعَنِي اللَّهُ بِهِ : وَيُغْنِي
أَخَوَى عَلَى يَدَيَّ : فَإِنَّمَا هُوَ مَالُ أَبِي وَمَالُ أَبِيهِمَا . وَإِنْ أَوْلَى
الْإِنْفَاقِ عَلَى صَلَاةِ الرَّحِمِ وَإِنْ بَعُدَتْ ، فَكَيْفَ بِأَخَوَى ؟ فَانْفَذْ
فَأَحْضَرَهُمَا وَشَاطَرَهُمَا مَالَهُ ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى قَارِي هَذَا الْكِتَابِ
أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ ، وَيَلْتَمَسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهِ ،
وَلَا يَظُنَّ أَنَّ نَتِيجَتَهُ الْإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةٍ بَهِيمَتَيْنِ أَوْ مُحَاوَرَةٍ سَبْعٍ
لِثَوْرٍ : فَيَنْصَرِفَ بِذَلِكَ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ . وَيَكُونُ مَثَلُهُ
مَثَلُ الصَّيَّادِ الَّذِي كَانَ فِي بَعْضِ الْخُلُجَانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكَ

(١)
 فِي زَوْرِقٍ فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي أَرْضِ الْمَاءِ صَدْفَةً تَتَلَأُّ لَأْحُسْنًا ،
 فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَّتَهُ فِي الْبَحْرِ ،
 فَاشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوَّتَ يَوْمِهِ ، نَحَلَّاهَا وَقَذَفَ نَفْسَهُ
 فِي الْمَاءِ لِيَأْخُذَ الصَّدْفَةَ ، فَلَمَّا أَنْحَرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لِأَشْيَاءٍ
 فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ ، وَتَأَسَّفَ
 عَلَى مَا فَاتَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي تَنَحَّى عَنِ ذَلِكَ الْمَكَانِ ،
 وَأَلْقَى شَبَكَّتَهُ ، فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا ، وَرَأَى أَيْضًا صَدْفَةً سَنِيَّةً ،
 فَأَنَّ الْأَمْرَ بِاللَّامِ . فَانْتَبَهَ لِمَا فِي يَدِهِ فَانْتَبَهَ

بَعْضُ الصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا .
 وَكَذَلِكَ الْجُهَالُ إِذَا اغْفَلُوا أَمْرَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَتَرَكُوا
 الْوُقُوفَ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهِ ، وَأَخَذُوا بِظَاهِرِهِ . وَمَنْ صَرَفَ

.....

فَاهْلَكَ يَتَشَاغِلُهُ مَا كَانَ أَحْسَنَ فَائِدَةً وَأَجْمَلَ عَائِدَةً .

وَيَنْبَغِي لِلنَّاطِرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ

أَغْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَهَائِمِ

غَيْرِ النَّاطِقَةِ لِيسَارِعَ إِلَى قِرَاءَتِهِ أَهْلُ الْهَزْلِ مِنَ الشُّبَّانِ ،

فَتُسْتَمَالُ بِهِ قُلُوبُهُمْ : لِأَنَّهُ الْغَرَضُ بِالنَّوَادِرِ مِنْ حِيلِ الْحَيَوَانِ .

وَالثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ الْحَيَوَانِ بِصُنُوفِ الْأَصْبَاغِ وَالْأَلْوَانِ :

لِيَكُونَ أَنْسًا لِقُلُوبِ الْمَلُوكِ ، وَبِكَوْنِ حُرُصِهِمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ لِلنُّزْهَةِ

بَابُ بَرَزَوِيهِ تَرْجَمَهُ بَزْرَجِمَهْرُ بْنُ الْبَخْتِكَانِ

قَالَ بَرَزَوِيهِ رَأْسُ أَطِبَّاءِ فَارِسَ ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى انْتِسَاخَ
 هَذَا الْكِتَابِ ، وَتَرْجَمَهُ مِنْ كُتُبِ الْهِنْدِ (وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ ذَلِكَ
 مِنْ قَبْلُ) : أَبِي كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَكَانَتْ أُمِّي مِنْ عُظَمَاءِ بِيُوتِ
 الزَّمَازِمَةِ . وَكَانَ مَنْشِيٌّ فِي نِعْمَةٍ كَامِلَةٍ ، وَكُنْتُ أَكْرَمَ وَلَدِ أَبِي
 عَلَيْهِمَا ، وَكَانَا بِي أَشَدَّ احْتِفَاطًا مِنْ دُونِ إِخْوَتِي ، حَتَّى إِذَا
 بَلَغْتُ سَبْعَ سِنِينَ ، أَسْلَمَانِي إِلَى الْمُؤَدِّبِ ، فَلَمَّا حَدِثْتُ
 الْكِتَابَةَ ، شَكَرْتُ أَبِي ، وَنَظَرْتُ فِي الْعِلْمِ ، فَكَانَ أَوَّلَ
 مَا ابْتَدَأْتُ بِهِ ، وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ ، عِلْمُ الطَّبِّ : لِأَنِّي كُنْتُ عَرَفْتُ
 فَضْلَهُ . وَكَلَّمَا أَزْدَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا أَزْدَدْتُ فِيهِ حِرْصًا ، وَلَهُ اتِّبَاعًا .
 فَلَمَّا هَمَّتْ نَفْسِي بِمُدَاوَاةِ الْمَرْضَى ، وَعَزَمْتُ عَلَى ذَلِكَ أَمْرَتَهَا
 ثُمَّ خَيْرَتَهَا بَيْنَ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا النَّاسُ ، وَفِيهَا يَرِغِبُونَ ،
 وَلَهَا يَسْعَوْنَ . فَقُلْتُ : أَيُّ هَذِهِ الْخِلَالِ أَبْتَغِي فِي عِلْمِي ؟ وَأَيُّهَا
 أُخْرَى بِي فَأُذْرِكُ مِنْهُ حَاجَتِي ؟ الْمَالُ ، أَمْ الذُّكْرُ ، أَمْ اللَّذَاتُ

أَمْ الْآخِرَةُ ؟ وَكُنْتُ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ الطِّبِّ أَنَّ أَفْضَلَ الْأَطِبَّاءِ
 مَنْ وَاظَبَ عَلَى طَبِّهِ ، لَا يَبْتَغِي إِلَّا الْآخِرَةَ . فَرَأَيْتُ أَنَّ أَطْلُبَ
 الْإِشْتِغَالَ بِالطِّبِّ ابْتِغَاءَ الْآخِرَةِ : لِئَلَّا أَكُونَ كَالْتَّاجِرِ الَّذِي بَاعَ
 يَأْقُوْتَةً مَمِيْنَةً بِخَرْزَةِ لَا تُسَاوِي شَيْئًا ، مَعَ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ
 الْأَوَّلِينَ أَنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي يَبْتَغِي بِطَبِّهِ أَجْرَ الْآخِرَةِ لَا يَنْقُصُهُ
 ذَلِكَ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا . وَإِنَّ مِثْلَهُ مِثْلُ الزَّارِعِ الَّذِي يَعْمُرُ أَرْضَهُ
 ابْتِغَاءَ النَّوَى لَا ابْتِغَاءَ الْعُشْبِ ، ثُمَّ هَلَا مَحَالَّةً نَابَتْ فَمَا إِلَهُ أَنْ

العُشْبِ مَعَ يَانِعِ الزَّرْعِ . فَأَقْبَلْتُ عَلَى مُدَاوَاةِ الْمَرَضِيِّ ابْتِغَاءَ أَجْرِ
 الْآخِرَةِ ، فَلَمْ أَدْعُ مَرِيضًا أَرْجُو لَهُ الْبُرَى ، وَآخِرًا لَا أَرْجُو لَهُ
 ذَلِكَ ، إِلَّا أَنِّي أَطْمَعُ أَنْ يَخِفَّ عَنْهُ بَعْضُ الْمَرَضِ ، إِلَّا بِاللَّغْتِ
 فِي مُدَاوَاتِهِ مَا أَمَكَّنْتِي الْقِيَامَ عَلَيْهِ بِنَفْسِي ؛ وَمَنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى
 الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَصَفْتُ لَهُ مَا يُصْلِحُ ، وَأَعْطَيْتُهُ مِنَ الدَّوَاءِ مَا يُعَالِجُ
 بِهِ . وَلَمْ أَرِدْ مِمَّنْ فَعَلْتُ مَعَهُ ذَلِكَ جَزَاءً وَلَا مُكَافَأَةً ، وَلَمْ أَغْبِطْ
 أَحَدًا مِنْ نُظَرَائِي الَّذِينَ هُمْ دُونِي فِي الْعِلْمِ وَفَوْقِي فِي الْجَاهِ وَالْمَالِ

(١)
 وَلَمَّا تَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى غَشْيَانِهِمْ وَتَمَنَّتْ مَنَازِلَهُمْ أَثَبْتُ لَهَا الْخُصُومَةَ؛
 فَقُلْتُ لَهَا : يَا نَفْسُ ، أَمَا تَعْرِفِينَ نَفْعَكَ مِنْ ضُرِّكَ ؟ أَلَا تَنْتَهِينِ
 عَنْ تَمَنِّي مَا لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ إِلَّا قَلَّ انْتِفَاعُهُ بِهِ ، وَكَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ ،
 وَاشْتَدَّتْ الْمَثُونَةُ عَلَيْهِ وَعَظُمَتِ الْمَشَقَّةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ ؟ يَا نَفْسِي ،
 أَمَا تَذَكِّرِينَ مَا بَعْدَ هَذِهِ الدَّارِ : فَيُنْسِيكَ مَا تَشْرَهِينَ إِلَيْهِ مِنْهَا ؟
 أَلَا تَسْتَحِينِ مِنْ مُشَارَكَةِ الْفُجَّارِ فِي حُبِّ هَذِهِ الْعَاجِلَةِ الْفَانِيَةِ
 الَّتِي مَنْ كَانَ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَلَيْسَ لَهُ ، وَلَيْسَ بِبَاقٍ عَلَيْهِ ،
 فَلَا يَأْلُفُهَا إِلَّا الْمُغْتَرُونَ الْجَاهِلُونَ ؟ يَا نَفْسُ انظُرِي فِي أَمْرِكَ ،
 وَانصُرِي عَنِ هَذَا السَّفْهِ ، وَأَقْبِلِي بِقُوَّتِكَ وَسَعْيِكَ عَلَى تَقْدِيمِ
 الْخَيْرِ ، وَإِيَّاكَ وَالشَّرَّ ، وَأَذْكُرِي أَنَّ هَذَا الْجَسَدَ مَوْجُودٌ لِآفَاتٍ ،
 وَأَنَّهُ مَمْلُوءٌ أَخْلَاطًا فَاسِدَةً قَدِيرَةً ، تَعْقِدُهَا الْحَيَاةُ ، وَالْحَيَاةُ إِلَى
 نَفَادٍ ، كَالصَّنَمِ الْمَفْصَلَةِ أَعْضَاؤُهُ إِذَا رُكِبَتْ وَوُضِعَتْ ، يَجْمَعُهَا
 مِسَارٌ وَاحِدٌ ، وَيَضُمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا أَخَذَ ذَلِكَ الْمِسَارُ
 تَسَاقَطَتِ الْأَوْصَالُ . يَا نَفْسُ ، لَا تَغْتَرِي بِصُحْبَةِ أَحِبَّائِكَ

وَأَصْحَابِكَ ، وَلَا تَحْرِصِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّ الْحَرْصِ : فَإِنَّ صُحْبَتَهُمْ -
 عَلَى مَا فِيهَا مِنَ السُّرُورِ - كَثِيرَةٌ الْمُتُونَةُ ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ الْفِرَاقُ .
 وَمِثْلُهَا مِثْلُ الْمِغْرَفَةِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي جِدَّتِهَا لِسُخُونَةِ الْمَرْقِ ،
 فَإِذَا أَنْكَسَرَتْ صَارَتْ وَقُودًا . يَا نَفْسُ ، لَا يَحْمِلَنَّكَ أَهْلُكَ وَأَقَارِبُكَ
 عَلَى جَمْعِ مَا تَهْلِكُ فِيهِ ، إِرَادَةَ صَلَاتِهِمْ ، فَإِذَا أَنْتِ كَالدُّخْنَةِ
 الْأَرْجَةِ الَّتِي تَحْتَرِقُ وَيَذْهَبُ آخَرُونَ بِرِيحِهَا . يَا نَفْسُ ، لَا يَبْعُدُ
 عَلَيْكَ أَمْرُ الْآخِرَةِ فَتَمِيلِي إِلَى الْعَاجِلَةِ فِي اسْتِعْجَالِ الْقَلِيلِ وَبَيْعِ
 الْكَثِيرِ بِالْيَسِيرِ ، كَالتَّاجِرِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِلءُ بَيْتٍ مِنَ الصَّنَدَلِ ،
 فَقَالَ : إِنْ بَعْتُهُ وَزَنَا طَالَ عَلَيَّ ، فَبَاعَهُ جُزْأً بِأَبْجَسِ الثَّمَنِ .
 وَقَدْ وَجَدْتُ آرَاءَ النَّاسِ مُخْتَلِفَةً وَأَهْوَاءَهُمْ مُتَبَايِنَةً ، وَكُلُّ عَلَى
 كُلِّ رَادٍّ ، وَلَهُ عَدُوٌّ وَمُغْتَابٌ ، وَلِقَوْلِهِ مُخَالِفٌ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ
 لَمْ أَجِدْ إِلَى مُتَابَعَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَبِيلًا ، وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ صَدَّقْتُ
 أَحَدًا مِنْهُمْ لَا عِلْمَ لِي بِحَالِهِ ، كُنْتُ فِي ذَلِكَ كَالْمُصَدِّقِ الْمَخْدُوعِ

(١) الدخنة : بخور تجر به الثياب أو البيت .

(٢) ذات الرائحة الطيبة .

(٣) مثلث الفاء أى بالحدس والتقدير .

الَّذِي زَعَمُوا فِي شَأْنِهِ أَنَّ سَارِقًا عَلَا ظَهْرَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ ،
وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَاسْتَيْقَظَ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ مِنْ
حَرَكَةِ أَقْدَامِهِمْ ، فَعَرَفَ أَمْرَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا : رُوَيْدًا إِنِّي
لَأَحْسَبُ اللَّصُوصَ عَلَاؤَ الْبَيْتِ ، فَأَيْقِظِينِي بِصَوْتِ يَسْمَعُهُ
اللَّصُوصُ وَقَوْلِي أَلَا تُخْبِرُنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ عَنْ أَمْوَالِكَ هَذِهِ الْكَثِيرَةِ
وَكُنُوزِكَ الْعَظِيمَةِ ؟ فَإِذَا نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ فَأَلْحِي عَلَيَّ
بِالسُّؤَالِ . فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا ، وَأَنْصَتَتْ
اللَّصُوصَ إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهِمَا . فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ : أَيُّهَا الْمَرْأَةُ ، قَدْ
سَأَلْتُكَ الْقَدْرَ إِلَى رِزْقٍ وَاسِعٍ كَثِيرٍ : فَكُلِّي وَأَسْكِنِي ، وَلَا تَسْأَلِي
عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ لَمْ أَمِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ
مَا أَكْرَهُ وَتَكْرَهِي . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : أَخْبِرْنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَلَعَمْرِي
مَا يَقْرُبُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا . فَقَالَ لَهَا : فَإِنِّي أَخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجْمَعْ
هَذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ السَّرِقَةِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ وَمَا
كُنْتَ تَصْنَعُ ؟ قَالَ : ذَلِكَ لِعَلِّمِ أَصْبَتَهُ فِي السَّرِقَةِ ، وَكَانَ
الْأَمْرُ عَلَى يَسِيرٍ ، وَأَنَا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهَمَنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتَابَ فِي .

قَالَتْ : فَاذْكُرْنِي ذَلِكَ ، قَالَ : كُنْتُ أَذْهَبُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُقَمَّرَةِ ،
 أَنَا وَأَصْحَابِي ، حَتَّى أَعْلُو دَارَ بَعْضِ الْأَغْنِيَاءِ مِثْلِنَا ، فَأَتَيْتَنِي إِلَى
 الْكَوَّةِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الضَّوءُ فَأَرَقِي بِهِذِهِ الرَّقِيَّةَ وَهِيَ شَوْلَمُ شَوْلَمِ
 سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَأَعْتَنِقُ الضَّوءَ ؛ فَلَا يُحْسِ بِوُقُوعِي أَحَدٌ ، فَلَا
 أَدْعُ مَالًا وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخَذْتَهُ . ثُمَّ أَرَقِي بِتِلْكَ الرَّقِيَّةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ،
 وَأَعْتَنِقُ الضَّوءَ ؛ فَيَجْذِبُنِي ؛ فَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحَابِي ، فَنَمِضِي
 سَالِمِينَ آمِنِينَ . فَلَمَّا سَمِعَ اللُّصُوصُ ذَلِكَ قَالُوا : قَدْ ظَفِرْنَا
 اللَّيْلَةَ بِمَا نُرِيدُ مِنَ الْمَالِ ؛ ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطَالُوا الْمَكْثَ حَتَّى ظَنُّوا
 أَنَّ صَاحِبَ الدَّارِ وَزَوْجَتَهُ قَدْ هَجَعَا ؛ فَتَمَّامَ قَائِدُهُمْ إِلَى مَدْخَلِ
 الضَّوءِ ؛ وَقَالَ : شَوْلَمُ شَوْلَمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ؛ ثُمَّ آعْتَنَقَ الضَّوءَ
 لِيَنْزِلَ إِلَى أَرْضِ الْمَنْزِلِ ، فَوَقَعَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ مُنْكَسًا . فَوَثَبَ إِلَيْهِ
 الرَّجُلُ بِرَأْوَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الْمُصَدِّقُ
 الْمَخْدُوعُ الْمُغْتَرَّبُ بِمَا لَا يَكُونُ أَبَدًا ؛ وَهَذِهِ ثَمْرَةُ رُقِيَّتِكَ . فَلَمَّا تَحَرَّزْتُ
 مِنْ تَضَدِّي مَا لَا يَكُونُ ، وَلَمْ أَمْنِ أَنْ صَدَّقْتَهُ أَنْ يُقَعِّرَ فِي مَمْلَكَتِكَ

أَحَدٍ مِّنْ كَلِمَتِهِ جَوَابًا فِيهَا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فِيهَا ، وَلَمْ أَرَ فِيهَا كَلِمُونِي بِهِ شَيْئًا يَحِقُّ لِي فِي عَقْلِي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلَا أَنْ أَتَّبِعَهُ . فَقُلْتُ لِمَا لَمْ أَجِدْ ثِقَةً أَخَذْتُ مِنْهُ ، الرَّأْيُ أَنْ أَلْزِمَ دِينَ آبَائِي وَأَجْدَادِي الَّذِي وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ . فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُ الْعُذْرَ لِنَفْسِي فِي لُزُومِ دِينِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، لَمْ أَجِدْ لَهَا عَلَى الثُّبُوتِ عَلَى دِينِ الْآبَاءِ طَاقَةً ؛ بَلْ وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلْبَحْثِ عَنِ الْأَدْيَانِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهَا ، وَلِلنَّظَرِ فِيهَا ؛ فَهَجَسَ فِي قَلْبِي وَخَطَرَ عَلَى بَالِي قُرْبُ الْأَجَلِ (١) وَسُرْعَةُ انْقِطَاعِ الدُّنْيَا وَاعْتِبَاطُ أَهْلِهَا وَتَحْرِمُ الدَّهْرِ حَيَاتِهِمْ (٢) . فَفَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا خِفْتُ مِنَ التَّرَدُّدِ وَالتَّحْوِيلِ ، رَأَيْتُ الْآتِعْرَاضَ لِمَا اتَّخَوَّفُ مِنْهُ الْمَكْرُوهَ ؛ وَأَنْ أَقْتَصِرَ عَلَى عَمَلٍ تَشْهَدُ النَّفْسُ أَنَّهُ يُوَافِقُ كُلَّ الْأَدْيَانِ . فَكَفَفْتُ يَدِي عَنِ الْقَتْلِ وَالضَّرْبِ ، وَطَرَحْتُ نَفْسِي عَنِ الْمَكْرُوهِ وَالغَضَبِ وَالسَّرِيقَةِ وَالنَّحْيَانَةِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَالْغَيْبَةِ ، وَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي الْآبِغْيَ عَلَى أَحَدٍ ، وَلَا أَكْذِبَ بِالْبَعْثِ وَلَا الْقِيَامَةِ وَلَا الثَّوَابِ وَلَا

(١) وقع وخطر وبابه ضرب . (٢) هلاكمهم بدون مرض . (٣) القطع والاستئصال .

الْعِقَابِ ؛ وَزَايَلْتُ الْأَشْرَارَ بِقَلْبِي ، وَحَاوَلْتُ الْجُلُوسَ مَعَ الْأَخْيَارِ
 بِجُهْدِي ، وَرَأَيْتُ الصَّلَاحَ لَيْسَ كَمَثَلِهِ صَاحِبٌ وَلَا قَرِينٌ ،
 وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ إِذَا وَفَّقَ اللَّهُ وَأَعَانَ يَسِيرًا ؛ وَوَجَدْتُهُ يَدُلُّ عَلَى
 الْحَيْرِ وَيُسِيرُ بِالنُّصْحِ ، فِعْلَ الصَّدِيقِ بِالصَّدِيقِ ؛ وَوَجَدْتُهُ
 لَا يَنْقُصُ عَلَى الْإِنْفَاقِ مِنْهُ ؛ بَلْ يَزْدَادُ جِدَّةً^(١) وَحُسْنًا ؛ وَوَجَدْتُهُ
 لَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يَغْضَبَهُ ، وَلَا مِنَ الْمَاءِ أَنْ
 يُغْفِقَهُ ، وَلَا مِنَ النَّارِ أَنْ تُحْرِقَهُ ، وَلَا مِنَ اللَّصُوصِ أَنْ تَسْقَهُهُ ؛

قَالَ : نَعَمْ . وَكَانَ يَلْعَبُهُ ، مَاهِرًا . فَقَالَ التَّاجِرُ : دُونَكَ وَالصَّنَجِ
فَأَسْمِعْنَا ضَرْبَكَ بِهِ . فَأَخَذَ الرَّجُلُ الصَّنَجَ ، وَلَمْ يَزَلْ يُسْمِعُ التَّاجِرَ
الضَّرْبَ الصَّحِيحَ ، وَالصَّوْتَ الرَّفِيعَ ، وَالتَّاجِرُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَرَأْسِهِ
طَرِبًا ، حَتَّى أَمْسَى . فَلَمَّا حَانَ الْغُرُوبُ قَالَ الرَّجُلُ لِلتَّاجِرِ :
مُرِّي بِالْأُجْرَةِ . فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : وَهَلْ عَمِلْتَ شَيْئًا تَسْتَحِقُّ بِهِ
لِأُجْرَةٍ ؟ فَقَالَ لَهُ : عَمِلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، وَأَنَا أَجِيرُكَ ، وَمَا
سَتَعَمَلْتَنِي عَمِلْتُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى اسْتَوْفَى مِنْهُ مِائَةَ دِينَارٍ .
وَبَقِيَ جَوْهَرُهُ غَيْرَ مَثْقُوبٍ . فَلَمْ أَزِدْ فِي الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا نَظْرًا ، إِلَّا
أَزْدَدْتُ فِيهَا زَهَادَةً وَمِنْهَا هَرَبًا . وَوَجَدْتُ النُّسْكَ^(۱) هُوَ الَّذِي
يُمَهِّدُ لِلْعِبَادَةِ كَمَا يُمَهِّدُ الْوَالِدُ لِوَلَدِهِ ، وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْبَابُ الْمَفْتُوحُ
إِلَى النَّعِيمِ الْمُقِيمِ ، وَوَجَدْتُ النَّاسِكَ قَدْ تَدَبَّرَ فِعْلَتَهُ بِالسَّكِينَةِ
فَشَكَرَ ، وَتَوَاضَعَ وَقَنِعَ فَاسْتَغْنَى ، وَرَضِيَ وَلَمْ يَهْتَمَّ ، وَخَلَعَ الدُّنْيَا
فَنَجَا مِنَ الشُّرُورِ ، وَرَفَضَ الشَّهَوَاتِ فَصَارَ طَاهِرًا ، وَأَطْرَحَ
الْحَسَدَ فَوَجِبَتْ لَهُ الْمَحَبَّةُ ، وَسَخَّتْ نَفْسُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَاسْتَعْمَلَ

(۱) النسك مثله النون وبضمين : العبادة .

العقل وَأَبْصَرَ الْعَاقِبَةَ فَأَمِنَ النَّدَامَةَ ، وَلَمْ يَخَفِ النَّاسَ وَلَمْ يَدِبْ
إِلَيْهِمْ فَسَلِمَ مِنْهُمْ . فَلَمْ أَزِدْ فِي أَمْرِ النَّسِكِ نَظْرًا ، إِلَّا أَزِدْتُ
فِيهِ رَغْبَةً ، حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ . ثُمَّ تَخَوَّفْتُ

إِلَّا أَصْبِرَ عَلَى عَيْشِ النَّاسِكِ ، وَلَمْ آمَنْ إِذَا تَرَكْتُ الدُّنْيَا وَأَخَذْتُ
فِي النَّسِكِ ، لِإِنِّي أَسُوءُ ذَلِكَ ، وَأَفْضَلُ أَعْمَالِي كُنْتُ بَارِحًا

إِلَّا وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلَى الْأَذَى وَمَوْلِدٌ لِلْحَزَنِ . فَالذُّنْيَا كَالْمَاءِ الْمِنْحِ
الَّذِي لَا يَزْدَادُ شَارِبُهُ شُرْبًا ، إِلَّا آزْدَادَ عَطْشًا . وَهِيَ كَالْعَظْمِ
الَّذِي يُصِيبُهُ الْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ رِيحَ اللَّحْمِ ؛ فَلَا يَزَالُ يَطْلُبُ
ذَلِكَ حَتَّى يُدْمِيَ فَاهُ . وَكَالْحِدَاةِ الَّتِي تَظْفَرُ بِقِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ ،
فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا الطَّيْرُ ، فَلَا تَزَالُ تَدُورُ وَتَدَّأِبُ حَتَّى تَعْيَا
وَتَتَعَبَ ؛ فَإِذَا تَعِبَتْ أَلْقَتْ مَا مَعَهَا . وَكَالْكُوزِ مِنَ الْعَسَلِ
الَّذِي فِي أَسْفَلِهِ السَّمُّ الَّذِي يُذَاقُ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَأَنْحَرُهُ مَوْتٌ
ذُعَافٌ^(١) ، وَكَأَحْلَامِ النَّائِمِ الَّتِي يَفْرَحُ بِهَا الْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ ،
فَإِذَا اسْتَيْقَظَ ذَهَبَ الْفَرَحُ . فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ ،
رَجَعْتُ إِلَى طَلَبِ النَّسِكِ ؛ وَهَزَّنِي الْأَشْتِيَاقُ إِلَيْهِ ؛
فَمَّ خَاصَمْتُ نَفْسِي إِذْ هِيَ فِي شُرُورِهَا سَارِحَةٌ ، وَقَدْ لَا تَثْبُتُ
عَلَى أَمْرٍ تَعَزِّمُ عَلَيْهِ : كَقَاضِ سَمِيعٍ مِنْ خَضِيمٍ وَاحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ ،
فَلَمَّا حَضَرَ الْخَضِيمُ الثَّانِي عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ وَقَضَى عَلَيْهِ .

(١) ذعاف : سريع .

ثُمَّ نَظَرْتُ فِي الَّذِي أَكَابِدُهُ مِنْ أَحْتِمَالِ النَّسِكِ وَضَيْقِهِ ، فَقُلْتُ :

فِيمَا تَشْرَهُ إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا ، فَقُلْتُ : مَا أَمْرَ هَذَا
وَأَوْجَعَهُ ، وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذَابِ الْأَبَدِ وَأَهْوَالِهِ ! وَكَيْفَ لَا يَسْتَحْلِي
الرَّجُلُ مَرَارَةً قَلِيلَةً تَعْقُبُهَا حَلَاوَةٌ طَوِيلَةٌ ؟ وَكَيْفَ لَا تَمُرُّ عَلَيْهِ
حَلَاوَةٌ قَلِيلَةٌ تَعْقُبُهَا مَرَارَةٌ دَائِمَةٌ ؟ وَقُلْتُ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا
عَرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْشَرَ مِائَةَ سَنَةٍ ، لَا يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ
إِلَّا بَضِعَ مِنْهُ بَضْعَةٌ^(١) ، ثُمَّ أُعِيدَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَدِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَشْرَطُ لَهُ ،

حِينَ يَكُونُ جَنِينًا إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ؟ فَإِذَا كَانَ طِفْلًا
ذَاقَ مِنَ الْعَذَابِ الْوَانَا : إِنْ جَاعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِطْعَامٌ ،
أَوْ عَطِشَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِسْقَاءٌ ، أَوْ وَجَعَ فَلَيْسَ بِهِ اسْتِغَاثَةٌ ،
مَعَ مَا يَلْتَقَى مِنَ الْوَضْعِ وَالْحَمْلِ وَاللِّفِّ وَالذَّهْنِ وَالْمَسْحِ ،
إِنْ أُنِيمَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ تَقَلُّبًا ، ثُمَّ يَلْتَقَى أَصْنَافَ الْعَذَابِ
مَا دَامَ رَضِيعًا ، فَإِذَا أَفْلِتَ مِنَ عَذَابِ الرِّضَاعِ ، أَخَذَ فِي عَذَابِ
الْأَدَبِ ، فَأَذِيقَ مِنْهُ الْوَانَا : مِنْ عُنْفِ الْمُعَلِّمِ ، وَضَجْرِ
الدَّرْسِ ، وَسَامَةِ الْكِتَابَةِ ، ثُمَّ لَهُ مِنَ الدَّوَاءِ وَالْحِمِيَةِ وَالْأَسْقَامِ
وَالْأَوْجَاعِ أَوْفَى حِظٍّ . فَإِذَا أَدْرَكَ كَانَتْ هِمَّتُهُ فِي جَمْعِ الْمَالِ
وَتَرْبِيَةِ الْوَلَدِ وَمُخَاطَرَةِ الطَّلَبِ وَالسَّعْيِ وَالْكَدِّ وَالتَّعَبِ . وَهُوَ مَعَ
ذَلِكَ يَتَقَلَّبُ مَعَ أَعْدَائِهِ الْبَاطِنِيَّةِ اللَّازِمَةِ لَهُ : وَهِيَ الصَّفْرَاءُ
وَالسُّودَاءُ وَالرَّيْحُ وَالْبَلْغَمُ وَالْدَّمُ وَالسَّمُّ الْمُمِيتُ وَالْحِمِيَةُ اللَّاذِعَةُ ،
مَعَ الْخَوْفِ مِنَ السَّبَاعِ وَالْهَوَاِمِ ، مَعَ صَرْفِ الْحَرِّ وَالزَّبَدِ
وَالْمَطَرِ وَالرِّيَّاحِ ، ثُمَّ أَنْوَاعِ عَذَابِ الْهَرَمِ لِمَنْ يَبْلُغُهُ . فَلَوْلَمْ

يَخْفَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ شَيْئًا ، وَكَانَ قَدْ أَمِنَ وَوَوِّتَقَ بِالسَّلَامَةِ مِنْهَا
فَلَمْ يُفَكِّرْ فِيهَا ، لَوَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَبِرَ بِالسَّاعَةِ الَّتِي يَحْضُرُهُ فِيهَا
الْمَوْتُ ، فَيُفَارِقُ الدُّنْيَا ، وَيَتَذَكَّرُ مَا هُوَ نَازِلٌ بِهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ :
مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ وَالْأَهْلِ وَالْأَقَارِبِ وَكُلِّ مَضْنُونٍ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا ،
وَالْإِشْرَافِ عَلَى الْهَبْرِ الْعَظِيمِ بَعْدَ الْمَوْتِ . فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ،
لَكَانَ حَقِيقًا أَنْ يُعَدَّ عَاجِزًا مُفْرَطًا مُجِبًّا لِلدَّنَاءَةِ مُسْتَحِقًّا لِلنُّومِ ؛
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْلَمُ وَلَا يَحْتَمِلُ لِعَدِّ جُهْدِهِ فِي الْحِيلَةِ ، وَيَرْفُضُ
مَا يَشْغَلُهُ وَيُلْهِمُهُ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَغُرُورِهَا ؟ وَلَا سِيَّامًا فِي هَذَا
الزَّمَانِ الشَّدِيدِ بِالصَّافِي وَهُوَ كَدْرٌ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ حَازِمًا عَظِيمَ
الْمَقْدَرَةِ ، رَفِيعَ الْهِمَّةِ بَلِيغَ الْفَحِصِ ، عَدْلًا مَرْجُوعًا صَدُوقًا
شُكُورًا ، رَحْبَ الدِّرَاعِ مُفْتَقِدًا مُوَاطِبًا مُسْتَمِرًّا عَالِمًا بِالنَّاسِ
وَالْأُمُورِ ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْخَيْرِ وَالْأَخْيَارِ ، شَدِيدًا عَلَى الظَّالِمَةِ ، غَيْرَ
جَبَانٍ وَلَا خَفِيفِ الْقِيَادِ ، رَفِيقًا بِالتَّوَسُّعِ عَلَى الرَّعِيَّةِ فِيهَا يُحِبُّونَ ،
وَالدَّفْعِ لِمَا يَكْرَهُونَ ، فَإِنَّا قَدْ نَرَى الزَّمَانَ مُدْبِرًا بِكُلِّ مَكَانٍ ،
فَكَانَ أُمُورَ الصِّدْقِ قَدْ تَزَعَّتْ مِنَ النَّاسِ ، فَأَصْبَحَ مَا كَانَ

عَزِيزًا فَقَدَهُ مَفْقُودًا ، وَمَوْجُودًا مَا كَانَ ضَائِرًا وَجُودُهُ . وَكَانَ
الْحَيْرَ أَصْبَحَ ذَابِلًا وَالشَّرَّ أَصْبَحَ نَاضِرًا . وَكَانَ الْفَهْمَ أَصْبَحَ قَدْ
زَالَتْ سَبْلُهُ . وَكَانَ الْحَقَّ وَلَى كَسِيرًا وَأَقْبَلَ الْبَاطِلَ تَابِعَهُ . وَكَانَ
اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ وَإِضَاعَةَ الْحِكْمِ أَصْبَحَ بِالْحُكَّامِ مُوَكَّلًا ، وَأَصْبَحَ
الْمَظْلُومَ بِالْحَيْفِ مُقْرًا وَالظَّالِمَ لِنَفْسِهِ مُسْتَطِيلًا . وَكَانَ الْحِرْصَ
أَصْبَحَ فَاغِرًا فَاهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَتَلَقَّفُ مَا قَرُبَ مِنْهُ وَمَا بَعُدَ .
وَكَانَ الرِّضَا أَصْبَحَ مَجْهُولًا . وَكَانَ الْأَشْرَارَ يَقْصِدُونَ السَّمَاءَ
صُعُودًا . وَكَانَ الْأَخْيَارَ يُرِيدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ ، وَأَصْبَحَتِ
الْمُرُوءَةُ مَقْدُوفًا بِهَا مِنْ أَعْلَى شَرَفٍ إِلَى أَسْفَلِ دَرَكٍ ، وَأَصْبَحَتِ
الدَّعَاةُ مَكْرَمَةً مُمْكِنَةً ، وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ مُنْتَقِلًا عَنِ أَهْلِ الْفَضْلِ
إِلَى أَهْلِ النَّقْصِ . وَكَانَ الدُّنْيَا جَذَلَةً مَسْرُورَةً تَقُولُ : قَدْ غُيِّبَتِ
الْحَيْرَاتُ وَأُظْهِرَتِ السَّيِّئَاتُ . فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا وَأُمُورِهَا ،
وَأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ أَشْرَفُ الْخَلْقِ فِيهَا وَأَفْضَلُهُ ، ثُمَّ هُوَ لَا يَتَقَلَّبُ
إِلَّا فِي الشُّرِّ وَالْهَمِّ ، عَافَتْ أَنَّهُ لَيْسَ الْإِنْسَانُ ذُو عَقْلٍ بَعْدُ

ذَلِكَ ثُمَّ لَا يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ فِي النَّجَاةِ؛ فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّ الْعَجَبِ .
 ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا الْإِنْسَانُ لَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْإِحْتِيَالِ لِنَفْسِهِ إِلَّا لَذَّةً
 صَغِيرَةً حَقِيرَةً غَيْرَ كَبِيرَةٍ مِنَ الشَّمِّ وَالذَّوْقِ وَالنَّظْرِ وَالسَّمْعِ وَاللَّمْسِ:
 فَعَلَّهُ يُصِيبُ مِنْهَا الطَّفِيفَ أَوْ يَقْتَنِي مِنْهَا الْيَسِيرَ؛ فَإِذَا ذَلِكَ
 يَسْغُلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَنِ الْإِهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ وَطَلَبِ النَّجَاةِ لَهَا .

فَالْتَمَسْتُ لِلْإِنْسَانِ مَثَلًا، فَإِذَا مَثَلُهُ مِثْلُ رَجُلٍ نَجَا مِنْ خَوْفِ
 فِيلٍ هَائِجٍ إِلَى بَيْرٍ، فَتَدَلَّى فِيهَا، وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى
 سَمَائِهَا، فَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طَى الْبَيْرِ . فَإِذَا حَيَاتٌ
 أَرْبَعٌ قَدْ أَخْرَجْنَ رُءُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ، ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِي قَاعِ
 الْبَيْرِ تَيْنِ^(١) فَاتِحٌ فَاهُ مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ؛ فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَى
 الْغُصْنَيْنِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرْدَانٌ أَسْوَدٌ وَأَبْيَضٌ، وَهُمَا يَقْرِضَانِ
 الْغُصْنَيْنِ دَائِبِينَ لَا يَفْتَرَانِ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي النَّظْرِ لِأَمْرِهِ وَالْإِهْتِمَامِ
 لِنَفْسِهِ، إِذْ أَبْصَرَ قَرِيبًا مِنْهُ كِبَارَةً فِيهَا عَسَلٌ نَحْلٍ؛ فَذَاقَ^(٢)

(١) ضرب من الحيات . (٢) منى جرد : ضرب من الفأر . (٣) شىء . يتخذ للنحل
 من القضبان وهي الخلية .

الْعَسَلُ ؛ فَشَغَلَتْهُ حَلَاوَتُهُ وَأَهْتَهُ لَذَّتُهُ عَنِ الْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ
 أَمْرِهِ ، وَأَنْ يَأْتِمِسَ الْخَلَّاصَ لِنَفْسِهِ ؛ وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلَى
 حَيَاتٍ أَرْبَعٍ لَا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ ؛ وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ الْجُرْدَيْنِ
 دَائِبَانِ فِي قَطْعِ الْغُضْنَيْنِ ؛ وَمَتَى انْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى التَّنِينِ . فَلَمْ
 يَزَلْ لَاهِيًا غَافِلًا مَشْغُولًا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ التَّنِينِ
 فَهَلَكَ . فَشَبَّهْتُ بِالْبِئْرِ الدُّنْيَا الْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُورًا ،
 وَمَخَافَاتٍ وَعَاقِبَاتٍ ؛ وَشَبَّهْتُ بِالْحَيَاتِ الْأَرْبَعِ الْأَخْلَاطِ الْأَرْبَعَةَ
 الَّتِي فِي الْبَدَنِ : فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ أَحَدَهَا كَانَتْ كَحُمَةٍ ^(١)
 الْأَفَاعِي وَالسَّمِّ الْمُعْمِيَةِ ؛ وَشَبَّهْتُ بِالْغُضْنَيْنِ الْأَجَلَ الَّذِي لَا بُدَّ
 مِنْ انْقِطَاعِهِ ؛ وَشَبَّهْتُ بِالْجُرْدَيْنِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 اللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ الْأَجْلِ ؛ وَشَبَّهْتُ بِالتَّنِينِ الْمَصِيرِ
 الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ ؛ وَشَبَّهْتُ بِالْعَسَلِ هَذِهِ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي
 يَنَالُ مِنْهَا الْإِنْسَانُ فَيَطْعَمُ وَيَسْمَعُ وَيَشْمُ وَيَنْهَسُ ، وَيَتَشَاغَلُ عَنْ
 نَفْسِهِ ، وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ ، وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ . فَحَيْثُ نَذَرَ

(١) إبرة النحلة ونحوها .

صَارَ أَمْرِي إِلَى الرِّضَا بِحَالِي وَإِصْلَاحِ مَا اسْتَطَعْتُ إِصْلَاحَهُ
 مِنْ عَمَلِي : لَعَلِّي أَصَادِفُ بَاقِيَ أَيَّامِي زَمَانًا أُصِيبُ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى
 هُدَايَ ، وَسُلْطَانًا عَلَى نَفْسِي ^(١) ، وَقِيَامًا لِأَمْرِي ، فَأَقَمْتُ عَلَى هَذِهِ
 الْحَالِ وَانْتَسَخْتُ كُتُبًا كَثِيرَةً ، وَانصَرَفْتُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، وَقَدْ
 نَسَخْتُ هَذَا الْكِتَابَ . (انقصى باب برزويه المتطبب)

بَابُ الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ وَهُوَ أَوَّلُ الْكِتَابِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ ، وَهُوَ رَأْسُ الْبِرَاهِمَةِ :
 أَضْرِبْ لِي مَثَلًا لِمُتَحَابِّينِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْكُذُوبُ الْمُحْتَالَ ، حَتَّى
 يَحْمِلَهُمَا عَلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ . قَالَ بَيْدَبَا : إِذَا آبَتِلِي الْمُتَحَابِّانِ
 بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا الْكُذُوبُ الْمُحْتَالَ ، لَمْ يَلْبِثَا أَنْ يَتَقَاطَعَا
 مَثَلًا لِمُتَحَابِّينِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا الْكُذُوبُ الْمُحْتَالَ ، لَمْ يَلْبِثَا أَنْ يَتَقَاطَعَا

فَلَا مَهْمُ أَبُوهُمُ ، وَوَعَّظَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِمْ ، وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ :
 يَا بَنِيَّ إِنْ صَاحِبَ الدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَنْ يَدْرِكَهَا إِلَّا بِأَرْبَعَةِ
 أَشْيَاءَ : أَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَطْلُبُ ، فَالسَّعَةُ فِي الرِّزْقِ وَالْمَنْزِلَةُ
 فِي النَّاسِ وَالزَّادُ لِلْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الأَرْبَعَةُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرْكِ
 هَذِهِ الثَّلَاثَةِ ، فَالْكَتْسَابُ الْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهِ يَكُونُ ،
 ثُمَّ حُسْنُ الْقِيَامِ عَلَى مَا آكْتَسَبَ مِنْهُ ، ثُمَّ اسْتِثْمَارُهُ ، ثُمَّ إِتْفَاقُهُ
 فِيهَا يُصْلِحُ الْمَعِيشَةَ وَيُرِضِي الأَهْلَ وَالْإِخْوَانَ ، فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ
 فِي الآخِرَةِ . فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأَحْوَالِ لَمْ يَدْرِكْ مَا أَرَادَ
 مِنْ حَاجَتِهِ : لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ
 بِهِ ، وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَآكْتَسَابٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ عَلَيْهِ ،
 أَهْشَكَ الْمَالُ أَنْ نَفْعَهُ وَنَفْعَ مُعَدَّمًا ، وَإِنْ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ

يَسْتِثْمِرَهُ ، لَمْ تَمْنَعَهُ قِلَّةُ الإِتْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهَابِ : كَالْكُحْلِ
 الَّذِي لَا يُؤَخِّدُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ المِيلِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ سَرِيعٌ فَنَآوَهُ .

وَإِنْ أَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ ، وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَآخِطَأَ
 بِهِ مَبَازِيءَ اسْتِخْرَاقِهِ ، صَادَ كَمَنْزِلَةُ الْفَقِيرِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ ،

ثُمَّ لَا يَمْنَعُ ذَلِكَ مَالَهُ مِنَ التَّلَفِ بِالْحَوَادِثِ وَالْعِلَلِ الَّتِي تَجْرِي

يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ وَمَفِيزٌ وَمَتَنَفَسٌ يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْهُ بِقَدْرِ
 مَا يَنْبَغِي ، نَحْرِبَ وَسَالَ وَنَزَّ مِنْ نَوَاحٍ كَثِيرَةٍ ، وَرَبَّمَا أَنْبَتُكَ الْبَثْقُ
 الْعَظِيمَ فَذَهَبَ الْمَاءُ ضَيَاعًا . ثُمَّ إِنَّ بَنِي الشَّيْخِ اتَّعَظُوا بِقَوْلِ
 آبَائِهِمْ وَأَخَذُوا بِهِ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيهِ الْخَيْرَ وَعَوْلُوا عَلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ
 نَحْوَ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا مَيُونُ ، فَأَتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحَلٌّ
 كَثِيرٌ ، وَكَانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجْرُهَا ثُورَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا شَتْرَبَةٌ
 وَلِلْآخَرِ بَنْدَبَةٌ ، فَوَحَلَ شَتْرَبَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَعَالَجَهُ الرَّجُلُ
 وَأَصْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ الْجَهْدُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ ،
 فَاتَّخَذَهُمُ الْأَحْمَدُ وَخَافَهُمْ عَندهمْ رَجُلًا سَارِفُهُ . أَعَا الرَّجُلُ بَشْرَفُهُ

فَهُوَ وَإِنْ أَجْتَهَدَ فِي التَّوَقِّيِّ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ
الْهَلَاكَ لَمْ يَغْنِ ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئًا ؛ وَرُبَّمَا عَادَ اجْتِهَادَهُ فِي تَوَقِّيهِ
وَحَذَرُهُ وَبَالَآ عَلَيْهِ ^(١) .

كَالَّذِي قِيلَ : إِنْ رَجُلًا سَلَكَ مَفَازَةً فِيهَا خَوْفٌ مِنَ السَّبَاعِ ؛
وَكَانَ الرَّجُلُ خَبِيرًا يُوَعِّثُ تِلْكَ الْأَرْضَ وَخَوْفِهَا ؛ فَلَمَّا سَارَ
غَيْرَ بَعِيدٍ اعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِ الدُّنَابِ وَأَضْرَاهَا ؛
فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ الدُّنْبَ قَاصِدٌ نَحْوَهُ خَافَ مِنْهُ ، وَنَظَرَ
يَمِينًا وَشِمَالًا لِيَجِدَ مَوْضِعًا يَحْرَزُ فِيهِ مِنَ الدُّنْبِ فَلَمْ يَرَ إِلَّا
قَرْيَةً خَلْفَ وَادٍ ؛ فَذَهَبَ مُسْرِعًا نَحْوَ الْقَرْيَةِ ؛ فَلَمَّا أَتَى الْوَادِيَّ
لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً ، وَرَأَى الدُّنْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ،
وَهُوَ لَا يُحْسِنُ السِّبَاحَةَ ، وَكَادَ يَغْرُقُ ، لَوْلَا أَنَّ بَصْرِيَّةَ قَوْمٍ
مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ ؛ فَتَوَاقَعُوا لِإِنْخِرَاجِهِ فَأَنْجَرُوهُ ، وَقَدْ أَشْرَفَ
عَلَى الْهَلَاكِ ؛ فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ
مِنْ غَائِلَةِ الدُّنْبِ رَأَى عَلَى عُدْوَةِ الْوَادِي بَيْتًا مُفْرَدًا ؛ فَقَالَ :

(١) وخيم العاقبة . (٢) العدوة بصم العين وكسرهما : جانب الوادي .

أَدْخُلُ هَذَا الْبَيْتَ فَاسْتَرِيحُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً
 مِنَ اللَّصُوصِ قَدْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ التُّجَّارِ ،
 وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ ؛ وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ ؛ فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ
 حَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَضَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ ؛ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ
 مِنْ حَيْطَانِهَا لِيَسْتَرِيحَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْإِعْيَاءِ ، إِذْ سَقَطَ
 الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَمَاتَ . قَالَ التَّاجِرُ : صَدَقْتَ ؛ قَدْ بَلَغَنِي
 هَذَا الْحَدِيثُ . وَأَمَّا الثَّوْرُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكَانِهِ وَانْبَعَثَ ؛ فَلَمْ
 يَزَلْ فِي مَرِجٍ مُخْصِبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَالِ ؛ فَلَمَّا سَمِنَ وَأَمِنَ
 جَعَلَ يَنْحُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْحَوَارِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَجْمَةٌ فِيهَا
 أَسَدٌ عَظِيمٌ ؛ وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَمَعَهُ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ وَذِيئَابٌ
 وَبَنَاتٌ آوَى وَثَعَالِبٌ وَفُهُودٌ وَنَمُورٌ ؛ وَكَانَ هَذَا الْأَسَدُ مُنْفَرِدًا
 بِرَأْيِهِ دُونَ أَخِيهِ بَرَأَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ خُورَ
 الثَّوْرِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَأَى ثُورًا قَطُ ، وَلَا سَمِعَ خُورَهُ ؛ لِأَنَّهُ
 كَانَ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرُحُ وَلَا يَنْشِطُ ؛ بَلْ يُؤْتَى بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ
 عَلَى يَدِ جُنْدِهِ . وَكَانَ فِيْمَنْ مَعَهُ مِنَ السِّبَاعِ ابْنَا آوَى يُقَالُ

لِأَحَدِهِمَا كَلِيلَةٌ وَلِلْآخَرِ دِمْنَةٌ ، وَكَانَا ذَوِي دَهَاءٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ .
فَقَالَ دِمْنَةُ لِأَخِيهِ كَلِيلَةَ : يَا أُخِي مَا شَأْنُ الْأَسَدِ مُقِيمًا مَكَانَهُ
لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشُطُ ؟ قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ : مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَالْمَسْأَلَةَ عَنْ
هَذَا ؟ نَحْنُ عَلَى بَابِ مَلِكِنَا آخِذِينَ بِمَا أَحَبَّ وَتَارِكِينَ مَا يَكْرَهُ ؛
وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي يَتَسَاوَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ الْمُلُوكِ وَالنَّظَرَ
فِي أُمُورِهِمْ . فَأَمْسَكَ عَنْ هَذَا ، وَأَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْ تَكَلَّفِ مِنَ الْقَوْلِ
وَالْفِعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْقِرْدَ مِنَ النَّجَارِ .
قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قُرْدًا

رَأَى نَجَّارًا يُسَّقُ خَشَبَةً بَيْنَ وَتَدَيْنِ ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا ؛ فَأَعْجَبَهُ
ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ . فَقَامَ الْقِرْدُ ؛ وَتَكَلَّفَ
مَا لَيْسَ مِنْ شُغْلِهِ ، فَرَكِبَ الْخَشَبَةَ ، وَجَعَلَ ظَهْرَهُ قِبَلَ الْوَتْدِ ،
وَوَجْهَهُ قِبَلَ الْخَشَبَةِ ؛ فَتَدَلَّى ذَنْبُهُ فِي الشَّقِّ ، وَنَزَعَ الْوَتِدَ فَلَزِمَ
الشَّقَّ عَلَيْهِ نَحْرٌ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ وَافَاهُ فَرَأَاهُ مَوْضِعَهُ ،
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ . فَكَانَ مَا لَقِيَ مِنَ النَّجَّارِ مِنَ الضَّرْبِ أَشَدَّ

مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْحَشَبَةِ . قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ ،
 وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْنُو مِنَ الْمُلُوكِ لَيْسَ يَدْنُو مِنْهُمْ لِبَطْنِهِ ،
 وَإِنَّمَا يَدْنُو مِنْهُمْ لِيَسَّرَ الصَّدِيقَ وَيَكْتَبَ الْعَدُوَّ . وَإِنَّ مِنَ
 النَّاسِ مَنْ لَا مَرُوءَةَ لَهُ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِالْقَلِيلِ وَيَرْضَوْنَ
 بِالذُّونِ ، كَالْكَلْبِ الَّذِي يُصِيبُ عَظْمًا يَابِسًا فَيَفْرَحُ بِهِ . وَأَمَّا
 أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ فَلَا يُقْنِعُهُمُ الْقَلِيلُ ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ ،
 دُونَ أَنْ تَسْمُوَ بِهِ نَفْسُهُمْ إِلَى مَا هُمْ أَهْلٌ لَهُ ، وَهُوَ أَيْضًا لَهُمْ
 أَهْلٌ ، كَالْأَسَدِ الَّذِي يَفْتَرِسُ الْأَرْنَ بَ ، فَإِذَا رَأَى الْبَعِيرَ تَرَكَهَا
 وَطَلَبَ الْبَعِيرَ ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْكَلْبَ يَبْضِضُ بِذَنَبِهِ . حَتَّى
 تَرْمِي لَهُ الْكِسْرَةَ ، وَأَنَّ الْفِيلَ الْمُعْتَرِفَ بِفَضْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِذَا قُدِمَ إِلَيْهِ
 عَافَهُ لَا يَعْتَلِفُهُ حَتَّى يَمْسَحَ وَيَتَمَلَّقَ لَهُ . فَمَنْ عَاشَ ذَا مَالٍ وَكَانَ
 ذَا فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى أَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ فَهُوَ وَإِنْ قَلَّ عُمُرُهُ طَوِيلُ
 الْعُمُرِ . وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضَيْقٌ وَقِلَّةٌ وَإِمْسَاكٌ عَلَى نَفْسِهِ وَذَوِيهِ

فَالْمَقْبُورُ أَحْيَا مِنْهُ . وَمَنْ عَمِلَ لِبَطْنِهِ وَقِنَعَ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ
عُدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ .

قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتَ ، فَرَا جِعَ عَقْلَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ
لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا . فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا
مُمْتَسِكًا ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ . وَلَيْسَ لَنَا مِنَ الْمَنْزِلَةِ مَا يَحُطُّ
حَالَنَا الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا . قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الْمَنَازِلَ مُتَنَازِعَةٌ مُشْتَرَكَةٌ
عَلَى قَدْرِ الْمُرُوءَةِ ؛ فَالْمُرءُ تَرْفَعُهُ مَرْوَعَتُهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ إِلَى
الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ ؛ وَمَنْ لَا مَرْوَعَةَ لَهُ يُحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ
إِلَى الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ . وَإِنْ الِارْتِفَاعَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ ،
وَالِانْحِطَاطَ مِنْهَا هَيِّنٌ ؛ كَالْمَجْرِ الثَّقِيلِ : رَفَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى
الْعَاتِقِ عَسِرٌ ، وَوَضَعَهُ إِلَى الْأَرْضِ هَيِّنٌ . فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَرُومَ
مَا فَوْقَنَا مِنَ الْمَنَازِلِ ، وَأَنْ نَلْتَمِسَ ذَلِكَ بِمُرُوءَتِنَا . ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ
بِهَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ التَّحَوُّلَ عَنْهَا ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : فَمَا الَّذِي اجْتَمَعَ
عَلَيْهِ رَأْيُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هَذِهِ
الْفُرْصَةِ : فَإِنَّ الْأَسَدَ ضَعِيفُ الرَّأْيِ . وَلَعَلِّي عَلَى هَذِهِ الْحَبَابِ

أَذْنُو مِنْهُ فَاصِيبٌ ^{بِأَذْنُو} عِنْدَهُ مَنَزَلَةٌ وَمَكَانَةٌ . قَالَ كَلِيلَةُ : وَمَا يُدْرِيكَ
 أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ التَّبَسَّ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : بِالْحَيْسِ وَالرَّأْيِ
 أَعَدُّ ذَلِكَ مِنْهُ : فَإِنَّ الرَّحْلَ ذَا الْإِئْيِ بِعَرَفٍ حَالَ صَاحِبِهِ

وَبَاطِنَ أَمْرِهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلَالِهِ وَشَكْلِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ : فَكَيْفَ
 تَرْجُو الْمَنَزَلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصَاحِبِ السُّلْطَانِ ، وَلَا لَكَ عِلْمٌ
 بِخِدْمَةِ السَّلَاطِينِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقَوِي لَا يُعْجِزُهُ
 الْحِمْلُ الثَّقِيلُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْحِمْلَ ، وَالرَّجُلُ الضَّعِيفُ
 لَا يَسْتَعِينُ بِالسُّلْطَانِ .

السُّلْطَانُ لَا يَتَوَخَّى بِكَرَامَتِهِ فُضْلَاءَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ يُوَثِّرُ
 الْأَذْنَى وَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ . وَيُقَالُ : إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ

لَيْسَ كَمَنْ دَنَا مِنْهُ بَعْدَ الْبُعْدِ وَلَهُ حَقٌّ وَحَرْمَةٌ ، وَأَنَا مَلْتِمِسٌ بُلُوغِ
 مَكَانَتِهِمْ بِجُهْدِي . وَقَدْ قِيلَ : لَا يُوَاطِبُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ
 إِلَّا مَنْ يَطْرَحُ الْأَنْفَةَ وَيَحْمِلُ الْأَذَى وَيَكْظِمُ الْغَيْظَ وَيَرْفُقُ بِالنَّاسِ
 وَيَكْتُمُ السِّرَّ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ مُرَادَهُ . قَالَ كَلِيلَةُ :
 هَبْكَ وَصَلْتَ إِلَى الْأَسَدِ ، فَمَا تَوْفِيقُكَ عِنْدَهُ الَّذِي تَرْجُو أَنْ
 تَنَالَ بِهِ الْمَنْزِلَةَ وَالْحُظُورَةَ لَدَيْهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لَوْ دَنَوْتُ مِنْهُ
 وَعَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ ، لَرَفَقْتُ فِي مُتَابَعَتِهِ وَقِلَّةِ الْخِلَافِ لَهُ . وَإِذَا
 أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِهِ صَوَابٌ ، زَيْنَتَهُ لَهُ وَصَبْرَتَهُ عَلَيْهِ ، وَعَرَفْتَهُ
 بِمَا فِيهِ مِنَ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ ، وَشَجَعْتَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ ،
 حَتَّى يَزْدَادَ بِهِ سُورًا . وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا يُخَافُ عَلَيْهِ ضَرَّهُ وَشَيْنَهُ ،
 نَصَدْتَهُ عَمَّا فِيهِ مِنَ الضَّرِّ وَالشَّيْءِ ، وَأَعْقَفْتُهُ عَمَّا فِيهِ تَرَكَهُ مِنْ

النَّفْعِ وَالزَّيْنِ ، بِحَسَبِ مَا أَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ
 أَزْدَادَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأَسَدِ مَكَانَةً وَيَرَى مِنِّي مَا لَا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي :

لَفَعَلَ : كَالْمُصَوِّرِ الْمَاهِرِ الَّذِي يُصَوِّرُ فِي الْحَيْطَانِ صُورًا كَأَنَّهَا
 خَارِجَةٌ وَلَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ ، وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ .
 وَاللَّسَانُ وَاللِّسَانُ وَاللِّسَانُ وَاللِّسَانُ وَاللِّسَانُ

مِنَ السُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ خَطِرَةٌ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ أُمُورًا
 ثَلَاثَةً لَا يَجْتَرِي عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَهْوَجُ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهِنَّ إِلَّا قَلِيلٌ ،
 وَهِيَ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَشُرْبُ
 السَّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ . وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْعُلَمَاءُ السُّلْطَانَ بِالْحَبْلِ الصَّعْبِ
 الْمُرْتَقَى الَّذِي فِيهِ الثَّمَارُ الطَّيِّبَةُ وَالْجَوَاهِرُ النَّفِيسَةُ وَالْأَدْوِيَةُ النَّافِعَةُ .
 وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَعْدِنُ السَّبَاعِ وَالثَّمُورِ وَالذِّئَابِ وَكُلِّ ضَارٍ مَخُوفٍ .
 فَالْإِرْتِقَاءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ ، وَالْمُقَامُ فِيهِ أَشَدُّ . قَالَ دِمْنَةُ : صَدَقَتْ

عَمَلُ السُّلْطَانِ وَتِجَارَةُ الْبَحْرِ وَمُنَاجَزَةُ الْعَدُوِّ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ
 فِي الرَّجُلِ الْفَاضِلِ الرَّشِيدِ : إِنَّهُ لَا يُرَى إِلَّا فِي مَكَانَيْنِ ، وَلَا
 يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُمَا : إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مُكْرَمًا ، وَإِمَّا مَعَ النَّسَاكِ مُتَعَبِّدًا ،
 كَالْفَيْلِ إِتْمًا جَمَالَهُ وَبِهَاوِهِ فِي مَكَانَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَرَاهُ وَخَشِيًّا وَإِمَّا
 مَرْجَبًا لِلْمُلُوكِ . قَالَ كَلِيلَةُ : خَارَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ .

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ انْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ
 الْأَسَدُ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ .
 قَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاهُ . ثُمَّ سَأَلَهُ أَيْنَ تَكُونُ ؟ قَالَ :
 لَمْ أَزَلْ مُلَازِمًا بَابَ الْمَلِكِ ، رَجَاءً أَنْ يَحْضُرَ أَمْرًا فَأَعِينِ الْمَلِكَ
 فِيهِ بِنَفْسِي وَرَأْيِي : فَإِنَّ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ تَكْثُرُ فِيهَا الْأُمُورُ الَّتِي
 رُبَّمَا يَنْتَاجُ فِيهَا إِلَى الَّذِي لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَصْغُرُ

أَمْرُهُ إِلَّا وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْغَنَاءِ وَالْمَنَافِعِ عَلَى قَدْرِهِ ،
 حَتَّى الْعُودُ الْمُلْتَقَى فِي الْأَرْضِ رُبَّمَا نَفَعَ ، فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ فَيَكُونُ
 عِدَّتُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَعْجَبَهُ ،

وَوَظَنَّ أَنَّ عِنْدَهُ نَصِيحَةً وَرَأْيًا . فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ فَقَالَ :
 إِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْعِلْمِ وَالْمُرُوءَةِ يَكُونُ حَامِلَ الذِّكْرِ خَافِضَ الْمَنْزِلَةِ ،
 فَتَأْتِي مَنْزِلَتَهُ إِلَّا أَنْ تَشَبَّ وَتَرْتَفِعَ ، كَالشَّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يَضْرِبُهَا
 أَلْسَانُ النَّاسِ فَتُؤَادُّ الْأَعْيَانُ لَهَا فَتَأْتِيهَا مَنَّةٌ لَا تَأْتِي لِقَوْلِ

عَجِبَ مِنْهُ قَالَ : إِنَّ رَعِيَّةَ الْمَلِكِ تَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ ، رَجَاءً
 أَنْ يَعْرِفَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَأَفْرِ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ الْفَضْلَ
 فِي أَمْرَيْنِ : فَضْلُ الْمُقَاتِلِ عَلَى الْمُقَاتِلِ وَالْعَالِمِ عَلَى الْعَالِمِ .
 وَإِنْ كَثُرَ الْأَعْوَانُ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُحْتَبَرِينَ رَبَّمَا تَكُونُ مَضْرَّةً عَلَى

وَأَحَبُّ دِمْنَةٍ أَنْ يَرَى الْقَوْمَ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ الْمَلِكِ إِنَّمَا
هُوَ لِرَأْيِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ : لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ
لَعَرَفْتَهُ أَبَاهُ ، فَقَالَ . إِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَقْرُبُ إِلَّا حَالًا ، لِقُرْبِ

آبَائِهِمْ ، وَلَا يُبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ
رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ : لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ
وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوِي حَتَّى يُوْذِيَهُ وَلَا يُدْفَعُ ذَلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِالذَّوَاءِ
الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةً مِنْ مَقَالَتِهِ هَذِهِ أُعْجِبَ الْمَلِكُ بِهِ إِعْجَابًا شَدِيدًا ،
وَأَحْسَنَ الرَّدَّ عَلَيْهِ ، وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ . ثُمَّ قَالَ لِجُلَسَانِهِ : يَنْبَغِي
لِلسُّلْطَانِ أَلَّا يَلْبِغَ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي الْحُقُوقِ . وَالنَّاسُ
فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ : رَجُلٌ طَبَعَهُ الشَّرَاسَةُ ، فَهُوَ كَالْحَيَّةِ إِنْ وَطَّئَهَا
الْوَأْطِي فَلَمْ تَلْدَغْهُ ، لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغْرَهُ ذَلِكَ مِنْهَا ، فَيَعُودُ

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ اسْتَأْنَسَ بِالْأَسَدِ وَخَلَا بِهِ . فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : أَرَى
 الْمَلِكَ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ ، فَمَا سَبَبُ ذَلِكَ ؟
 فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِذْ خَارَ شَثْرَبَةُ خَوَارًا شَدِيدًا : فَهَبَّجَ
 الْأَسَدُ وَكْرَهُ أَنْ يُخْبِرَ دِمْنَةَ بِمَا نَالَهُ ، وَعَلِمَ دِمْنَةُ أَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتُ
 قَدْ أَدْخَلَ عَلَى الْأَسَدِ رِيْبَةً وَهَيْبَةً ^(١) . فَسَأَلَهُ : هَلْ رَأَى الْمَلِكَ
 سَمَاعُ هَذَا الصَّوْتِ ؟ قَالَ لَمْ يَرِنِّي شَيْءٌ سِوَى ذَلِكَ . قَالَ
 دِمْنَةُ : لَيْسَ الْمَلِكُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَدَعَ مَكَانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ . فَقَدَّ
 قَالَتِ الْعُلَبَاءُ : إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كُلِّ الْأَصْوَاتِ تَجِبُ الْهَيْبَةُ .
 قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا مِثْلُ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجْمَةَ فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى
 شَجَرَةٍ ، وَكَلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ حَرَّكَتَهَا ،
 فَضْرَبَتْ الطَّبْلَ فَسَمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ ، فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ نَحْوَهُ
 لِأَنَّ مَا سَمِعَ مِنْ عَظْمِ صَوْتِهِ ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَحَدَّهُ ضَخًّا ، فَأَنْقَضَ

فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ . فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ
 أَجُوفَ لَا شَيْءَ فِيهِ ، قَالَ : لَا أَذْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ الْأَشْيَاءِ
 أَجْهَرُهَا صَوْتًا وَأَعْظَمُهَا جُنَّةً . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ
 لِتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ الَّذِي رَاعَنَا ، لَوْ وَصَلْنَا إِلَيْهِ ، لَوَجَدْنَاهُ
 أَيْسَرَ مِمَّا فِي أَنْفُسِنَا . فَإِنْ شَاءَ الْمَلِكُ بَعَثَنِي وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ
 حَتَّى آتِيَهُ بَيَانُ هَذَا الصَّوْتِ . فَوَافَقَ الْأَسَدَ قَوْلُهُ ، فَأَذِنَ لَهُ
 بِالذَّهَابِ نَحْوَ الصَّوْتِ . فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ
 شَرَبَةٌ . فَلَمَّا فَصَلَ دِمْنَةُ مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ ، فَكَّرَ الْأَسَدُ فِي أَمْرِهِ ،
 وَنَدِمَ عَلَى إِرْسَالِ دِمْنَةَ . حَيْثُ أَرْسَلَهُ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :
 مَا أَصَبْتُ فِي أَيْتَمَانِي دِمْنَةَ ، وَقَدْ كَانَ بِيَابِي مَطْرُوحًا ،
 فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ يَحْضُرُ بَابَ الْمَلِكِ ، وَقَدْ أُبْطِلَتْ حُقُوقُهُ مِنْ
 غَيْرِ جُرْمٍ كَانَ مِنْهُ ، أَوْ كَانَ مَبْغِيًّا عَلَيْهِ عِنْدَ سُلْطَانِهِ ، أَوْ كَانَ
 عِنْدَهُ مَعْرُوفًا بِالشَّرِّ وَالْحَرِصِ ، أَوْ كَانَ قَدْ أَصَابَهُ ضَرْبٌ وَضِيقٌ
 فَلَمْ يُنْعِشْهُ ، أَوْ كَانَ قَدْ أَجْتَرَمَ جُرْمًا فَهُوَ يَخَافُ الْعُقُوبَةَ مِنْهُ ، أَوْ
 كَانَ يَرْجُو شَيْئًا يَضُرُّ الْمَلِكَ وَلَهُ مِنْهُ نَفْعٌ ، أَوْ يَخَافُ فِي شَيْءٍ

مَّا يَنْفَعُهُ ضُرًّا ، أَوْ كَانَ لَعُدُو الْمَلِكِ مُسَالِمًا ، وَلِمُسَالِمِهِ مُحَارِبًا ،
 فَلَيْسَ السُّلْطَانُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَعْجَلَ بِالِاسْتِرْسَالِ إِلَيْهِ . وَالثِّقَّةُ بِهِ ،
 وَالِإِثْمَانُ لَهُ : فَإِنَّ دَمَنَةَ دَاهِيَةٌ أَرِيْبٌ . وَقَدْ كَانَ بِبَابِي
 مَطْرُوحًا مَجْفُوفًا . وَلَعَلَّهُ قَدْ اخْتَمَلَ عَلَيَّ بِذَلِكَ ضِغْنًا ، وَلَعَلَّ
 ذَلِكَ يَجْمَلُهُ عَلَيَّ خِيَانَتِي وَإِعَانَةَ عَدُوِّي وَنَقِيصَتِي عِنْدَهُ ، وَلَعَلَّهُ
 صَادَفَ صَاحِبَ الصَّوْتِ أَقْوَى سُلْطَانًا مِنِّي فَيَرْتَبُّ بِهِ عَنِّي
 وَيَجْمِلُ مَعَهُ عَلَيَّ . ثُمَّ قَامَ مِنْ مَكَانِهِ فَمَشَى غَيْرَ بَعِيدٍ ، فَبَصُرَ
 بِدَمَنَةَ مُقْبِلًا نَحْوَهُ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ ،
 وَدَخَا دَمَنَةَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ ، لَهُ . مَاذَا صَنَعْتَ ؟ وَمَاذَا أَنْتَ ؟

قال : رايت ثورا هو صاحب الحوار والصوت الذي سمعته .

قال : فما قوته ؟ قال : لا شوكة له . وقد دنوت منه وحاورته

محاورة الأكلفاء فلم يستطع لي شيئا . قال الأسد : لا يغرنك

قَالَ دِمْنَةُ : لَا تَهَابَنَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ
أَمْرُهُ : فَأَنَا آتِيكَ بِهِ لِيَكُونَ لَكَ عَبْدًا سَامِعًا مُطِيعًا . قَالَ
الْأَسَدُ : دُونَكَ وَمَا بَدَا لَكَ .

فَانْطَلَقَ دِمْنَةُ إِلَى الثَّوْرِ ، فَقَالَ لَهُ غَيْرَ هَائِبٍ وَلَا مُكْتَرِبٍ :
إِنَّ الْأَسَدَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِآتِيَهُ بِكَ . وَأَمْرِنِي ، إِنْ أَنْتَ عَجِلْتَ
السَّهْ طَائِعًا ، أَنْ أُوَمِّمَكَ عَا مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْكَ فِي السَّائِغِ .

عَنْهُ وَتَرِكَكَ لِقَاءَهُ ، وَإِنْ أَنْتَ تَأَخَّرْتَ عَنْهُ وَأَجَمْتِ ، أَنْ
أَعَجَلَ الرَّجْعَةَ إِلَيْهِ فَأُخْبِرُهُ . قَالَ لَهُ شَتْرِبَةُ : وَمَنْ هُوَ هَذَا
الْأَسَدُ الَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيَّ ، وَأَنْزَلَهُ هُوَ ؟ وَمَا حَالُهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ :

ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ قَرَّبَ شَتْرَبَةَ وَأَكْرَمَهُ وَأَنَسَ بِهِ وَأَتَمَّنَهُ عَلَى أَسْرَارِهِ
 وَشَاوَرَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمْ تَزِدْهُ الْإَيَّامُ إِلَّا عَجَبًا بِهِ وَرَغْبَةً فِيهِ
 وَتَقْرِيبًا مِنْهُ ، حَتَّى صَارَ أَخْصَّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً . فَلَمَّا رَأَى
 دِمْنَةً أَنَّ الثَّورَ قَدْ اخْتَصَّ بِالْأَسَدِ دُونَهُ وَدُونَ أَصْحَابِهِ ، وَأَنَّهُ قَدْ
 صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلْوَاتِهِ وَهَوِيهِ ، حَسَدَهُ حَسَدًا عَظِيمًا ، وَبَلَغَ
 مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ : فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى أَخِيهِ كَلِيلَةَ ، وَقَالَ لَهُ :
 أَلَا تَعْجَبُ يَا أَحِي مِنْ عَجْزِ رَأْيِي ، وَصُنْعِي بِنَفْسِي ؟ وَنَظْرِي
 فِيمَا يَنْفَعُ الْأَسَدَ ، وَأَغْفَلْتُ نَفْعَ نَفْسِي حَتَّى جَلَبْتُ إِلَى الْأَسَدِ
 ثُورًا غَلَبَنِي عَلَى مَنْزِلَتِي .

قَالَ كَلِيلَةُ : أَخْبِرْنِي عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَعْرِزَ عَلَيْهِ
 فِي ذَلِكَ . قَالَ دِمْنَةُ : أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ الْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزْدَادَ
 مَنْزِلَتِي عِنْدَ الْأَسَدِ فَوْقَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ أَلْتَمِسُ أَنْ أَعُودَ
 إِلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ . فَإِنَّ أُمَّيَا ثَلَاثَةَ الْعَاقِلَاتُ حَدُّهُ بِالنَّظَرِ فِيمَا

فِيحْتَرِسُ مِنَ الضَّرِّ الَّذِي أَصَابَهُ فِيمَا سَلَفَ لَيْثًا يَعُودَ إِلَى ذَلِكَ
الضَّرِّ ، وَيَلْتَمِسُ النَّفْعَ الَّذِي مَضَى وَيَحْتَالُ لِمُعَاوَدَتِهِ ، وَمِنْهَا
النَّظْرُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ ، وَالِاسْتِيْثَاقُ بِمَا
يَنْفَعُ وَالْهَرَبُ بِمَا يَضُرُّ ، وَمِنْهَا النَّظْرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ
قَبْلِ النَّفْعِ ، وَمَا يَخَافُ مِنْ قَبْلِ الضَّرِّ ، فَيَسْتَتِمُّ مَا يَرْجُو وَيَتَوَقَّى
مَا يَخَافُ بِجُهْدِهِ . وَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي بِهِ أَرْجُو
أَنْ تَعُودَ مَنْزِلَتِي ، وَمَا غَلِبْتُ عَلَيْهِ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ ، لَمْ أَجِدْ
حِيلَةً وَلَا وَجْهًا إِلَّا الْإِحْتِيَالَ لِأَكْلِ الْعُشْبِ هَذَا ، حَتَّى أُفْرِقَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ : فَإِنَّهُ إِنْ فَارَقَ الْأَسَدَ عَادَتْ لِي مَنْزِلَتِي .
وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ خَيْرًا لِلْأَسَدِ : فَإِنَّ إِفْرَاطَهُ فِي تَقْرِيْبِ الثَّوْرِ
خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ : مَا أَرَى عَلَى
الْأَسَدِ فِي رَأْيِهِ فِي الثَّوْرِ وَمَكَانِهِ مِنْهُ وَمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ شَيْنًا وَلَا شَرًّا .
قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّمَا يُوْتِي السُّلْطَانَ وَيُفْسِدُ أَمْرَهُ مِنْ قَبْلِ سِتَّةِ
أَشْيَاءَ : الْحَرَمَانَ وَالْفِتْنَةَ وَالْهُوَى وَالنَّفْطَاظَةَ وَالزَّمَانَ وَالْحَرْقَ .

(١) أتى فلان كمنى أشرف عليه العدو والمراد فتح باب الشر عليه .

فَأَمَّا الْحِرْمَانُ فَإِنَّ يُحْرَمَ صَالِحَ الْأَعْوَانِ وَالنُّصَحَاءِ وَالسَّاسَةِ مِنْ
 أَهْلِ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ وَالْأَمَانَةِ ، وَتَرَكَ التَّفَقُّدَ لِمَنْ هُوَ كَذَلِكَ . وَأَمَّا
 الْفِتْنَةُ فَهِيَ تَحَارِبُ النَّاسِ وَوُقُوعُ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ . وَأَمَّا الْهُوَى
 فَالْغَرَامُ بِالْحَدِيثِ وَاللَّهُوِ وَالشَّرَابِ وَالصَّيْدِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَأَمَّا
 الْفِظَاطَةُ فَهِيَ إِفْرَاطُ الشِّدَّةِ حَتَّى يَجْمَحَ اللِّسَانُ بِالشَّتْمِ وَالْيَدُ
 بِالْبَطْشِ فِي غَيْرِ مَوْضِعَيْهِمَا . وَأَمَّا الزَّمَانُ فَهُوَ مَا يُصِيبُ النَّاسَ
 مِنَ السَّنَةِ وَالْمَمْتِ وَنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَالغَنَاءَاتِ وَأَشْيَاءِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا انْحِرَاقُ فَإِعْمَالُ الشِّدَّةِ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ ، وَاللَّيْنُ فِي مَوْضِعِ
 الشِّدَّةِ . وَإِنَّ الْأَسَدَ قَدْ أُغْرِمَ بِالثَّوْرِ إِغْرَامًا شَدِيدًا هُوَ الَّذِي
 ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيُضْرَهُ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ :
 وَكَيْفَ تَطِيقُ الثَّوْرٌ وَهُوَ أَشَدُّ مِنْكَ وَأَكْرَمُ عَلَى الْأَسَدِ مِنْكَ
 وَأَكْثَرُ أَعْوَانًا ؟ قَالَ دِمْنَةُ : لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِي وَضَعْفِي :
 فَإِنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ بِالضَّعْفِ وَلَا الْقُوَّةَ وَلَا الصِّغَرِ وَلَا الْكِبَرِ
 فِي الْجُثَّةِ : فَرُبَّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِجِيلَتِهِ وَدَهَانِهِ وَرَأْيِهِ

قَالَ دِمْنَةٌ : زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا كَانَ لَهُ وَكْرٌ فِي شَجَرَةٍ عَلَى جَبَلٍ ،
وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ بَحْرٌ تُعْبَانِ أَسْوَدٌ ، فَكَانَ الْغُرَابُ إِذَا فَرَّخَ عَمَدَ
الْأَسْوَدِ إِلَى فِرَاحِهِ فَأَكَلَهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مِنَ الْغُرَابِ وَأَحْزَنَهُ ،
فَشَكَ ذَلِكَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنَاتِ آوَى ، وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ
مُشَاوَرَتَكَ فِي أَمْرٍ قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ
الْغُرَابُ : قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْأَسْوَدِ إِذَا نَامَ ، فَأَنْقُرُ
عَيْنَيْهِ ، فَأَفْقَاهُمَا ، لَعَلِّي أَسْتَرِيحُ مِنْهُ . قَالَ ابْنُ آوَى : بِئْسَ
الْحِيلَةُ الَّتِي اخْتَلْتُ بِهَا ، فَالْتَمَسَ أَمْرًا تُصِيبُ فِيهِ بَغِيَّتَكَ مِنْ
الْأَسْوَدِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُغَرَّرَ بِنَفْسِكَ وَتُخَاطَرِ بِهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ
يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلِ الْعُلْجُومِ الَّذِي أَرَادَ قَتْلَ السَّرَطَانِ فَقَتَلَ
نَفْسَهُ . قَالَ الْغُرَابُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ ابْنُ آوَى : زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَّشَ فِي أَجْمَةٍ كَثِيرَةٍ
السَّمَكِ ، فَعَاشَ بِهَا مَا عَاشَ ، ثُمَّ هَرِمَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا ،
فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ ، فَجَلَسَ خَزِينًا يَلْتَمِسُ الْحِيلَةَ

فِي أَمْرِهِ ، فَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ ، فَرَأَى حَالَتَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَابَةِ
 وَالْحَزَنِ ، فَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ : مَا لِي أُرَاكَ أَيُّهَا الطَّائِرُ هَكَذَا حَزِينًا
 كَثِيبًا ؟ قَالَ الْعُلْجُومُ : وَكَيْفَ لَا أَحْزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ
 صَيْدِ مَا هَاهُنَا مِنَ السَّمَكِ ؟ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ صَيَّادَيْنِ قَدْ
 مَرَّ بِهَذَا الْمَكَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنَّ هَاهُنَا سَمَكًا
 كَثِيرًا أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوَّلًا ؟ فَقَالَ الْآخَرُ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَكَانٍ
 كَذَا سَمَكًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا السَّمَكِ ، فَلَنَبْدَأُ بِذَلِكَ ، فَإِذَا فَرَّغْنَا
 مِنْهُ جِئْنَا إِلَى هَذَا فَأَقْنِينَاهُ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَّغَا مِمَّا
 هُنَاكَ ، أَتَيْتُمَا إِلَى هَذِهِ الْأَجْمَةِ فَاصْطَادَا مَا فِيهَا ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
 فَهُوَ هَلَاكِي وَنَفَادُ مَدَّتِي . فَاَنْطَلَقَ السَّرَطَانُ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى
 جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَنِي إِلَى الْعُلْجُومِ فَاسْتَشْرَنَهُ ،
 وَقُلْنَا لَهُ : إِنَّا أَتَيْنَاكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنَا : فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ لَا يَدْعُ مُشَاوَرَةَ
 عَدُوِّهِ . قَالَ الْعُلْجُومُ : أَمَّا مَكَابِرَةُ الصَّيَّادَيْنِ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهَا ،
 وَلَا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا الْمَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ قَرِيبٍ مِنْ هَاهُنَا ، فِيهِ سَمَكٌ
 وَمِيَاءٌ عَظِيمَةٌ وَقَصَبٌ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَنِ الْإِنْتِقَالَ إِلَيْهِ ، كَانَ فِيهِ

صَاحِبُ حَكْمٍ وَخَصْبُ كَيْفٍ . فَقُلْنَا لَهُ : مَا يَمُنُّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ غَيْرُكَ .
 جَعَلَ الْعُلْجُومُ يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَمَكَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمَا إِلَى
 بَعْضِ التَّلَالِ فَيَأْكُلُهُمَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لِأَخِيذِ
 السَّمَكَيْنِ ، بِخَاءِ السَّرَطَانِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَيْضًا قَدْ أَشْفَقْتُ
 مِنْ مَكَانِي هَذَا وَاسْتَوَحِشْتُ مِنْهُ فَأَذْهَبُ بِي إِلَى ذَلِكَ الْغَدِيرِ ،
 فَاحْتَمَلَهُ وَطَارَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ التَّلَالِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ
 السَّمَكَ فِيهِ نَظَرَ السَّرَطَانُ فَرَأَى عِظَامَ السَّمَكِ مَجْمُوعَةً هُنَاكَ ،
 فَعَلِمَ أَنَّ الْعُلْجُومَ هُوَ صَاحِبُهَا ، وَأَنَّهُ يَرِيدُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ . فَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ عَدُوَّهُ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا
 هَالِكٌ ، سِوَاءَ قَاتِلٍ أَمْ لَمْ يُقَاتِلْ ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ
 نَفْسِهِ كَرَمًا وَحِفَاطًا ، ثُمَّ أَهْوَى بِكَلْبَتَيْهِ عَلَى عُنُقِ الْعُلْجُومِ ،
 فَعَصَرَهُ فَمَاتَ ، وَتَخَلَّصَ السَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ السَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ
 بِذَلِكَ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْحِيلَةِ

(١) أهنة . (٢) كلبنا السَّرَطَانُ : هما قرناء اللذان يشبهان الأداة التي يأخذها

الحداد الحديد المحي أم التي يخرج بها النجار المسامير من الخشب (الكاشة) .

مَهْلَكَةٌ لِلْمُحْتَالِ وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ ، إِنَّ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ ،
كَانَ فِيهِ هَلَاكُ الْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ ، وَتَكُونَ
فِيهِ سَلَامَتَكَ . قَالَ الْغُرَابُ : وَمَا ذَلِكَ ؟

قَالَ ابْنُ آوَى : تَنْطَلِقُ فَتَبْصُرُ فِي طَيْرَانِكَ : لَعَلَّكَ أَنْ تَظْفَرَ

بِحَبْلٍ مِنْ حَبْلِ الْغُرَابِ فَتَسْقُطُ فِيهِ فَتَهْلِكُ . قَالَ الْغُرَابُ : وَمَا ذَلِكَ ؟

لَا تَفُوتُ الْعُيُونَ ، حَتَّى تَأْتِيَ جُحْرَ الْأَسْوَدِ فَتَرْمِي بِالْحَلِيِّ عِنْدَهُ .
فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَخَذُوا حَلِيهِمْ وَأَرَاخُوكَ مِنَ الْأَسْوَدِ .
فَانْطَلَقَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا فِي السَّمَاءِ ، فَوَحَدَ امْرَأَةً مِنْ سِنَاتِ الْعُظَمَاءِ

لَوْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ . وَلَكِنَّ لَهُ مَعَ
شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنَ الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ . فَمَاذَا تَسْتَطِيعُ لَهُ ؟ قَالَ

بِالْفَضْلِ ؛ وَأَنَا خَلِيقٌ أَنْ أَصْرَعَهُ كَمَا صَرَعَتِ الْأَرْنَبُ الْأَسَدَ .
قَالَ كِيلَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ الْمِيَاهِ
وَالْعُشْبِ ؛ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ مِنَ الْوُحُوشِ فِي سَعَةِ الْمِيَاهِ
وَالْمَرْعَى شَيْءٌ كَثِيرٌ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذَلِكَ نَحْوْفِهَا مِنْ
الْأَسَدِ ؛ فَاجْتَمَعَتْ وَآتَتْ إِلَى الْأَسَدِ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ
لَتُصِيبُ مِنَّا الدَّابَّةَ بَعْدَ الْجَهْدِ وَالتَّعَبِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ

الْأَسَدِ . فَقَالَتْ الْوُحُوشُ : وَمَا الَّذِي تُكَلِّفِينَا مِنَ الْأُمُورِ ؟

صَدَقَتْ

فَاعْلَمْتَهُنَّ صَنِيعَهَا بِالْأَسَدِ . قَالَ كَيْلَةُ : إِنْ قَدَرْتَ عَلَى هَلَاكِ
 الثَّوْرِ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ مَضَرَّةٌ لِلْأَسَدِ فَشَانِكِ ^{بِشَيْءٍ} : فَإِنَّ الثَّوْرَ قَدْ أَضْرَبَ
 وَبِكَ وَبِغَيْرِنَا مِنْ الْجُنْدِ ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرِ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِهَلَاكِ
 الْأَسَدِ ، فَلَا تُقَدِّمِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ غَدْرٌ مِنِّي وَمِنْكَ . ثُمَّ إِنْ دِمْنَةُ
 تَرَكَ الدُّخُولَ عَلَى الْأَسَدِ أَيَّامًا كَثِيرَةً ، ثُمَّ أَتَاهُ عَلَى خَلْوَةٍ مِنْهُ ،
 فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا حَبَسَكَ عَنِّي ؟ مُنْذُ زَمَانٍ لَمْ أَرَكَ . أَلَا نَحْيِرُ
 كَانَ انْقِطَاعُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : فَلْيَكُنْ خَيْرًا أَيُّهَا الْمَلِكُ . قَالَ الْأَسَدُ :

وَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي وَخِخْتُ أَلَّا تَقْبَلَ مِنِّي فَإِنَّهُ يُقَالُ : مَنْ كَتَمَ
السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ وَالْإِخْوَانَ رَأْيَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ . قَالَ الْأَسَدُ :
فَمَا ذَاكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : حَدَّثَنِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ عِنْدِي أَنَّ شَتْرِبَةَ خَلَا
بِرَعُوسِ جُنْدِكَ ، وَقَالَ : قَدْ خَبَرْتُ الْأَسَدَ وَبَلَوْتُ رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ
وَقُوَّتَهُ : فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذَلِكَ يُعُولُ مِنْهُ إِلَى ضَعْفٍ وَعَجْزٍ ،
وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَأْنٌ مِنَ الشُّعُونِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ عَلِمْتُ
أَنَّ شَتْرِبَةَ خَوَّانٌ غَدَّارٌ ، وَأَنَّكَ أَكْرَمْتَهُ الْكِرَامَةَ كُلَّهَا ، وَجَعَلْتَهُ
نَظِيرَ نَفْسِكَ ، وَهُوَ يُظَنُّ أَنَّهُ مِثْلُكَ . وَأَنَّكَ مَتَى زُلْتَ عَنْ مَكَانِكَ
صَارَ لَهُ مُدْلُكَكَ ، وَلَا يَدْعُ جُهْدًا إِلَّا بَلَغَهُ فِيكَ . وَقَدْ كَانَ
يُقَالُ : إِذَا عَرَفَ الْمَلِكُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ
وَالْحَالِ ، فَلْيَضَعَهُ ، فَإِنَّ لَمْ تَفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ ، كَانَ هُوَ الْمُضْمُوعَ .

الْحَازِمِينَ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ لَهُ ، وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ
 شِعَاعًا ، ^(١) وَلَمْ تَعِيَ بِهِ حِيلَتُهُ وَمَكِيدَتُهُ الَّتِي يَرْجُو بِهَا الْمَخْرَجَ مِنْهُ ،
 وَأَخْزَمَ مِنْ هَذَا الْمُتَقَدِّمِ ذُو الْعُدَّةِ الَّذِي يَعْرِفُ الْإِبْتِلَاءَ قَبْلَ
 وَقُوعِهِ ، فَيُعْظِمُهُ إِعْظَامًا ، وَيَحْتَالُ لَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ :

^(٢) فَيَحْسِبُ الدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ ، وَيَدْفَعُ الْأَمْرَ قَبْلَ وَقُوعِهِ .
 وَأَمَّا الْعَاجِزُ فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوَانٍ حَتَّى يَهْلِكَ . وَمِنْ أَمْثَالِ
 ذَلِكَ مَثَلُ السَّمَكَاتِ الثَّلَاثِ . قَالَ الْأَسَدُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ سَمَكَاتٍ : كَيْسَةُ
 وَأَكْبِسُ مِنْهَا وَعَاجِزَةٌ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْغَدِيرُ بِنَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ
 لَا يَكَادُ يَقْرِبُهُ أَحَدٌ ، وَيَقْرِبُهُ نَهْرٌ جَارٍ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَازَ بِذَلِكَ
 النَّهْرِ صَيَادَانٍ ، فَأَبْصَرَ الْغَدِيرَ ، فَتَوَاعَدَا أَنْ يَرْجِعَا إِلَيْهِ بِشَبَا كِلَيْهِمَا
 فَيَصِيدَا مَا فِيهِ مِنَ السَّمَكِ . فَسَمِعَ السَّمَكَاتُ قَوْلَهُمَا : فَأَمَّا
 أَكْبِسُ لَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُمَا ، وَارْتَابَتْ بِهِمَا ، وَخَوَّفَتْ مِنْهُمَا ،
 فَلَمْ تَعْرِجْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى نَحَرَجَتْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ ^(٤)

(١) متفرقا . (٢) يقطع . (٣) مرتفع من الأرض . (٤) لم تقف .

الماء من النهر إلى الغدير . وأما الكيسة فإنها مكثت مكانها

١٢١

بِأَهْلِ ؛ فَإِذَا بَلَغَهَا التَّمَسَّ مَا فَوْقَهَا ؛ وَلَا سِيَّأَ أَهْلُ الْحَيَاةِ
 وَالْفُجُورِ : فَإِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاجِرَ لَا يَخْدُمُ السُّلْطَانَ وَلَا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا
 مِنْ فَرْقٍ . (١) فَإِذَا اسْتَعْنَى وَذَهَبَتِ الْهَيْبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ ؛ كَذَنبِ
 الْكَلْبِ الَّذِي يُرْبَطُ لِيَسْتَقِيمَ فَلَا يَزَالُ مُسْتَوِيًّا مَا دَامَ مُرْبُوطًا ؛
 فَإِذَا حُلَّ انْحَنَى وَاعْوَجَ كَمَا كَانَ . وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْبَلْ
 مِنْ نَصَحَاتِهِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ بِهِ ، لَمْ يَحْمَدِ رَأْيَهُ ؛
 كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَدْعُ مَا يَبْعَثُ لَهُ الطَّبِيبُ ؛ وَيَعْمَدُ إِلَى
 مَا يَسْتَهِيهِ . وَحَقُّ عَلَى مُوَازِرِ السُّلْطَانَ أَنْ يَبَالِغَ فِي التَّخَضُّيْضِ
 لَهُ عَلَى مَا يَزِيدُ سُلْطَانَهُ قُوَّةً وَيَزِينُهُ ؛ وَالْكَفَّ عَمَّا يَضُرُّهُ وَيَسِينُهُ ؛
 وَخَيْرُ الْإِخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ أَقْلَهُمْ مَدَاهِنَةً فِي النَّصِيحَةِ ؛ وَخَيْرُ
 الْأَعْمَالِ أَحْلَاهَا عَاقِبَةً ؛ وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْمُوَافِقَةُ لِبَعْلِهَا ؛ وَخَيْرُ
 الثَّنَاءِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ ؛ وَأَشْرَفُ الْمُلُوكِ مَنْ لَمْ يُخَالِطْهُ
 بَطْرٌ ؛ وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعْوَنُهَا عَلَى الْوَرَعِ . وَقَدْ قِيلَ : لَوْ أَنَّ
 أَمْرًا تَوَسَّدَ النَّارَ وَافْتَرَشَ الْحَيَاتِ ، كَانَ أَحَقَّ الْأَيَّامِ بِهِنَّهُ النَّوْمُ .

وَالرَّجُلُ إِذَا أَحْسَسَ مِنْ صَاحِبِهِ بَعْدَاوَةَ يُرِيدُهُ بِهَا ، لَا يَطْمَئِنُّ
إِلَيْهِ ، وَأَعْجَزُ الْمُلُوكِ آخِذُهُمْ بِالْهُوَيْنَى ، وَأَقْلَهُمْ نَظْرًا فِي مُسْتَقْبَلِ
الْأُمُورِ ، وَأَشْبَهُهُمْ بِالْفَيْلِ الْهَائِجِ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ :
فَإِنْ حَزِبَهُ أَمْرٌ تَهَاوَنَ بِهِ ، وَإِنْ أَضَاعَ الْأُمُورَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى
قَرْنَانِهِ . قَالَ لَهُ الْأَسَدُ : لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي الْقَوْلِ ، وَقَوْلُ النَّاصِحِ
مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ . وَإِنْ كَانَ شَرِبَةً مُعَادِيًا لِي ، كَمَا تَقُولُ ، فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَطِيعُ لِي ضَرًّا ، وَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ آكِلُ عُشْبٍ
وَأَنَا آكِلُ لَحْمٍ ؟ وَإِنَّمَا هُوَ لِي طَعَامٌ ، وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ .
مَهَّم لَيْسَ إِلَى الْغَدْرِ بِهِ سَبِيلٌ بَعْدَ الْأَمَانِ الَّذِي جَعَلْتَهُ لَهُ ، وَبَعْدَ
إِكْرَامِي لَهُ ، وَثَنَائِي عَلَيْهِ . وَإِنْ عَيَّرْتُ مَا كَانَ مِنِّي وَبَدَّلْتُهُ ،
سَفَهْتُ رَأْيِي وَجَهَلْتُ نَفْسِي وَغَدَرْتُ بِذِمَّتِي . قَالَ دِمْنَةُ :
لَا يَغُرُّنَا قَوْلُكَ : هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ : فَإِنْ شَرِبْتَهُ
إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْكَ بِنَفْسِهِ اِحْتَالَ لَكَ مِنْ قَبْلِ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ :
إِنْ اسْتَضَافَكَ ضَيْفٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَخْلَاقَهُ
فَلَا تَأْمَنُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تَأْمَنُ أَنْ يَصِلَكَ مِنْهُ أَوْ بِسَبَبِهِ

قَالَ دِمْنَةٌ : زَعَمُوا أَنَّ قَمَلَةً لَزِمَتْ فِرَاشَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ
 دَهْرًا فَكَانَتْ تُصِيبُ مِنْ دَمِهِ وَهُوَ نَائِمٌ لَا يَشْعُرُ ، وَتَدْبُ
 دَيْبًا رَفِيقًا ، فَكَثُرَتْ كَذَلِكَ حِينًا حَتَّى اسْتَضَافَهَا لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي
 بَرُغُوثٌ ، فَقَالَتْ لَهُ : بَيْتَ اللَّيْلَةِ عِنْدَنَا فِي دَمٍ طَيِّبٍ وَفِرَاشٍ لَيِّنٍ ؛
 فَأَقَامَ الْبُرْغُوثُ عِنْدَهَا حَتَّى إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ وَثَبَّ عَلَيْهِ
 الْبُرْغُوثُ فَلَدَغَهُ لَدَغَةً أَيَقْظَتْهُ ؛ وَأَطَارَتْ النَّوْمَ عَنْهُ ؛ فَقَامَ الرَّجُلُ
 وَأَمَرَ أَنْ يُفْتَشَ فِرَاشُهُ ؛ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ إِلَّا الْقَمَلَةَ ؛ فَأَخَذَتْ
 فَقُصَعَتْ ^(١) وَفَإِنَّ الْبُرْغُوثَ . وَتَمَّا ضَمَّتْ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لَتَعَلَّ

أَنَّ صَاحِبَ الشَّرِّ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ أَحَدٌ ؛ وَإِنْ هُوَ ضَعُفَ عَنِ
 ذَلِكَ جَاءَ الشَّرُّ بِسَبَبِهِ . وَإِنْ كُنْتَ لَا تَخَافُ مِنْ شَتْرَبَةٍ ، نَخَفَ
 غَيْرُهُ مِنْ جُنْدِكَ الَّذِينَ قَدْ حَمَلَهُمْ عَلَيْكَ وَعَلَى عَدَاوَتِكَ . فَوَقَعَ
 فِي نَفْسِ الْأَسَدِ كَلَامُ دِمْنَةَ . فَقَالَ : فَمَا الَّذِي تَرَى إِذَا ؟
 وَبِمَاذَا تُشِيرُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الضَّرْسَ لَا يَزَالُ مُتَأَكِّلًا ، وَلَا
 يَزَالُ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي أَلَمٍ وَأَذَى حَتَّى يُفَارِقَهُ . وَالطَّعَامُ الَّذِي

قَدْ عَفِنَ فِي الْبَطْنِ ، الرَّاحَةُ فِي قَذْفِهِ . وَالْعَلِيُّ الْمَخُوفُ ، دَوَاوَهُ

عَاقَبَ وَإِيَّاهَا ظَلَمَ . قَالَ دِمْنَةُ : أَمَا إِذَا كَانَ هَذَا رَأَى الْمَلِكِ ،
فَلَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ شَرْبَةٌ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعِدُّ لَهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَكَ
مِنْهُ غِرَّةٌ أَوْ غَفْلَةٌ : فَإِنِّي لَا أَحْسِبُ الْمَلِكَ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا
سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظِيمَةٍ . وَمِنْ عِلَامَاتِ ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى
لَوْنَهُ مُتَغَيِّرًا ، وَتَرَى أَوْصَالَه تَرَعْدُ ، وَتَرَاهُ مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا ،
وَتَرَاهُ يَهْزُقُ قَرْنِيهِ فِعْلَ الَّذِي هَمَّ بِالنَّطَاحِ وَالْقِتَالِ . قَالَ الْأَسَدُ :
سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ ، وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْتَ
عَلِمْتُ أَنَّ مَا فِي أَمْرِهِ شَكٌّ .

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ حَمْلِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّورِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ
وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ ، وَأَنَّ الْأَسَدَ سَيَتَحَدَّرُ الثَّورَ ،
وَيَتَهَيَّأُ لَهُ ، أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ الثَّورَ لِيُغْرِبَهُ بِالْأَسَدِ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ
إِتْيَانَهُ مِنْ قِبَلِ الْأَسَدِ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَهُ ذَلِكَ فَيَتَأَذَى بِهِ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَّا آتِي شَرْبَةً فَأَنْظُرْ إِلَى حَالِهِ وَأَمْرِهِ ، وَأَسْمَعْ
كَلَامَهُ : لَعَلِّي أَطْلِعُ عَلَى سِرِّهِ ، فَأُطْلِعَ الْمَلِكَ عَلَى ذَلِكَ ، وَعَلَى
مَا يَظْهَرُ لِي مِنْهُ ؟ فَأَذِنَ لَهُ الْأَسَدُ فِي ذَلِكَ . فَأَنْطَلَقَ فَدَخَلَ

عَلَى شَثْرَبَةَ كَالْكَيْبِ الْحَزِينِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الثَّورُ رَحَّبَ بِهِ ،
 وَقَالَ : مَا كَانَ سَبَبَ انْقِطَاعِكَ عَنِّي ؟ فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ ،
 وَلَعَلَّكَ فِي سَلَامَةٍ ! قَالَ دِمْنَةُ : وَمَتَى كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّلَامَةِ
 مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ ، وَأَمْرُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُوثِقُ بِهِ ، وَلَا
 يَنْفَكُ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ . حَتَّى مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمَنُ فِيهَا
 عَلَى نَفْسِهِ . قَالَ شَثْرَبَةُ : وَمَا الَّذِي حَدَّثَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ :
 حَدَّثَ مَا قُدِّرَ وَهُوَ كَائِنٌ . وَمَنْ ذَا الَّذِي غَالَبَ الْقَدَرَ ؟ وَمَنْ
 ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنَ الدُّنْيَا جَسْمًا مِنَ الْأُمُورِ فَلَمْ يَبْطُرْ ؟ وَمَنْ
 ذَا الَّذِي بَلَغَ مِنْهَا ^{بِهِرْمَتًا} فَلَمْ يَغْتَرَّ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ
 يَحْسَرْ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي طَلَبَ مِنَ اللَّثَامِ فَلَمْ يَحْرَمَ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي
 خَالَطَ الْأَشْرَارَ فَسَلِمَ ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي صَحِبَ السُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ
 مِنْهُ الْأَمْنُ وَالْإِحْسَانُ ؟ قَالَ شَثْرَبَةُ : إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ كَلَامًا يَدُلُّ
 عَلَى أَنَّهُ قَدْ رَأَيْتَ مِنَ الْأَسَدِ رَيْبًا ، وَهَالِكًا مِنْهُ أَمْرًا . قَالَ
 دِمْنَةُ : أَجَلٌ ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ هُوَ فِي أَمْرِ نَفْسِي .
 قَالَ شَثْرَبَةُ : فِي نَفْسِ مَنْ رَأَيْتَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ تَعَلَّمْتُ مَا بَيْنِي

وَبَيْنَكَ ، وَتَعْلَمُ حَقَّكَ عَلَيَّ ، وَمَا كُنْتُ جَعَلْتُ لَكَ مِنَ الْعَهْدِ
 وَالْمِيثَاقِ أَيَّامَ أَرْسَلَنِي الْأَسَدُ إِلَيْكَ ، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ حِفْظِكَ
 وَإِطْلَاعِكَ عَلَيَّ مَا أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ . قَالَ
 شَرَبَةٌ : وَمَا الَّذِي بَلَغَكَ ؟ قَالَ دِمْنَةٌ : حَدَّثَنِي الْخَبِيرُ الصَّدُوقُ
 الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِي قَوْلِهِ أَنَّ الْأَسَدَ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَجَلَسَانِهِ :
 قَدْ أَعْجَبَنِي سَمْنُ الثَّوْرِ ، وَلَيْسَ لِي إِلَى حَيَاتِهِ حَاجَةٌ ، فَأَنَا آكِلُهُ
 وَمُطْعِمُ أَصْحَابِي مِنْ لَحْمِهِ . فَلَمَّا بَلَغَنِي هَذَا الْقَوْلُ ، وَعَرَفْتُ
 غَدْرَهُ وَنَقْضَ عَهْدِهِ ، أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ لِأَقْضِيَ حَقَّكَ ، وَتَحْتَالَ
 أَنْتَ لِأَمْرِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ شَرَبَةٌ كَلَامَ دِمْنَةَ ، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ
 دِمْنَةٌ جَعَلَ لَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، وَفَكَرَفِي أَمْرَ الْأَسَدِ ، ظَنَّ
 أَنَّ دِمْنَةَ قَدْ صَدَقَهُ وَنَصَحَ لَهُ ، وَرَأَى أَنَّ الْأَمْرَ شَبِيهٌ بِمَا قَالَ
 دِمْنَةٌ . فَأَهَمَّهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَا كَانَ لِلْأَسَدِ أَنْ يَغْدِرَ بِي وَلَمْ
 آتِ إِلَيْهِ ذَنْبًا ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ جُنْدِهِ ، مُنْذُ صَحَبْتَهُ ، وَلَا
 أَظُنُّ الْأَسَدَ إِلَّا قَدْ حُمِلَ عَلَيَّ بِالْكَذِبِ وَشِبْهِ عَلَيْهِ أَمْرِي : فَإِنَّ
 الْأَسَدَ قَدْ صَحَبَهُ قَوْمٌ سَوْءٌ ، وَجَرَّبَ مِنْهُمْ الْكَذِبَ وَأُمُورًا هِيَ

تُصَدِّقُ عِنْدَهُ مَا بَلَغَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ : فَإِنَّ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ رُبَّمَا
 أَوْرَثَتْ صَاحِبَهَا سُوءَ ظَنٍّ بِالْأَخْيَارِ ، وَحَمَلَتْهُ تَجْرِبَتُهُ عَلَى الْخَطَا
 كَخَطَا الْبَطَّةِ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ ، فَظَنَّتْهُ
 سَمَكَةً ، فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا ، فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا ،
 عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ فَتَرَكَتْهُ . ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدٍ ذَلِكَ
 الْيَوْمِ سَمَكَةً ، فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلُ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ ، فَتَرَكَتْهَا
 وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا . فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبُ فَصَدَقَهُ
 عَلَى وَجْهِهِ فِي ، فَمَا جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَى . وَإِنْ كَانَ
 لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ ، وَأَرَادَ السُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ
 أَعْجَبَ الْأُمُورِ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : إِنْ مِنَ الْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ
 الرَّجُلُ رِضًا صَاحِبِهِ وَلَا يَرْضَى . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ
 رِضَاهُ فَيَسْخَطَ . فَإِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةُ عَنْ عِلَّةٍ ، كَانَ الرِّضَا
 مَوْجُودًا وَالْعَفْوُ مَأْمُولًا . وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ، انْقَطَعَ
 الرَّجَاءُ : لِأَنَّ الْعِلَّةَ إِذَا كَانَتِ الْمَوْجِدَةَ فِي وُرُودِهَا ، كَانَ الرِّضَا
 مَأْمُولًا فِي صُدُورِهَا .

قَدْ نَظَرْتُ : فَلَا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَسَدِ جُرْمًا ، وَلَا صَغِيرَ
 ذَنْبٍ ، وَلَا كَبِيرَهُ . وَلَعَمْرِي مَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطَالَ صُحْبَةَ
 صَاحِبٍ أَنْ يَحْتَرِسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَا أَنْ يَحْفَظَ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ صَغِيرَةٌ أَوْ كَبِيرَةٌ يَكْرَهُهَا صَاحِبُهُ ، وَلَكِنْ الرَّجُلُ
 ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْوَفَاءِ إِذَا سَقَطَ عِنْدَهُ صَاحِبُهُ سَقَطَ نَظْرُ فِيهَا ،
 وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطِيئِهِ عَمْدًا كَانَ أَوْ خَطَأً . ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ
 فِي الصَّفْحِ عَنْهُ أَمْرٌ يَخَافُ ضَرَرَهُ وَشَيْنَهُ ؟ فَلَا يُوَاطِئُ صَاحِبَهُ
 بِشَيْءٍ يَجِدُ فِيهِ إِلَى الصَّفْحِ عَنْهُ سَبِيلًا . فَإِنْ كَانَ الْأَسَدُ قَدْ
 أَعْتَقَدَ عَلَى ذَنْبٍ ، فَلَسْتُ أَعْلَمُهُ ، إِلَّا أَنِّي خَالَفْتُهُ فِي بَعْضِ
 رَأْيِهِ نَصِيحَةً لَهُ ، فَعَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى الْجَرَاءَةِ
 عَلَيْهِ وَالْمُخَالَفَةِ لَهُ ، وَلَا أَجِدُ لِي فِي هَذَا الْمُحْضَرِ إِثْمًا مَا : لِأَنِّي
 لَمْ أَخَالَفْهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا مَا قَدْ نَدَرْتُ مِنْ مُخَالَفَةِ الرَّشِدِ وَالْمَنْفَعَةِ
 وَالدِّينِ ، وَلَمْ أَجَاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى رُءُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ
 أَصْحَابِهِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَخْلُو بِهِ وَأَكَلِمُهُ سِرًّا كَلَامَ الْهَائِبِ الْمُوقِرِ .
 وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مِنَ التَّمِيسِ الرَّخِصِ (١) مِنَ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْمَشَاوِرَةِ ،

(١) جمع رخصة وهي التسهيل .

وَمِنَ الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ الْمَرِضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ ، أَخْطَأَ
مَنَافِعَ الْأُمَى ، وَأَزْدَادَ فَمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ تَوَهُّطًا ، وَحَمًا

الْوِزْرِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ
سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ : فَإِنَّ مُصَاحِبَةَ السُّلْطَانِ خَطِرَةٌ ، وَإِنْ
صُوحِبَ بِالسَّلَامَةِ وَالثِّقَةِ وَالْمُودَةِ وَحُسْنِ الصُّنْحَةِ . وَإِنْ لَمْ
يَكُنْ هَذَا ، فَبَعْضُ مَا أُوتِيَتْ مِنَ الْفَضْلِ قَدْ جُعِلَ لِي فِيهِ
الْمَهْلَاكُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا هَذَا ، فَهُوَ إِذَا مِنْ مَوَاقِعِ
الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ ، وَالْقَدَرُ هُوَ الَّذِي يَسْلُبُ الْأَسَدَ
قُوَّتَهُ وَشِدَّتَهُ ، وَيُدْخِلُهُ الْقَبْرَ ، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ الرَّجُلَ الضَّعِيفَ
عَلَى ظَهْرِ الْفِيلِ الْمَهَائِجِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَلِّطُ عَلَى الْحَيَّةِ ذَاتِ الْحُمَةِ ^(٢)
مَنْ يَنْزِعُ حُمَّتَهَا وَيَلْعَبُ بِهَا ، وَهُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْعَاجِزَ حَازِمًا ،
وَيُنْثَبِطُ الشَّهْمُ ^(٣) ، وَيُوسِعُ عَلَى الْمُقْتِرِ ^(٤) ، وَيُسْجَعُ الْجَبَّانَ ، وَيَجْبِنُ
الشُّجَاعَ عِنْدَ مَا تَعَتَّ بِهِ الْمَقَادِرُ . مِنَ الْعِلْمِ الَّتِي وَضَعَتْ عَلَمًا

قَالَ دِمْنَةٌ: إِنَّ إِرَادَةَ الْأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَحْمِيلِ الْأَشْرَارِ وَلَا
 سَكْرَةِ السُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهَا الْغَدْرُ وَالْفُجُورُ مِنْهُ :
 فَإِنَّهُ فَبَاجِرٌ خَوَّانٌ غَدَّارٌ : لِطَعَامِهِ حَلَاوَةٌ وَأَنْحَرَهُ سَمٌ مُمِيتٌ . قَالَ
 شَتْرَبَةُ : فَأَرَانِي قَدْ اسْتَلْذَذْتُ الْحَلَاوَةَ إِذْ ذُقْتُهَا : وَقَدْ انْتَهَيْتُ
 إِلَى أَنْحَرِهَا الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ ، وَلَوْ لَا الْحَيْنُ مَا كَانَ مُقَامِي عِنْدَ
 الْأَسَدِ ، وَهُوَ آكِلٌ لَحْمٍ وَأَنَا آكِلٌ عُشْبٍ فَأَنَا فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ
 كَالنَّحْلَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَى نَوْرِ النَّيْلُوفِرِ إِذْ تَسْتَلِئُ رِيحَهُ وَطَعْمَهُ ،
 فَتَحْبِسُهَا تِلْكَ اللَّذَّةُ ، فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ يَنْضُمُ عَلَيْهَا ، فَتَرْتَبِكُ فِيهِ
 وَتَمُوتُ . وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْكَفَافِ الَّذِي يُغْنِيهِ
 وَطَمَحَتْ عَيْنُهُ إِلَى مَا سِوَى ذَلِكَ ، وَلَمْ يَخَوْفِ عَاقِبَتَهَا ، كَانَ
 كَالذَّبَابِ الَّذِي لَا يَرْضَى بِالشَّجَرَةِ وَالرِّيَاحِينَ ، وَلَا يُقْنِعُهُ ذَلِكَ ،
 حَتَّى يَطْلُبَ الْمَاءَ الَّذِي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ الْفِيلِ ، فَيَضْرِبُهُ الْفِيلُ
 بِأَذَانِهِ فَيُهْلِكُهُ . وَمَنْ يَبْذُلُ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ ،
 فَهُوَ كَمَنْ يَبْذُرُ فِي السَّبَاحِ . وَمَنْ يُشْرِعَ عَلَى الْمُعْجَبِ ، فَهُوَ كَمَنْ

(١) الهلاك والحنة . (٢) ضرب من الرياحين . (٣) ارتفعت .

يُسَاوِرُ الْمَيْتَ أَوْ يُسَارُّ الْأَصَمَّ . قَالَ دِمْنَةُ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا
 الْكَلَامَ وَاحْتَلَّ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ : بِأَيِّ شَيْءٍ اِحْتَالَ
 لِنَفْسِي ، إِذَا أَرَادَ الْأَسَدُ أَكْلِي ، مَعَ مَا عَرَفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ
 وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ ؟ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ، ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابَهُ
 بِمَكْرِهِمْ وَبِجُحُورِهِمْ هَلَاكِي لَقَدَرُوا عَلَيَّ ذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ
 الْمَكْرَةُ الظَّلْمَةُ عَلَى الْبَرِيِّ الصَّحِيحِ ، كَانُوا خُلُقَاءً أَنْ يَهْلِكُوهُ ،
 وَإِنْ كَانُوا ضَعَفَاءَ وَهُوَ قَوِيٌّ ، كَمَا أَهْلَكَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ
 آوَى الْجَمَلِ ، حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ وَالْحَيَانَةِ .
 قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ شَتْرَبَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِمَطْرِيقٍ
 مِنْ طُرُقِ النَّاسِ ، وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ
 وَابْنُ آوَى ، وَأَنَّ رِعَاءَهُ مَرُّوا بِذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَمَعَهُمْ جِمَالٌ ،
 فَتَخَلَّفَ مِنْهَا بَقْلٌ ، فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ ،
 فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ كَذَا .
 قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تُقِيمُ

عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْحِصْبِ . فَأَقَامَ الْأَسَدُ وَالْجَمَلُ
مَعَهُ زَمَانًا طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ
الصَّيْدَ ، فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَفْلَتَ
مِنْهُ مُثَقَلًا مُتَخَنًا بِالْجِرَاحِ ، يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ خَدَشَهُ الْفَيْلُ
بِأَنْيَابِهِ . فَلَهَا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حَرَاكًا ،

بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : مَا لَنَا وَهَذَا الْكَلِ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ
 مِنْ شَأْنِنَا ، وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأِينَا ؟ أَلَا نَزَيْنُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ
 وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مِمَّا لَا تَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ
 لِلْأَسَدِ : لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ عَهْدًا .
 قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ الْأَسَدِ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى
 الْأَسَدِ ، فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : هَلْ أَصَبْتَ شَيْئًا ؟ قَالَ الْغُرَابُ :
 إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ . وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا سَعَى لَنَا وَلَا

عَلَيْهِ ، إِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَاكَ ؟ قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ آكَلَ الْعُشْبِ الْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا
 مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ ، وَلَا رَدِّ عَائِدَةٍ ، وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ
 مَضَاحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ ذَلِكَ غَضِبَ ، وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ

مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَبْلُغَكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَّصِدُقْ مُتَّصِدِقٌ بِصِدْقَةٍ هِيَ
 أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفَةً ، وَحَقَنَ دَمًا مُهْدِرًا ؟ وَقَدْ
 أَمَّنْتَهُ وَكُنْتُ بِغَادِرِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ
 الْمَلِكُ ، وَلَكِنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ ، وَأَهْلُ
 الْبَيْتِ تُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ ، وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ ،
 وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَاءُ الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ ، وَأَنَا
 أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا ، عَلَى أَلَّا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ، وَلَا
 يَلِيهِ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا ، وَلِكِنَّا نَحْتَالُ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلَهُ
 فِيهَا إِصْلَاحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا
 الْخِطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ ،
 فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلِ ، عَلَى أَنْ يَجْتَمِعَ نَحْنُ
 وَالْجَمَلُ عِنْدَ الْأَسَدِ ، فَنَذْكُرُ مَا أَصَابَهُ ، وَنَتَوَجَّعُ لَهُ اهْتِمَامًا مِنَّا
 بِأَمْرِهِ ، وَخِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ ، وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ
 عَلَيْهِ تَجْمَلًا لِيَأْكُلَهُ ، فَيَرُدُّ الْأَنْحِرَانَ عَلَيْهِ ، وَيُسْفِهَانِ رَأْيَهُ ،
 وَيُبَيِّنَانِ الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ ، سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ

الأسدُ عنَّا . ففعلوا ذلك ، وتقدّموا إلى الأسدِ ؛ فقال الغرابُ :
 قد احتجت أيها الملكُ إلى ما يقويك ؛ ونحنُ أحقُّ أن نهب
 أنفسنا لك : فإننا بك نعيشُ ؛ فإذا هلكت فليس لأحدٍ منا
 بقاءٌ بعدك ، ولا لنا في الحياة من خيرة ؛ فليأكلني الملكُ :
 فقد طببتُ بذلك نفسًا . فأجابه الذئبُ وأبنُ آوى أن أسكت ؛
 فلا خيرَ للملكِ في أكلِك ؛ وليس فيك شبعٌ . قال ابنُ آوى
 لك : أنا أشعُ الملكِ ، فليأكله . فقد رضتُ بذلك ،

وطببتُ عنه نفسًا . فردَّ عليه الذئبُ والغرابُ بقولهما : إنك
 لمُنْتِنٌ قديرٌ . قال الذئبُ : إني لستُ كذلك ، فليأكلني الملكُ ،
 فقد سمحتُ بذلك ، وطببتُ عنه نفسًا ؛ فاعترضه الغرابُ وأبنُ
 آوى وقالوا : قد قالتِ الأطباءُ : من أراد قتلَ نفسه فليأكل
 لحمَ ذئبٍ . فظنَّ الجملُ أنه إذا عرضَ نفسه على الأكلِ ،
 التمسوا له عذراً كما التمس بعضهم لبعضِ الأعذارَ ، فیسلمُ
 ويرضى الأسدُ عنه بذلك ، وينجو من المهالكِ . فقال :
 لكن أنا في للملكِ شبعٌ وري ؛ ولحمي طيبٌ هنيئٌ ، وبطني

نَظِيفٌ ، فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ ، وَيُطْعِمِ أَصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ : فَقَدْ رَضِيتُ
بِذَلِكَ ، وَطَابَتْ نَفْسِي عَنْهُ ، وَسَمَّحَتْ بِهِ . فَقَالَ الذَّئْبُ
وَالْغُرَابُ وَأَبْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَكَرَّمَ . وَقَالَ مَا عُرِفَ .
ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَّقُوهُ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ
الْأَسَدِ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى هَلَاكِي فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أَمْتَنِعَ مِنْهُمْ ،
وَلَا أُحْتَرِسَ ؛ وَإِنْ كَانَ رَأَى الْأَسَدِ لِي عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ
فِي ، فَلَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ ، وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا . وَقَدْ يُقَالُ : خَيْرُ
السَّلَاطِينِ مَنْ عَدَلَ فِي النَّاسِ . وَلَوْ أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ
لِي إِلَّا الْخَيْرُ وَالرَّحْمَةُ ، لَغَيَّرْتُهُ كَثْرَةُ الْأَقَاوِيلِ : فَإِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ
لَمْ تَلْبَثْ دُونَ أَنْ تُذْهِبَ الرِّقَّةَ وَالرَّافَةَ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْمَاءَ لَيْسَ
كَالْقَوْلِ ؛ وَأَنَّ الْحَجَرَ أَشَدَّ مِنَ الْإِنْسَانِ ؟ فَالْمَاءُ إِذَا دَامَ
انْحِدَارُهُ عَلَى الْحَجَرِ لَمْ يَلْبَثْ حَتَّى يَثْقِبَهُ وَيُوَثِّرَ فِيهِ . وَكَذَلِكَ
الْقَوْلُ فِي الْإِنْسَانِ . قَالَ دِمْنَةُ : فَمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ الْآنَ ؟
قَالَ شَرَبَةُ : مَا أَرَى إِلَّا الْجِهَادَ وَالْمُجَاهَدَةَ بِالْقِتَالِ : فَإِنَّهُ لَيْسَ

لِلْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ ، وَلَا لِلْمُتَصَدِّقِ فِي صَدَقَتِهِ ، وَلَا لِلنُّورِ
 فِي وَرَعِهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا لِلْمُجَاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ ، إِذَا كَانَتْ مُجَاهِدَتُهُ
 عَلَى الْحَقِّ . قَالَ دِمْنَةُ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ ، وَهُوَ
 يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنَّ ذَا الرَّأْيِ جَاعِلُ الْقِتَالِ آخِرَ الْحِيلِ ؛
 وَبَادِيٌّ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ رِفْقٍ وَتَمَحُّلٍ . وَقَدْ قِيلَ :
 لَا تَحْقِرَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ الْمُهِينِ ، وَلَا سِيَّأَ إِذَا كَانَ ذَا حِيلَةٍ
 وَيَقْدِرُ عَلَى الْأَعْوَانِ ؛ فَكَيْفَ بِالْأَسَدِ عَلَى جِرَاءَتِهِ وَشِدَّتِهِ ؟ فَإِنَّ
 مَنْ حَقَرَ عَدُوَّهُ لِضَعْفِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ وَكَيْلَ الْبَحْرِ مِنَ
 الطَّيْطَوَى قَالَ شَتْرَبَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟^(١)

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ طَائِرًا مِنْ طُيُورِ الْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ الطَّيْطَوَى
 كَانَ وَطَنُهُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ
 أَوَانُ تَفْرِيجِهِمَا قَالَتِ الْأُنْثَى لِلذَّكَرِ : لَوْ التَّمَسْنَا مَكَانًا حَرِيزًا
 نُنْرَخُ فِيهِ : فَإِنِّي أَخْشَى مِنْ وَكَيْلِ الْبَحْرِ إِذَا مَدَّ الْمَاءُ أَنْ
 يَهَبَ بِفِرَاحِنَا . فَقَالَ لَهَا : أَفْرِحِي مَكَانَكَ : فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَنَا ؛

(١) الطيطوى : ضرب من القطا .

والماء والزهر منّا قريبٌ . قَالَتْ لَهُ : يَا غَافِلُ لِيَحْسُنَ نَظْرُكَ :
فِيَّيْ أَخَافُ وَكِيلَ الْبَحْرِ أَنْ يَذْهَبَ بِفِرَاحِنَا . فَقَالَ لَهَا : أَفَرِحِي
مَكَانَكَ : فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَشَدَّ تَعَنُّتَكَ ^(١) !
أَمَا تَذَكُرُ وَعِيْدَهُ وَتَهْدِدُهُ إِيَّاكَ ؟ أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ ؟ فَابِي
أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا ، قَالَتْ لَهُ :
إِنْ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ السُّلْحَفَاةَ حِينَ لَمْ
تَسْمَعْ قَوْلَ الْبَطَّيْنِ . قَالَ الذَّكْرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَتِ الْأُنْثَى : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ ، وَكَانَ فِيهِ
بَطَّانٌ وَكَانَ فِي الْغَدِيرِ سُلْحَفَاةٌ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَطَّيْنِ مَوْدَةٌ
وَصَدَاقَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنْ غِيضَ ذَلِكَ الْمَاءُ ، بِخَاءَتِ الْبَطَّانِ لَوْدَاعِ
السُّلْحَفَاةِ ، وَقَالَتَا : السَّلَامُ عَلَيْكَ فَإِنَّا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ
لِأَجْلِ نَقْصَانِ الْمَاءِ عَنْهُ . فَقَالَتْ : إِنَّمَا يَبِينُ نَقْصَانُ الْمَاءِ
عَا مَثَا . فَادِّ كَاذُّ السَّفِينَةِ لَا أَقْدُ عَدَا الْعَدُوِّ . إِلَّا بِالْمَاءِ .

قَالَتَا لَهَا : نَعَمْ . قَالَتْ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حَمَلِي ؟ قَالَتَا :

نَأْخُذُ بِطَافِزِ عُمَدٍ ، وَتَتَعَلَّقِينَ بِمَسَطَاهِ ، وَنَظْمُوكَ فِي الْحَمَمِ .

فَطَارَتَا بِهَا فِي الْجَوِّ . فَقَالَ النَّاسُ : عَجَبٌ : سُلْحَفَاةٌ بَيْنَ

بَطْنَيْنِ ، قَدْ حَمَلَتَا هَذَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَالَتَا : فَقَالَ اللَّهُ لَهَا :

مُفْعِيًا عَلَى ذَنْبِهِ ، رَافِعًا صَدْرَهُ إِلَيْكَ ، مَاذَا بَصَرُهُ نَحْوِكَ ، قَدْ
صَرَ أذُنِيهِ ، وَفَغَرَ فَاهُ ، وَاسْتَوَى لِلدَّوْثِبَةِ . قَالَ شَتْرَبَةُ : إِنْ رَأَيْتُ
هَذِهِ الْعَلَامَاتِ مِنَ الْأَسَدِ عَرَفْتُ صِدْقَكَ فِي قَوْلِكَ . ثُمَّ إِنْ دِمْنَةٌ
لَمَّا فَرَّغَ مِنْ حَمْلِ الْأَسَدِ عَلَى الثَّوْرِ ، وَالثَّوْرِ عَلَى الْأَسَدِ تَوَجَّهَ
إِلَى كِيلَةَ . فَلَمَّا اتَّقِيَا ، قَالَ كِيلَةُ : إِيَّامَ انْتَهَى عَمَلُكَ
الَّذِي كُنْتَ فِيهِ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : قَرِيبٌ مِنَ الْفَرَاحِ عَلَى مَا أَحْبُّ
وُحِبُّ . ثُمَّ إِنْ كِيلَةُ وَدِمْنَةُ انْطَلَقَا جَمِيعًا لِيَحْضُرَا قِتَالَ
الْأَسَدِ وَالثَّوْرِ ، وَيَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا ، وَيُعَايِنَا مَا يَتَوَلَّى إِلَيْهِ
أَمْرُهُمَا . وَجَاءَ شَتْرَبَةُ ، فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَرَأَاهُ مُفْعِيًا كَمَا
وَصَفَهُ لَهُ دِمْنَةُ ، فَقَالَ : مَا صَاحِبُ السُّلْطَانِ إِلَّا كَصَاحِبِ
الْحَيَّةِ الَّتِي فِي مَبِيتِهِ وَمَقِيلِهِ ، فَلَا يَدْرِي مَتَى تَهِيجُ بِهِ .
ثُمَّ إِنْ الْأَسَدَ نَظَرَ إِلَى الثَّوْرِ فَرَأَى الدَّلَالَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا لَهُ
دِمْنَةُ : فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ جَاءَ لِقِتَالِهِ . فَوَائِبُهُ ، وَنَسَاءُ بَيْنَهُمَا الْحَرْبُ ،
وَاشْتَدَّ قِتَالُ الثَّوْرِ وَالْأَسَدِ ، وَطَالَ ، وَسَالَتْ بَيْنَهُمَا الدَّمَاءُ .

فَلَمَّا رَأَى كَلِيلَةً أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ مَا قَدْ بَلَغَ . قَالَ لِدَمْنَةَ :
 أَيُّهَا الْفَسَلُ^(١) مَا أَنْكَرَ جَهْلَتَكَ وَأَسْوَأَ عَاقِبَتِكَ فِي تَدْبِيرِكَ ! قَالَ
 دَمْنَةُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : جُرِحَ الْأَسَدُ وَهَلَكَ الثَّورُ . وَإِنَّ
 أَنْحَرَقَ الْخُرْقَ مِنْ حَمَلٍ صَاحِبَهُ عَلَى سُوءِ الْخُلُقِ وَالْمُبَارَزَةِ وَالْقِتَالِ ،
 وَهُوَ يَجِدُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ سَبِيلًا . وَإِنَّ الْعَاقِلَ يُدَبِّرُ الْأَشْيَاءَ وَيَقِيسُهَا
 قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا : فَأَرَجَا أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ ، وَمَا خَافَ أَنْ
 يَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْهَا أَنْحَرَفَ عَنْهُ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَإِنِّي لِأَخَافُ
 عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هَذَا : فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ وَلَمْ تُحْسِنِ
 الْعَمَلَ . أَيْنَ مُعَاهَدَتُكَ إِيَّايَ أَنْكَ لَا تَضُرُّ بِالْأَسَدِ فِي تَدْبِيرِكَ ؟
 وَقَدْ قِيلَ : لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ ، وَلَا فِي الْفِقْهِ إِلَّا
 مَعَ الْوَرَعِ ، وَلَا فِي الصَّدَقَةِ إِلَّا مَعَ النِّيَّةِ ، وَلَا فِي الْمَالِ إِلَّا
 مَعَ الْجُودِ ، وَلَا فِي الصِّدْقِ إِلَّا مَعَ الْوَفَاءِ ، وَلَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا
 مَعَ الصُّحَّةِ ، وَلَا فِي الْأَمْنِ إِلَّا مَعَ السُّرُورِ .

(١) الفسل : الرذل الذي لامرؤة له .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ الْعَاقِلِ الطَّيْشَ ، وَيَزِيدُ الْأَخْمَقَ
طَيْشًا ، كَمَا أَنَّ النَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظْرًا ، وَيَزِيدُ الْخُفَّاشَ
سُوءَ النَّظْرِ .

وَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرُكَ شَيْئًا سَمِعْتُهُ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنَّ السُّلْطَانَ
إِذَا كَانَ صَالِحًا ، وَوُزَرَؤُهُ وَوُزَرَءَ سُوءٍ ، مَنَعُوا خَيْرَهُ ، فَلَا يَقْدِرُ
أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ . وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْمَاءِ الطَّيِّبِ الَّذِي فِيهِ
التَّمَّاسِيحُ : لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ ، وَإِنْ كَانَ إِلَى الْمَاءِ
مُحْتَاجًا . وَأَنْتَ يَا دِمْنَةُ أَرَدْتَ أَلَّا يَدْنُو مِنْ الْأَسَدِ أَحَدٌ سِوَاكَ .
وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَصِحُّ وَلَا يَتِمُّ أَبَدًا . وَذَلِكَ لِلمَثَلِ الْمَضْرُوبِ :
إِنَّ الْبَحْرَ بِأَمْوَاجِهِ ، وَالسُّلْطَانَ بِأَصْحَابِهِ . وَمِنَ الْجُمُوعِ الْحِرْصُ
عَلَى التَّمَّاسِ الْإِخْوَانَ بِغَيْرِ الْوَفَاءِ لَهُمْ ، وَطَلَبَ الْآنَحْرَةَ بِالرِّيَاءِ ،
وَنَفَعَ النَّفْسَ بِضَرِّ الْغَيْرِ . وَمَا عِظْتِي وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَمَا قَالَ
الرَّجُلُ لِلطَّائِرِ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ ، وَلَا تُعَالِجْ
تَأْدِيبَ مَنْ لَا يَتَادَبُ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْقِرَدَةِ كَانُوا سُكَّانًا فِي جَبَلٍ ،
 فَالْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَّاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا ، فَلَمْ يَجِدُوا ،
 فَرَأَوْا يِرَاعَةً ^(١) تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةٌ نَارٍ ، فَظَنُّوْهَا نَارًا ، وَجَمَعُوا حَطَبًا
 كَثِيرًا فَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا ، وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ طَمَعًا أَنْ يُوقِدُوا نَارًا
 يَضْطَلُّونَ بِهَا مِنَ الْبَرْدِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ ، يَنْظُرُ
 إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ
 لَا تَتَّعِبُوا فَإِنَّ الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ
 عَزَمَ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُ لِنِسَائِهِ عَمَّا هُوَ فِيهِ ، فَفَعَلَ بِهِ حُجْرًا فَعَرَفَ

مَا عَزَمَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ
 فَإِنَّ الْحَجَرَ الْمَانِعَ ^(٢) الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجْرَبُ عَلَيْهِ السُّيُوفُ
 وَالْعُودَ الَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا يُعْمَلُ مِنْهُ الْقَوْسُ : فَلَا تَتَّعِبْ . فَأَجَابَ
 الطَّائِرُ أَنَّ يُطِيعَهُ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقِرَدَةِ لِيَعْرِفَهُمْ أَنَّ الْيِرَاعَةَ لَيْسَتْ

مَثَلِي مَعَكَ فِي ذَلِكَ . ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ الْخُبُّ وَالْفُجُورُ ، وَهُمَا
 خَلَّتَا سُوءًا ، وَالْخُبُّ شَرُّهُمَا عَاقِبَةً . وَلِهَذَا مَثَلٌ . قَالَ دِمْنَةُ :
 وَمَا ذَلِكَ الْمَثَلُ ؟

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ خُبًّا وَمُغْفَلًا اشْتَرَكَا فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا ،
 فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الطَّرِيقِ ، إِذْ تَخَلَّفَ الْمُغْفَلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ،
 فَوَجَدَ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ، فَأَخَذَهُ ، فَأَحْسَسَ بِهِ الْخُبُّ ،
 فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا ؛ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ قَعَدَا لِاقْتِسَامِ
 الْمَالِ . فَقَالَ الْمُغْفَلُ : خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ ، وَكَانَ
 الْخُبُّ قَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِالْأَلْفِ جَمِيعِهِ . فَقَالَ لَهُ :
 لَا نَقْتَسِمُ ، فَإِنَّ الشَّرِيكَ وَالْمُفَاوِضَةَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّفَاءِ وَالْمُخَالَطَةِ ،
 وَلَكِنْ أَخَذُ نَفَقَةً ، وَتَأْخُذُ مِثْلَهَا ، وَتَدْفِنُ الْبَاقِيَّ فِي أَصْلِ هَذِهِ
 الشَّجَرَةِ : فَهُوَ مَكَانُ حَرِيزٍ . فَإِذَا اخْتَجْنَا جِئْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ
 حَاجَتَنَا مِنْهُ ، وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ . فَأَخَذَا مِنْهُ يَسِيرًا ، وَدَفَنَا

(١) الْبَاقِي فِي أَصْلِ دَوْحَةٍ ، وَدَخَلَ الْبَلَدَ . ثُمَّ إِنَّ الْحَبَّ خَالَفَ
 الْمُغْفَلَ إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا ، وَسَوَى الْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ .
 وَجَاءَ الْمُغْفَلُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْهُرٍ فَقَالَ لِلْحَبِّ : قَدْ اخْتَجْتُ إِلَى

إِلَى الْمَكَانِ فَحَفَّرَا ، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا . فَأَقْبَلَ الْحَبُّ عَلَى وَجْهِهِ
 يَأْطِمُهُ يَقُولُ : لَا تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ : خَالَفْتَنِي إِلَى الدَّنَانِيرِ
 فَأَخَذْتَهَا . فَجَعَلَ الْمُغْفَلُ يَخْلِفُ وَيَلْعَنُ آخِذَهَا وَلَا يَزْدَادُ
 الْحَبُّ إِلَّا شِدَّةً فِي اللَّطَمِ . وَقَالَ : مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ . وَهَلْ
 شَعَرْتَهَا أَحَدٌ سِوَاكَ ؟ ثُمَّ طَالَ ذَلِكَ بَيْنَهُمَا ، فَتَرَفَعَا
 إِلَى الْقَاضِي ، فَاقْتَصَّ الْقَاضِي قِصَّتَهُمَا ، فَادَّعَى الْحَبُّ
 أَنَّ الْمُغْفَلَ أَخَذَهَا ، وَحَدَّ الْمُغْفَلُ فَقَالَ لِلْقَاضِي : أَلَا تَرَى

فَدَخَلَ جَوْفَ الشَّجَرَةِ . ثُمَّ إِنَّ الْقَاضِيَ لَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ
 الْخَبِّ أَكْبَرَهُ ، وَانْطَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَالْخَبُّ وَالْمُغْفَلُ مَعَهُ ، حَتَّى
 وَافَى الشَّجَرَةَ ، فَسَأَلَهَا عَنِ الْخَبْرِ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا :
 نَعَمْ الْمُغْفَلُ أَخَذَهَا . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِيَ ذَلِكَ اشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ .
 فَدَعَا بِحَطِيبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ الشَّجَرَةُ . فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا النَّيْرَانُ
 فَاسْتَغَاثَ أَبُو الْخَبِّ عِنْدَ ذَلِكَ . فَأُخْرِجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى
 الْهَلَاكِ . فَسَأَلَهُ الْقَاضِيَ عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبْرِ ، فَأَوْقَعَ
 الْخَبُّ ضَرْبًا ، وَأَسْبَهَ صَفْعًا ، وَأَكْبَهُ مَشِيمًا ^(١) ، وَغَمَّ الْخَبِّ

الدَّانِيَرِ ، فَأَخَذَهَا وَأَعْطَاهَا الْمُغْفَلَ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْخَبَّ وَالْخَدِيْعَةَ رُبَّمَا
 كَانَ صَاحِبِهِمَا هُوَ الْمَغْبُونُ . وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةُ جَامِعٌ لِلْخَبِّ وَالْخَدِيْعَةَ

.....

الْمُفْسِدُ . وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ الْحَيَّةِ ذَاتِ اللِّسَانَيْنِ الَّتِي
 فِيهَا السَّمُّ : فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ لِسَانِكَ كَسِمِّهَا . وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ
 لِذَلِكَ السَّمِّ مِنْ لِسَانِكَ خَائِفًا ، وَلِمَا يَحِلُّ بِكَ مُتَوَقِّعًا ،
 وَالْمُفْسِدُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ كَالْحَيَّةِ يُرَبِّهَا الرَّجُلُ وَيُطْعِمُهَا
 وَيَمْسَحُهَا وَيُكْرِمُهَا ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ اللَّذِغِ . وَقَدْ
 يُقَالُ : أَلْزَمَ ذَا الْعَقْلِ وَذَا الْكَرَمِ ، وَأَسْتَرَسَلَ إِلَيْهِمَا ، وَإِيَّاكَ
 وَمُفَارَقَتُهُمَا ، وَأَصْحَبِ الصَّاحِبِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَرِيمًا أَوْ عَاقِلًا
 غَيْرَ كَرِيمٍ : فَالْعَاقِلُ الْكَرِيمُ كَامِلٌ ، وَالْعَاقِلُ غَيْرُ الْكَرِيمِ أَصْحَبُهُ ،
 وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَحْمُودِ الْخَلِيقَةِ ، وَاحْتَذَرَ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ وَأَنْتَفَعَ
 بِعَقْلِهِ ، وَالْكَرِيمُ غَيْرُ الْعَاقِلِ ، أَلْزَمَهُ وَلَا تَدَعُ مُوَاصَلَتَهُ ، وَإِذَا
 كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَقْلَهُ ، وَأَنْتَفِعَ بِكَرَمِهِ ، وَأَنْفَعُهُ بِعَقْلِكَ ، وَالْفِرَارُ
 كُلُّ الْفِرَارِ مِنَ اللَّئِيمِ الْأَحْمَقِ . وَإِنِّي بِالْفِرَارِ مِنْكَ بِلَحْدِيرٍ .
 وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوَانُكَ عِنْدَكَ كَرَمًا وَوَدًّا وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِكِكَ
 الَّذِي أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ مَا صَنَعْتَ ؟ وَإِنْ مَثَلَ مَثَلِ التَّاجِرِ الَّذِي

قَالَ : إِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْدَانَهَا مِائَةً مِنْ حَدِيدًا ، لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ
 عَلَى بُرَاتِهَا أَنْ تَحْتَطِفَ الْأَفْيَالَ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟
 قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَأْرِضُ كَذَا تَاجِرٌ ، فَأَرَادَ الْخُرُوجَ
 إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ لِابْتِغَاءِ الرِّزْقِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِائَةٌ مِنْ حَدِيدًا ،
 فَأَوْدَعَهَا رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ . ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ
 ذَلِكَ بِمُدَّةٍ ، بِخَاءٍ وَالتَّمَسَ الْحَدِيدَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ أَكَلَتْهُ
 الْجِرْدَانُ . فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ لِأَشْيَاءٍ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ .
 فَفَرِحَ الرَّجُلُ بِتَضَدِّيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَأَدَّعَى . ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ نَجَرَ ،
 فَلَقِيَ أَبْنَاءَ لِلرَّجُلِ ، فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ
 الرَّجُلُ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ بِابْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ
 التَّاجِرُ : إِنِّي لَمَّا نَجَرْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِالْأَمْسِ ، رَأَيْتُ بَارِيًا
 قَدْ اخْتَطَفَ صَبِيًّا ، وَلَعَلَّهُ أَبْنُكَ . فَاطْمَمَ الرَّجُلُ عَلَى رَأْسِهِ
 وَقَالَ : يَا قَوْمِ هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرَاةَ تَحْتَطِفُ الصَّبِيَّانَ ؟
 فَقَالَ : نَعَمْ . وَإِنَّ أَرْضًا تَأْكُلُ جِرْدَانَهَا مِائَةً مِنْ حَدِيدًا لَيْسَ

(١) من نوع السران مفردة جرد . (٢) انز : رطلان .

بِعَجَبٍ أَنْ تَحْتَطِفَ بُرَاتِمَهَا الْفَيْلَةَ . قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَنَا أَكَلْتُ
 حَدِيدَكَ وَهَذَا ثَمَنُهُ . فَارْدُدْ عَلَيَّ ابْنِي . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ
 هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّكَ إِذَا غَدَرْتَ بِصَاحِبِكَ فَلَا شَكَّ أَنَّكَ
 بِمَنْ سِوَاهُ أَغْدُرُ ، وَأَنَّهُ إِذَا صَاحَبَ أَحَدٌ صَاحِبًا وَغَدَرَ بِمَنْ
 سِوَاهُ فَقَدْ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَّةِ مَوْضِعٌ : فَلَا شَيْءَ
 أَضْيَعُ مِنْ مَوَدَّةٍ تُنْحَمُّ مَنْ لَا وِفَاءَ لَهُ ، وَحِبَابٍ يُضْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ
 لَا شُكْرَ لَهُ ، وَأَدَبٍ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ ،
 وَسِرٍّ يُسْتَوْدَعُ مَنْ لَا يُحْفَظُهُ ، فَإِنَّ صُحْبَةَ الْأَخْيَارِ تُورِثُ الْحَيْرَ ،
 وَصُحْبَةَ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ : كَالرِّيحِ إِذَا مَرَّتْ بِالطَّيْبِ حَمَلَتْ
 طَيْبًا ، وَإِذَا مَرَّتْ بِالْبُتْنِ حَمَلَتْ نَتْنًا ، وَقَدْ طَالَ وَثَقَلَ كَلَامِي عَلَيْكَ .

فَأَنْتَهَى كَلِيلَةٌ مِنْ كَلَامِهِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ وَقَدْ فَرَغَ
 الْأَسَدُ مِنَ الثَّوْرِ . ثُمَّ فَكَّرَ فِي قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ
 الْغَضَبُ . وَقَالَ : لَقَدْ بَجَعَنِي شَتْرَبَةٌ بِنَفْسِهِ ، وَقَدْ كَانَ ذَا
 عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ ، وَلَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْذُوبًا
 عَلَيْهِ ، فَخَزِنَ وَنَدَّمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ،

وَبَصُرِيهِ دِمْنَةً ، فَتَرَكَ مُحَاوَرَةَ كَلِيلَةَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْأَسَدِ
 فَقَالَ لَهُ : لِيَهْنِكَ الظَّفْرُ إِذْ أَهْلَكَ اللَّهُ أَعْدَاءَكَ . فَمَاذَا
 يُحْزِنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ قَالَ : أَنَا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَثْرَبَةَ وَرَأْيِهِ
 وَأَدْبِيهِ ؟ قَالَ لَهُ دِمْنَةٌ : لَا تَرَحَّمْهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّ الْعَاقِلَ
 لَا يَرَحِمُ مَنْ يَخَافُهُ . وَإِنَّ الرَّجُلَ الْحَازِمَ رُبَّمَا أَبْغَضَ الرَّجُلَ
 وَكَرِهَهُ ، ثُمَّ قَرِبَهُ وَأَدْنَاهُ : لِمَا يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ الْغِنَاءِ وَالْكَفَايَةِ ،
 فِعَلَ الرَّجُلِ الْمُتَكَارِهِ عَلَى الدَّوَاءِ الشَّنِيعِ رَجَاءً مَنْفَعَتِهِ . وَرُبَّمَا
 أَحَبَّ الرَّجُلَ ، وَعَزَّ عَلَيْهِ ، فَأَقْصَاهُ وَأَهْلَكَهُ ، مَخَافَةَ ضَرَرِهِ ؛
 كَالَّذِي تَلْدَغُهُ الْحَيَّةُ فِي إِصْبَعِهِ فَيَقْطَعُهَا ، وَيَتَبَرَّأُ مِنْهَا مَخَافَةَ أَنْ
 يَسْرِيَ سُمُّهَا إِلَى بَدَنِهِ . فَفَرَضِيَ الْأَسَدُ بِتَوَلُّوهِ دِمْنَةَ . ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ
 ذَلِكَ بِكَذِبِهِ وَغَدْرِهِ وَجُؤْرِهِ فَقَتَلَهُ شَرًّا قَتَلَهُ (انتهى باب الأسد والثور)

بَابُ الْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ حَدَّثَنِي عَنِ الْوَأَشِيِّ
 الْمَاهِرِ الْمُحْتَالِ ، كَيْفَ يُفْسِدُ بِالْمَيْمَةِ الْمُوَدَّةَ الثَّابِتَةَ بَيْنَ الْمُتَحَايِينَ .
 حَدَّثَنِي حِينَئِذٍ بِمَا كَانَ مِنْ حَالِ دِمْنَةَ وَمَا آلَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ بَعْدَ
 قَتْلِ شَتْرَبَةَ ، وَمَا كَانَ مِنْ مَعَاذِيرِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ وَأَصْحَابِهِ حِينَ
 رَاجَعَ الْأَسَدُ رَأْيَهُ فِي الثَّوْرِ ، وَتَحَقَّقَ الْمَيْمَةَ مِنْ دِمْنَةَ ، وَمَا كَانَتْ
 حُجَّتُهُ الَّتِي اِحْتَجَّ بِهَا ، قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَنَا وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ
 دِمْنَةَ أَنَّ الْأَسَدَ حِينَ قَتَلَ شَتْرَبَةَ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ ، وَذَكَرَ قَدِيمِ
 صُحْبَتِهِ وَجَسِيمِ خِدْمَتِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ . وَأَخَصَّهُمْ
 مَنْزِلَةً لَدَيْهِ ، وَأَقْرَبَهُمْ وَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يُوَأَصِلُ لَهُ الْمَشُورَةَ
 دُونَ خَوَاصِهِ . وَكَانَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّوْرِ الثَّمْرُ .
 فَاتَّفَقَ أَنَّهُ أَمْسَى الثَّمْرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْأَسَدِ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ
 جَوْفَ اللَّيْلِ يُرِيدُ مَنْزِلَهُ ، فَاجْتَاَزَ عَلَى مَنْزِلِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ .
 فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَابِ ، سَمِعَ كَلِيلَةَ يُعَاتِبُ دِمْنَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ،

وَيَلُومُهُ عَلَى النَّمِيمَةِ وَاسْتِعْمَالِهَا ، خُصُوصًا مَعَ الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
فِي حَقِّ الْخَاصَّةِ . وَعَرَفَ النَّمِرُ عَضِيَانَ دِمْنَةَ وَتَرَكَ الْقَبُولَ لَهُ .

فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا فَكَانَ فِيهَا قَالَ كَلِيلَةَ لِدِمْنَةَ : لَقَدْ
أَرْتَكِبْتِ مَرَجًا صَعْبًا ، وَدَخَلْتِ مَدْخَلًا ضَيِّقًا ، وَجَنَيْتِ عَلَى

نَفْسِكَ جِنَايَةً مُوبِقَةً ، وَعَاقِبْتِهَا وَخِيمَةً ، وَسَوْفَ يَكُونُ

مَضْرَعُكَ شَدِيدًا ، إِذَا أَنْكَشَفَ لِلْأَسَدِ أَمْرُكَ ، وَأَطَّلَعَ عَلَيْهِ ،

وَعَرَفَ غَدْرَكَ وَمِحَالَكَ ، وَبَقِيَتْ لَأَنْصَرَ لَكَ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ

كَيْلَةَ وَدِمْنَةَ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ دَخَلَتْ عَلَى الْأَسَدِ ، فَوَجَدَتْهُ كَثِيبًا
 حَزِينًا مَهْمُومًا : لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ شَثْرَبَةَ . فَقَالَتْ لَهُ :
 مَا هَذَا الِهِمُّ الَّذِي قَدْ أَخَذَ مِنْكَ ، وَغَلَبَ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : يُحْزِنُنِي
 قَتْلُ شَثْرَبَةَ ، إِذْ تَذَكَّرْتُ صُحْبَتَهُ وَمُواظِمَتَهُ عَلَيَّ خِدْمَتِي ، وَمَا
 كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ نَصِيحَتِهِ ، وَأَسْكُنُ إِلَيْهِ مِنْ مُشَاوَرَتِهِ ، وَأَقْبِلُ
 مِنْ مَنَاصِحَتِهِ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : إِنْ أَشَدَّ مَا شَهِدَ أَمْرًا وَعَلَى
 نَفْسِهِ ، وَهَذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ ، كَيْفَ أَقْدَمْتَ عَلَى قَتْلِ الثَّوْرِ بِلَا
 عِلْمٍ وَلَا يَقِينٍ ؟ وَلَوْلَا مَا قَالَتْ الْعُلَمَاءُ فِي إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ ،
 وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِثْمِ وَالشَّنَارِ^(١) ، لَذَكَّرْتُ لَكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا
 عَلِمْتُ . قَالَ الْأَسَدُ : إِنْ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءَ لَهَا وَجُوهٌ كَثِيرَةٌ ،
 وَمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ . وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ صَوَابَ مَا تَقُولِينَ : وَإِنْ كَانَ
 عِنْدَكَ رَأْيٌ فَلَا تَطْوِيهِ عَنِّي ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَسْرَّ إِلَيْكَ أَحَدٌ سِرًّا
 فَأَخْبِرْنِي بِهِ ، وَأَطْلِعْنِي عَلَيْهِ ، وَعَلَى جُمْلَةِ الْأَمْرِ . فَأَخْبَرَتْهُ
 بِجَمِيعِ مَا أَلْقَاهُ إِلَيْهَا النَّمْرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَهُ بِاسْمِهِ . وَقَالَتْ :

(١) الشنار : أفتح العيب والعار .

إِنِّي لَمْ أَجْهَلُ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ فِي تَعْظِيمِ الْعُقُوبَةِ وَتَشْدِيدِهَا ،
 وَمَا يَدْخُلُ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الْعَارِ فِي إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ ؛ وَلَكِنِّي
 أَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِمَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ لَكَ ؛ وَإِنْ وَصَلَ خَطْوُهُ
 وَضَرَّهُ إِلَى الْعَامَّةِ فَأِضْرَارُهُمْ عَلَى خِيَانَةِ الْمَلِكِ مِمَّا لَا يَدْفَعُ
 الشَّرَّ عَنْهُمْ ، وَبِهِ يَحْتَجُّ السُّفَهَاءُ ، وَيَسْتَحْسِنُونَ مَا يَكُونُ مِنْ
 أَعْمَالِهِمُ الْقَصِيحَةِ . وَأَشَدُّ مَعَارِهِمْ إِقْدَامُهُمْ عَلَى ذِي الْحَزْمِ .
 فَلَمَّا قَضَتْ أُمُّ الْأَسَدِ هَذَا الْكَلَامَ ، اسْتَدْعَى أَصْحَابَهُ وَجُنْدَهُ
 فَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةٍ . فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ
 الْأَسَدِ ، وَرَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُزْنِ وَالْكَآبَةِ ، أَلْتَفَتَ إِلَى بَعْضِ

الْحَاضِرِينَ فَقَالَ : مَا الَّذِي حَدَّثَ ؟ وَمَا الَّذِي أَحْزَنَ الْمَلِكَ ؟
 فَالْتَفَتَتْ أُمُّ الْأَسَدِ إِلَيْهِ وَقَالَتْ : قَدْ أَحْزَنَ الْمَلِكُ بِقَاوُكَ وَلَوْ
 طَرْفَةَ عَيْنٍ ؛ وَلَنْ يَدَعَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ حَيًّا ! قَالَ دِمْنَةُ : مَا تَرَكَ
 الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ شَيْئًا : لِأَنَّهُ يُقَالُ : أَشَدُّ النَّاسِ فِي تَوْقِي الشَّرِّ ،
 يُصِيبُهُ الشَّرُّ قَبْلَ الْمُسْتَسْلِمِ لَهُ . فَلَا يَكُونَنَّ الْمَلِكُ وَخَاصَّتُهُ

(١) الماثر : جمع معرة وهي الإثم والحياة والأذى .

وَجَنُودُهُ الْمِثْلَ السُّوءِ ؛ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ صَحِبَ
 الْأَشْرَارَ ، وَهُوَ يَعْلَمُ حَالَهُمْ ، كَانَ أَذَاهُ مِنْ نَفْسِهِ : وَلِذَلِكَ
 انْقَطَعَتِ النَّسَاكُ بِأَنْفُسِهَا عَنِ الْخَلْقِ ، وَاخْتَارَتِ الْوَحْدَةَ
 عَلَى الْمُخَالَطَةِ ، وَحُبَّ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا .
 وَمَنْ يَجْزِي بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا إِلَّا اللَّهُ ؟ وَمَنْ
 طَلَبَ الْجَزَاءَ عَلَى الْخَيْرِ مِنَ النَّاسِ ، كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَحْطَى
 بِالْحَرَمَانِ ؛ إِذْ يُحْطَى الصَّوَابُ فِي خُلُوصِ الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَطَلَبِ الْجَزَاءِ مِنَ النَّاسِ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَا رَغِبْتَ فِيهِ رَعِيَّةُ
 الْمَلِكِ هُوَ مُحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ وَمَوَاقِعُ الصَّوَابِ وَجَمِيلُ السَّيْرِ ؛
 وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : مَنْ صَدَّقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُكَذَّبَ . وَكَذَّبَ
 مَا يَنْبَغِي أَنْ يُصَدَّقَ ، نَخَرَجَ مِنْ مَصَافِّ الْعُقَلَاءِ ، وَكَانَ جَدِيرًا
 بِالْأَزْدِرَاءِ . فَيَنْبَغِي إِلَّا يُعَجَّلَ الْمَلِكُ فِي أَمْرِي بِشُبُهَةٍ . وَلَسْتُ
 أَقُولُ هَذَا كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ : فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَرِيهًا ، لَا مَنْجَى مِنْهُ .
 وَكُلُّ حِيٍّ هَالِكٌ . وَلَوْ كَانَتْ لِي مِائَةٌ نَفْسٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَوَى الْمَلِكِ
 فِي إِتْلَافِهِنَّ ، لَطَبْتُ لَهُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَقَالَ بَعْضُ الْجُنُودِ :

لَمْ يَنْطِقْ بِهَذَا لِحُبِّهِ الْمَلِكَ ، وَلَكِنْ نِحْلَاصِ نَفْسِهِ ، وَالتَّمَّاسِ الْعُذْرِ لَهَا . فَقَالَ لَهُ دِمْنَةُ : وَيْلَكَ ! وَهَلْ عَلَيَّ فِي التَّمَّاسِ الْعُذْرٍ لِنَفْسِي عَيْبٌ ؟ وَهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ ؟ وَإِذَا لَمْ يَلْتَمِسْ لَهَا الْعُذْرَ ، فَلِمَنْ يَلْتَمِسُهُ ؟ لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَكُنْ تَمْلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ ؛ وَلَقَدْ عَرَفَ مَنْ سَمِعَ مِنْكَ ذَلِكَ أَنَّكَ لَا تُحِبُّ لِأَحَدٍ خَيْرًا ؛ وَأَنَّكَ عَدُوُّ نَفْسِكَ ، فَمَنْ سِوَاهَا بِالْأَوْلَى . فَمِثْلُكَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْبَهَائِمِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَلِكِ ، وَأَنْ يَكُونَ بِبَابِهِ . فَلَمَّا أَجَابَهُ دِمْنَةُ بِذَلِكَ ، نَحَرَاجَ مُكْتَتِبًا حَزِينًا مُسْتَحِيًّا . فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ لِدِمْنَةَ : لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ ، أَيُّهَا الْمُحْتَالُ ، فِي قِلَّةِ حَيَاتِكَ ، وَكَثْرَةِ وَقَاحَتِكَ ، وَسُرْعَةِ جَوَابِكَ لِمَنْ كَلَّمَكَ . قَالَ دِمْنَةُ : لِأَنَّكَ تَنْظُرِينَ إِلَى بَعَيْنٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَسْمَعِينَ مِنِّي

الْمَلِكِ لِاسْتِخْفَافِهِمْ بِهِ ، وَطُولِ كَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ
 الْعَيْشِ وَالنَّعْمَةِ ، لَا يَدْرُونَ فِي أَيِّ وَقْتٍ يَنْبَغِي لَهُمُ الْكَلَامُ ،
 وَلَا مَتَى يَجِبُ عَلَيْهِمُ السُّكُوتُ . قَالَتْ : أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا
 الشَّقِيِّ ، مَعَ عِظَمِ ذَنْبِهِ ، كَيْفَ يَجْعَلُ نَفْسَهُ بَرِيئًا كَمَنْ
 لَا ذَنْبَ لَهُ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ غَيْرَ أَعْمَالِهِمْ لَيَسُوا
 عَلَى شَيْءٍ ؛ كَالَّذِي يَضَعُ الرَّمَادَ مَوْضِعًا يَنْبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ
 الرَّمْلَ ؛ وَيَسْتَعْمَلُ فِيهِ السَّرَجِينَ^(١) ، وَالرَّجُلِ الَّذِي يَلْبَسُ
 لِبَاسَ الْمَرْأَةِ ، وَالْمَرْأَةَ الَّتِي تَلْبَسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ ، وَالضَّيْفِ الَّذِي
 يَقُولُ : أَنَارَبُ الْبَيْتِ ، وَالَّذِي يَنْطِقُ بَيْنَ الْجَمَاعَةِ بِمَا لَا يُسْأَلُ
 عَنْهُ . وَإِنَّمَا الشَّقِيُّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأُمُورَ وَلَا أَحْوَالَ النَّاسِ
 وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الشَّرِّ عَنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . قَالَتْ
 أُمُّ الْأَسَدِ : أَتَظُنُّ أَيُّهَا الْغَادِرُ الْمُحْتَالُ بِقَوْلِكَ هَذَا أَنَّكَ تَحْدَعُ
 الْمَلِكَ ، وَلَا يَسْجُنُكَ ؟ قَالَ دِمْنَةُ : الْغَادِرُ الَّذِي لَا يَأْمَنُ
 عَدُوَّهُ مَكْرَهُ ، وَإِذَا اسْتَمَكَنَ مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ .

(١) السرجين بكسر أوله : الزبل .

قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ : أَيُّهَا الْغَادِرُ الْكَذُوبُ ، أَتَظُنُّ أَنَّكَ نَاجٍ
 مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ ؟ وَأَنْ مَحَالِكَ هَذَا يَنْفَعُكَ مَعَ عِظَمِ جُرْمِكَ ؟
 قَالَ دِمْنَةُ : الْكَذُوبُ الَّذِي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ ، وَيَأْتِي بِمَا
 لَمْ يَقُلْ وَلَمْ يَفْعَلْ ، وَكَلَامِي وَاضِحٌ مُبِينٌ . قَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ :
 الْعُتْبَاءُ مِنْكُمْ هُمُ الَّذِينَ يُوَضِّحُونَ أَمْرَهُ بِفَضْلِ الْحِطَابِ .
 ثُمَّ نَهَضَتْ فَخَرَجَتْ . فَدَفَعَ الْأَسَدُ دِمْنَةَ إِلَى الْقَاضِي ، فَأَمَرَ
 الْقَاضِي بِجَبْسِهِ ، فَأَلْقَى فِي عُنُقِهِ حَبْلٌ ، وَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ .
 فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَخْبَرَ كَيْلَةَ أَنَّ دِمْنَةَ فِي الْحَبْسِ . فَأَتَاهُ
 مُسْتَخْفِيًا ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضَيْقِ الْقَيْودِ ، وَحَرَجِ
 الْمَكَانِ ، بَكَى ، وَقَالَ لَهُ : مَا وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا
 لِاسْتِعْمَالِكَ الْخَدِيعَةَ وَالْمَكْرَ ، وَإِضْرَابِكَ عَنِ الْعِظَةِ ، وَلَكِنْ لَمْ
 يَكُنْ لِي بَدٌّ فِيمَا مَضَى مِنْ إِذْذَارِكَ وَالنَّصِيحَةِ لَكَ وَالْمُسَارَعَةِ إِلَيْكَ
 فِي خُلُوصِ الرَّغْبَةِ فِيكَ : فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ ، وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ
 مَجَالٌ . وَلَوْ كُنْتُ قَصْرْتُ فِي عِظَتِكَ كَيْسِي حِينَ كُنْتُ فِي عَافِيَةٍ ،
 لَكُنْتُ الْيَوْمَ شَرِيكَكَ فِي ذَنْبِكَ ، غَيْرَ أَنَّ الْعُجْبَ دَخَلَ مِنْكَ

مَدْخَلًا قَهَرَ رَأْيِكَ ، وَغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ ؛ وَكُنْتُ أَضْرِبُ لَكَ
 الْأَمْثَالَ كَثِيرًا ، وَأَذَكُّكَ قَوْلَ الْعُلَمَاءِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : إِنَّ
 الْمُحْتَالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ . قَالَ دَمْنَةُ : قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ
 مَقَالَتِكَ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : لَا تَجْزَعُ لِبَرِّ الْعَذَابِ إِذَا وَقَفْتَ
 مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ ؛ وَلَآنَ تُعَذَّبُ فِي الدُّنْيَا بِجُرْمِكَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ
 تُعَذَّبَ فِي الْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ مَعَ الْإِثْمِ . قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهَمْتُ
 كَلَامَكَ ؛ وَلَكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ ، وَعِقَابُ الْأَسَدِ شَدِيدٌ أَلِيمٌ .
 وَكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي السِّجْنِ فَهَدَّ مُعْتَقِلٌ يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ، وَلَا
 يَرِيَانَهُ ؛ فَعَرَفَ مُعَاتِبَةً كَلِيلَةَ لِدَمْنَةَ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ ، وَمَا كَانَ
 مِنْهُ ؛ وَأَنَّ دَمْنَةَ مَقْرُؤٌ بِسُوءِ عَمَلِهِ ، وَعَظِيمٌ ذَنْبِهِ ؛ فَحَفِظَ الْمُحَاوِرَةَ
 بَيْنَهُمَا ، وَكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا . ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ انْصَرَفَ
 إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَدَخَلَتْ أُمُّ الْأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ عَلَى الْأَسَدِ ؛
 وَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ ، حُوشِيَتْ أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ
 بِالْأَمْسِ ؛ وَأَنَّكَ أَمَرْتَ بِهِ لِيُوقِتَهُ ؛ وَأَرْضَيْتَ بِهِ رَبَّ الْعِبَادِ .

وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى فِي الْجِدِّ لِلتَّقْوَى؛
 بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَدَافِعَ عَنِ ذَنْبِ الْأَثِيمِ. فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 كَلَامَ أُمِّهِ، أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ النَّمِرُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْقَضَاءِ. فَلَمَّا
 حَضَرَ قَالَ لَهُ وَبِجَوَّاسِ الْعَادِلِ (١): أَجْلِسَا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ،
 وَنَادِيَا فِي الْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ أَنْ يَحْضُرُوا وَيَنْظُرُوا فِي حَالِ
 دِمْنَةَ، وَيَجْثُوا عَنِ شَأْنِهِ، وَيَفْحَصُوا عَنِ ذَنْبِهِ، وَيَثْبِتُوا
 قَوْلَهُ وَعُذْرَهُ فِي كُتُبِ الْقَضَاءِ؛ وَأَرْفَعَا إِلَى ذَلِكَ يَوْمًا فَيَوْمًا.
 فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّمِرُ وَالْجَوَّاسُ الْعَادِلُ وَكَانَ هَذَا الْجَوَّاسُ عَمَّ
 الْأَسَدِ، قَالَا: سَمِعْنَا وَطَاعَةً لِمَا أَمَرَ الْمَلِكُ. وَنَحْرَجَا مِنْ عِنْدِهِ؛
 فَعَمِلَا بِمُقْتَضَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي
 جَلَسُوا فِيهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ، أَمَرَ الْقَاضِي أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ؛
 فَأَتَى بِهِ، فَأَوْقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْجَمَاعَةُ حُضُورًا. فَلَمَّا
 اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَكَانُ نَادَى سَيِّدُ الْجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَيُّهَا الْجَمْعُ.
 إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ السَّبَاعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قُتِلَ شَرَبَةُ خَائِرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَنَّهُ أَخَذَهُ بِكُذِّبِ دِمْنَةٍ وَنَمِيمَتِهِ . وَهَذَا الْقَاضِي قَدْ أَمَرَ أَنْ
يَجْلِسَ مَجْلِسَ الْقَضَاءِ ، وَيَبْحَثَ عَنْ شَأْنِ دِمْنَةٍ . فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ
شَيْئًا فِي أَمْرِ دِمْنَةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فَلْيَقُلْ ذَلِكَ ، وَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ
عَلَى رُءُوسِ الْجَمْعِ وَالْأَشْهَادِ ، لِيَكُونَ الْقَضَاءُ فِي أَمْرِهِ بِحَسَبِ
ذَلِكَ ، فَإِذَا اسْتَوْجَبَ الْقَتْلَ فَالْبَتُّ فِي أَمْرِهِ أَوْلَى ، وَالْعَجَلَةُ
مِنَ الْهَوَى ، وَمُتَابَعَةُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْبَاطِلِ ذُلٌّ . فَعِنْدَهَا قَالَ
الْقَاضِي : أَيُّهَا الْجَمْعُ اسْمَعُوا قَوْلَ سَيِّدِكُمْ ، وَلَا تَكْتُمُوا مَا عَرَفْتُمْ
مِنْ أَمْرِهِ ، وَاحْذَرُوا فِي السِّرِّ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ : إِحْدَاهُنَّ ،
وَهُنَّ أَفْضَلُهُنَّ ، أَلَّا تَزْدَرُوا فِعْلَهُ ، وَلَا تَعُدُّوهُ سِرًّا : فَمَنْ

وَالْفُجُورِ ، وَقَطَعَ أَسْبَابَ مُوَاصَلَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ عَنِ الْخَاصَّةِ
وَالْعَامَّةِ ؛ فَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْمُحْتَالَ شَيْئًا ، فَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى
رُءُوسِ الْأَشْهَادِ مِمَّنْ حَضَرَ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَيْهِ ؛ وَقَدْ
قِيلَ : إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهَادَةَ مَيِّتٍ ، أُجِلَّ بِإِلْجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ؛ فَلْيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا عَلِمَ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ
الْجَمْعُ كَلَامَهُ ، أَمْسَكُوا عَنِ الْقَوْلِ . فَقَالَ دِمْنَةُ : مَا يُسَكِّتُكُمْ ؟
تَكَلَّمُوا بِمَا عَلِمْتُمْ ؛ وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ جَوَابًا . وَقَدْ قَالَتْ
الْعُلَمَاءُ : مَنْ يَشْهَدُ بِمَا لَمْ يَرَ ، وَيَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، أَصَابَهُ
مَا أَصَابَ الطَّيِّبَ الَّذِي قَالَ لِمَا لَا يَعْلَمُهُ : إِنِّي أَعْلَمُهُ . قَالَتْ
الْجَمَاعَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْمُدُنِ طَيِّبٌ لَهُ رِفْقٌ
وَعِلْمٌ ؛ وَكَانَ ذَا فِطْنَةٍ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعَابَلَاتِ ؛ فَكَبِرَ
ذَلِكَ الطَّيِّبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ . وَكَانَ لِمَلِكِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُ قَدْ

الأوجاع . فجىء بهذا الطيب ؛ فلما حضر ، سأل الجارية
 عن وجعها وما تجد ، فأخبرته ، فعرف داءها ودواءها ، وقال :
 لو كنت أبصر ، لجمعت الأخلاط على معرفتي بأجناسها ؛ ولا
 أثق في ذلك بإحد غيري . وكان في المدينة رجل سفيه ،
 فبلغه الخبر ، فاتاهم وأدعى علم الطب ، وأعلمهم أنه خير
 بمعرفة أخلاط الأدوية والعقاقير ، عارف بطبائع الأدوية
 المركبة والمفردة ؛ فأمره الملك أن يدخل خزانة الأدوية فيأخذ
 من أخلاط الدواء حاجته ؛ فلما دخل السفيه الخزانة ،
 وعرضت عليه الأدوية ، ولا يدري ما هي ، ولا له بها
 معرفة ، أخذ في جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته ،
 وخلطه في الأدوية ، ولا علم له به ، ولا معرفة عنده بجنسه .
 فلما تمت أخلاط الأدوية ، سقى الجارية منه ، فماتت لوقتها .
 فلما عرف الملك ذلك ، دعا بالسفيه ، فسقاه من ذلك الدواء ،
 فمات من ساعته . وإثما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا

١٦٧

St...

عَنِ الْحَدِيدِ ، فَمَنْ نَجَرَ مِنْكُمْ عَنْ حِدِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ذَلِكَ
 الْجَاهِلَ ، وَنَفْسَهُ الْمَلُومَةَ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : رُبَّمَا جُرِيَ
 الْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ . وَالْكَلَامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ : فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ .

فَتَكَلَّمَ سَيِّدُ الْخَنَازِيرِ ، لِأَذْلَالِهِ وَتَبِيهِهِ بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ الْأَسَدِ ،
 فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّرَفِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، أَسْمَعُوا مَقَالَاتِي ، وَعُورُوا

يَذْمُ دِمْنَةً ، وَقَالَ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ كَتَبُوا وَأَخْبَرُوا : أَنَّهُ مِنْ كَانَتْ
عَيْنُهُ الْيُسْرَى أَصْغَرَ مِنْ عَيْنِهِ الْيُمْنَى وَهِيَ لَا تَزَالُ تَحْتَلِجُ ،
وَكَانَ أَنْفَهُ مَائِلًا إِلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ ، فَهُوَ شَقِيٌّ خَبِيثٌ . قَالَ لَهُ
دِمْنَةُ : شَأْنُكَ عَجَبٌ ، أَيُّهَا الْقَدِيرُ ، ذُو الْعَلَامَاتِ الْفَاضِحَةِ
الْقَيْحَةِ ، ثُمَّ الْعَجَبُ مِنْ جَرَاءَتِكَ عَلَى طَعَامِ الْمَلِكِ ، وَقِيَامِكَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَعَ مَا يَجْسِمُكَ مِنَ الْقَدْرِ وَالْقُبْحِ ، وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ
وَيَعْرِفُهُ غَيْرُكَ مِنْ عِيُوبِ نَفْسِكَ ، أَفَتَتَكَلَّمُ فِي النَّقِيِّ الْجِسْمِ الَّذِي
لَا عَيْبَ فِيهِ ؟ وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَطَّلِعُ عَلَى عَيْبِكَ ، لَكِنْ
جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ . وَقَدْ كَانَ يَحْجُزُنِي عَنْ
إِظْهَارِهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ الصَّدَاقَةِ . فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَى
وَبَهْتَنِي فِي وَجْهِهِ ، وَقُتَّتْ بَعْدَاوِي ، فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فِي بَغْيٍ
عَلِمَ عَلَى رُءُوسِ الْحَاضِرِينَ ، فَإِنِّي أَتَّصِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا أَعْرِفُ
مِنْ عِيُوبِكَ ، وَتَعْرِفُ الْجَمَاعَةَ ، وَحَقُّ عَلَى مَنْ عَرَفَكَ حَقَّ
مَعْرِفَتِكَ أَنْ يَمْنَعَ الْمَلِكُ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ إِيَّاكَ عَلَى طَعَامِهِ ، فَلَوْ

كَلَّفْتِ أَنْ تَعْمَلَ الزَّرَاعَةَ لَكُنْتِ جَدِيرًا بِالْحِذْلَانِ فِيهَا .
 فَالْأُخْرَى بِكَ أَلَّا تَدُنُو إِلَى عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَلَّا تَكُونِ
 دَبَاغًا وَلَا جَامًا لِعَامِيٍّ فَضْلًا عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ الْمَلِكِ . قَالَ
 سَيِّدُ الْخِنَازِيرِ : أَتَقُولُ لِهَذِهِ الْمَاءِ الْقَدِيمَةِ ، مَتَأَقَانِ ، نَبْلُ الْمَاءِ .

قَالَ دِمْنَةُ ؛ نَعَمْ ، وَحَقًّا قُلْتُ فِيكَ ، وَإِيَّاكَ أَعْجَى ، أَيُّهَا
 الْأَعْرَجُ الْمَكْسُورُ الْأَفْدَعُ الرَّجُلِ ، الْمَنْفُوحُ الْبَطْنِ ، الْأَفْلَحُ^(٢)
 الشَّفَتَيْنِ ، السَّيِّئُ الْمَنْظَرُ وَالْمَخْبِرُ . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ دِمْنَةُ ،
 تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ الْخِنَازِيرِ وَاسْتَعْبَرَ وَاسْتَحَى ، وَتَلَجَّلَجَّ لِلسَّانَةِ ،
 وَأَسْتَكَانَ وَفَتَرَ نَشَاطَهُ^(٤) . فَقَالَ دِمْنَةُ ، حِينَ رَأَى انْكِسَارَهُ
 وَبُكَاءَهُ : إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَطُولَ بُكَاءُكَ ، إِذَا اطَّلَعَ الْمَلِكُ
 عَلَى قَدْرِكَ وَعُيُوبِكَ فَعَزَلَكَ عَنْ طَعَامِهِ ، وَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
 خِدْمَتِهِ ، وَأَبْعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ . ثُمَّ إِنَّ شَغْبَرًا كَانَ الْأَسَدُ قَدْ جَرَبَهُ
 فَوَجَدَ فِيهِ أَمَانَةً وَصِدْقًا ، فَرَتَّبَهُ فِي خِدْمَتِهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْفَظَ

عَلَى الْأَسَدِ فَحَدَّثَهُ بِالْحَدِيثِ كُلِّهِ عَلَى جَلِيَّتِهِ . فَأَمَرَ الْأَسَدُ
بِعَزْلِ سَيِّدِ الْخَنَازِيرِ عَنْ عَمَلِهِ ، وَأَمَرَ أَلَّا يَدْخُلَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَرَى

وَسَعِينَا وَمَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَتَاتِنِي بِهِ ، فَفَعَلَ الشَّغْبِرُ مَا أَمَرَهُ بِهِ
 دِمْنَةٌ . فَلَمَّا وَضَعَ الْمَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْطَاهُ شَطْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ :
 إِنَّكَ عَلَى الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ عَلَى الْأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ ،
 فَتَفَرَّغَ لِشَأْنِي ، وَأَصْرَفَ أَهْتِمَامَكَ إِلَيَّ ، وَأَسْمَعَ مَا أَذْكَرُ بِهِ عِنْدَ
 الْأَسَدِ ، إِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ مَا يَجْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُصُومِ ، وَمَا يَبْدُو
 مِنْ أُمَّ الْأَسَدِ فِي حَقِّي ، وَمَا تَرَى مِنْ مَتَابَعَةِ الْأَسَدِ لَهَا ،
 وَمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهَا فِي أَمْرِي ، وَأَحْفَظُ ذَلِكَ كُلَّهُ . فَأَخَذَ الشَّغْبِرُ
 مَا أَعْطَاهُ دِمْنَةٌ وَأَنْصَرَفَ عَنْهُ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ . فَاِنْطَلَقَ إِلَى
 مَنْزِلِهِ فَوَضَعَ الْمَالَ فِيهِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ بَكَرَ مِنَ الْغَدِ بِخَاسٍ ،
 حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ النَّهَارِ سَاعَتَانِ ، اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَأَذِنَ
 لَهُمْ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَوَضَعُوا الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا عَرَفَ
 قَوْلَهُمْ وَقَوْلَ دِمْنَةَ دَعَا أُمَّهُ فَقَرَأَ عَلَيْهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَتْ مَا فِي
 الْكِتَابِ نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا : إِنَّ أَنَا أَغْلَظْتُ فِي الْقَوْلِ فَلَا
 تَلْمِئَنِي : فَإِنَّكَ لَسْتَ تَعْرِفُ ضُرَّكَ مِنْ نَفْعِكَ . أَلَيْسَ هَذَا مِمَّا
 كُنْتُ أَنبَأُكَ عَنْ سَمَاعِهِ : لِأَنَّهُ كَلَامُ هَذَا الْمُجْرِمِ الْمُسِيءِ إِلَيْنَا ،

موافقة هواءك ، ولم تمض بعد ذلك ثلاثة أيام . ولكن صدق
من أيدس

موافقة هواءك ، ولم تمض بعد ذلك ثلاثة أيام . ولكن صدق

بِبِرَاءَتِي وَسَلَامَتِي مِمَّا قُرِفْتُ بِهِ ؟ وَنَفْسِي أَكْبَرُ الْأَنْفُسِ عَلَى
 حُرْمَةٍ وَأَوْجِبُهَا حَقًّا . فَلَوْ فَعَلْتُ هَذَا بِأَقْصَاكُمْ وَأَدْنَاكُمْ ، لَمَا
 وَسِعَنِي فِي دِينِي ، وَلَا حَسَنَ بِي فِي مُرُوءَتِي ، وَلَا حَقَّ لِي أَنْ
 أَفْعَلَهُ ؛ فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي ؟ فَأَكْفِفُ أَيُّهَا الْقَاضِي عَنْ هَذِهِ
 الْمَقَالَةِ : فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ مِنْكَ نَصِيحَةً ، فَقَدْ أَخْطَأْتَ
 مَوْضِعَهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ خَدِيعَةً ، فَإِنَّ أَقْبَحَ الْخِدَاعِ مَا نَظَرْتَهُ
 وَعَرَفْتَهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ؛ مَعَ أَنْ الْخِدَاعَ وَالْمَكْرَ لَيْسَا مِنْ أَعْمَالِ
 صَالِحِي الْقَضَاةِ ، وَلَا تُقَاةِ الْوُلَاةِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ الْجُهَالُ وَالْأَشْرَارُ سُنَّةً يَقْتَدُونَ بِهَا :
 لِأَنَّ أُمُورَ الْقَضَاةِ يَأْخُذُ بِصَوَابِهَا أَهْلُ الصَّوَابِ ، وَبِخَطِئِهَا أَهْلُ
 الْخَطَاةِ وَالْبَاطِلِ وَالْقَلِيلُ الْوَرَعِ ؛ وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْقَاضِي
 مِنْ مَقَالَتِكَ هَذِهِ أَكْبَرُ الرِّزَايَا وَالْبَلَايَا ؛ وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَاءِ
 وَالْمُصِيبَةِ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ وَالْجُنْدِ وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ
 فَاضِلًا فِي رَأْيِكَ ، مُقْنِعًا فِي عَدْلِكَ ، مُرْضِيًا فِي حُكْمِكَ وَعَقَافِكَ
 وَفَضْلِكَ ؛ وَإِنَّمَا الْبَلَاءُ كَيْفَ أُسِيَّتَ ذَلِكَ فِي أَمْرِي .

فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِيَ ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةَ ، نَهَضَ فَرَفَعَهُ إِلَى
 الْأَسَدِ عَلَى وَجْهِهِ فَنَظَرَ فِيهِ الْأَسَدُ ، ثُمَّ دَعَا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْهَا .
 فَقَالَتْ حِينَ تَدَبَّرْتُ كَلَامَ دِمْنَةَ لِلْأَسَدِ : لَقَدْ صَارَ اهْتِمَامِي بِمَا
 اتَّخَفُ مِنْ أَحْتِمَالِ دِمْنَةَ لَكَ مَكْرَهُ وَدَهَانَهُ حَتَّى نَقَلْتُكَ لَهُ

يُفْسِدَ عَلَيْكَ أَمْرَكَ ، أَعْظَمَ مِنْ اهْتِمَامِي بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ
 إِلَيْكَ فِي الْغِشِّ وَالسَّعَايَةِ ، حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَتَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ .
 فَوَقَعَ قَوْلُهَا فِي نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهَا : أَخْبِرْنِي عَنِ الَّذِي أَخْبَرَكَ
 بِذَنْبِكَ ، فَأَنْتَ تَكُونُ نَحْوَهُ ، فَقَالَتْ دِمْنَةَ فَقَالَ

وَتَثْبِيتِ حُجَّةِ الْحَقِّ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ : فَإِنَّهُ قَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ :
 مَنْ كَتَمَ حُجَّةً مَيِّتٍ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَمْ تَزَلْ بِهِ ، حَتَّى
 قَامَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِ دِمْنَةَ .
 فَلَمَّا شَهِدَ النَّمِرُ بِذَلِكَ ، أَرْسَلَ النَّهْدَ الْمُحْبُسُ الَّذِي سَمِعَ إِقْرَارَ
 دِمْنَةَ وَحَفِظَهُ إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي شَهَادَةً . فَأَنْحَرِبُوهُ .
 فَشَهِدَ عَلَى دِمْنَةَ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِهِ . فَقَالَ لَهُمَا الْأَسَدُ :
 مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تَقُومَا بِشَهَادَتِكُمَا ، وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَمْرَنَا وَاهْتِمَامَنَا
 بِالْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ ، فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : قَدْ عَلِمْنَا
 أَنَّ شَهَادَةَ الْوَاحِدِ لَا تُوجِبُ حُكْمًا فَكَّرْهُنَا التَّعَرُّضَ لِغَيْرِ مَا يَمْنَعُنِي
 بِهِ الْحُكْمُ ، حَتَّى إِذَا شَهِدَ أَحَدُنَا قَامَ الْآخَرُ بِشَهَادَتِهِ ، فَقَبِلَ
 الْأَسَدُ قَوْلَهُمَا . وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُقْتَلَ فِي حَبْسِهِ : فَقُتِلَ أَشْنَعَ
 قِتْلَةٍ . فَمَنْ نَظَرَ فِي هَذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنَفَعَةَ نَفْسِهِ
 بِضَرِّ غَيْرِهِ بِالْخِلَابَةِ وَالْمَكْرِ ، فَإِنَّهُ سَيَجْرِي عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ .
 (انقضى باب الفحص عن أمر دمنة)

الدم

بَابُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا، الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ
الْمُتَحَايِنِ كَيْفَ ، قَطَعَ بَيْنَهُمَا الْكَذُوبُ ، وَالْمَاءُ مَاذَا صَارَ عَاقِمَةً

أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ . فَخَدِّثْنِي ، إِنْ رَأَيْتَ ، عَنْ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ
كَيْفَ يُتَدَا تَوَاصُلَهُمْ وَيَسْتَمْتِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ؟ قَالَ
الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِالْإِخْوَانِ شَيْئًا . فَإِلَّا إِخْوَانُ
هُمْ الْأَعْوَانُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالْمُوَاسُونَ عِنْدَ مَا يَنْوِبُ مِنْ
الْمَكْرُوهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ الْمُطَوَّقَةِ وَالْجُرْدِ
وَالظَّبْيِ وَالْغُرَابِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ ، عِنْدَ مَدِينَةِ
دَاهَرَ ، مَكَانٌ كَثِيرُ الصَّيْدِ ، يَنْتَابُهُ الصَّيَّادُونَ ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ
الْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ الْوَرَقِ . فِيهَا وَكْرُ غُرَابٍ .
فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ الْمَنْظَرِ ،

Net

شبكة

سَيِّئِ الْحَاقِّ ، عَلَى عَاتِقِهِ شَبَكَةٌ ، وَفِي يَدِهِ عَصَا ، مُقْبِلًا نَحْوَ
 لَشَجْرَةٍ ، فَذَعَرَ مِنْهُ الْغُرَابُ ، وَقَالَ : لَقَدْ سَاقَ هَذَا الرَّجُلَ
 إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : إِمَّا حِينِي وَإِمَّا حِينُ غَيْرِي . فَلَا تُثَبِّتَنَّ مَكَانِي
 حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ . ثُمَّ إِنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ ، وَنَثَرَ
 عَلَيْهَا الْحَبَّ ، وَكَمَنَ قَرِيبًا مِنْهَا ، فَلَمْ يَأْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا ، حَتَّى
 مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا الْمُطَوَّقَةُ ، وَكَانَتْ سَيِّدَةَ الْحَمَامِ ،
 وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ ، فَعَمِيَتْ هِيَ وَصَوَّاحِبُهَا عَنِ الشَّرِكِ ، فَوَقَعَنَّ
 عَلَى الْحَبِّ يَلْتَقِظُنَّهُ ، فَعَلِقَنَّ فِي الشَّبَكَةِ كُلَّهُنَّ ، وَأَقْبَلَ الصَّيَّادُ
 فَحَامِسُهُمَا ، فَمَاتَا كَمَا حَامَسَتْهُمَا ، فَحَامَسَهُمَا

إِلَّا قَرِيبًا وَيَقَعْنَ . فَقَالَ الْغُرَابُ : لَا تَتَّبِعِينِ وَأَنْظُرِي مَا يَكُونُ
 مِنْهُنَّ . فَالْتَفَتَتِ الْمُطَوَّقَةُ فَرَأَتِ الصَّيَادَ يَتَّبِعُهُنَّ . فَقَالَتْ
 لِلْحَمَامِ : هَذَا الصَّيَادُ مُجِدُّ فِي طَلَبِكُنَّ ، فَإِنِ نَحْنُ أَخَذْنَا
 فِي الْفَضَاءِ لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُنَا ، وَإِنِ نَحْنُ
 تَوَجَّهْنَا إِلَى الْعَمْرَانِ خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، وَأَنْصَرَفَ . وَبِمَكَانٍ كَذَا
 جُرَذٌ هُوَ لِي أَخٌ ، فَلَوْ أَنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هَذَا الشَّرْكَ .
 فَفَعَلْنَ ذَلِكَ . وَأَيْسَ الصَّيَادُ مِنْهُنَّ وَأَنْصَرَفَ . وَتَبِعَهُنَّ الْغُرَابُ .
 فَلَمَّا انْتَهَتِ الْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ إِلَى الْجُرَذِ ، أَمَرَتْ الْحَمَامَ أَنْ
 يَسْقُظَنَّ ، فَوَقَعَنَّ ، وَكَانَ لِلْجُرَذِ مِائَةٌ جِحْرٍ لِلْمَخَافِيفِ ، فَسَادَتْهُ
 الْمُطَوَّقَةُ بِأَنَّمِهِ ، وَكَانَ اسْمُهُ زِيرِكٌ ، فَأَجَابَهَا الْجُرَذُ مِنْ جِحْرِهِ :
 مَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : أَنَا خَلِيلَتُكَ الْمُطَوَّقَةُ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا الْجُرَذُ
 يَسْعَى ، فَقَالَ لَهَا : مَا أَوْقَعَكِ فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ ؟ قَالَتْ لَهُ : أَلَمْ
 تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَيَّ مِنْ تَصْيِبِهِ
 الْمَقَادِيرُ ، وَهِيَ الَّتِي أَوْقَعْتَنِي فِي هَذِهِ الْوَرِطَةِ ، فَقَدْ لَا يَمْتَنَعُ

مِنَ الْقَدْرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا ، وَقَدْ تَنَكَّسَ الشَّمْسُ
 وَالْقَمَرُ إِذَا قُضِيَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قَرْضِ
 الْعَقْدِ الَّذِي فِيهِ الْمُطَوَّقَةُ . فَقَالَتْ لَهُ الْمُطَوَّقَةُ : أَبَدًا يَقْطَعُ
 عَقْدَ سَائِرِ الْجَمَامِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى عَقْدِي ، وَأَعَادَتْ
 ذَلِكَ عَلَيْهِ مَرَارًا ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا ، فَلَمَّا أَكْثَرَتْ
 عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ ، قَالَ لَهَا : لَقَدْ كَرَّرْتَ الْقَوْلَ عَلَيَّ
 كَأَنَّكَ لَيْسَ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ ، وَلَا لَكَ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ ،
 وَلَا تَرَعِينَ لَهَا حَقًّا . قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ ، إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ
 بِقَطْعِ عَقْدِي أَنْ تَمَلَّ وَتَتَكَسَّلَ عَن قَطْعِ مَا بَقِيَ ، وَعَرَفْتُ أَنَّكَ
 إِنْ بَدَأْتَ بِيَن قَبْلِي ، وَكُنْتُ أَنَا الْأَخِيرَةَ ، لَمْ تَرْضَ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ
 الْفُتُورُ ، أَنْ أَبْقَى فِي الشَّرِكِ ، قَالَ الْجُرْدُ : هَذَا مِمَّا يَزِيدُ الرَّغْبَةَ
 وَالْمُودَةَ فِيكَ . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قَرْضِ الشَّبَكَةِ حَتَّى فَرَغَ
 مِنْهَا ، فَأَنْطَلَقَتِ الْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا .

فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ صُنْعَ الْجُرْدِ ، رَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ ، بِحِجَابِ
 وَنَادَاهُ بِاسْمِهِ ، فَأَخْرَجَ الْجُرْدُ رَأْسَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا حَاجَتُكَ ؟

قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ . قَالَ الْجُرَذُ : لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

وَيَتْرَكَ التَّمَّاسَ مَا لَيْسَ إِلَيْهِ سَبِيلٌ ، فَأَيُّهَا أَنْتَ الْآكِلُ ،
 وَأَنَا طَعَامُ لَكَ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ الْكَلْبَ لَيَسِيرُ إِلَيْكَ ، وَإِنْ كُنْتُ لِي
 طَعَامًا ، مِمَّا لَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا ، وَإِنَّ مَوَدَّتَكَ آتَسُ لِي مِمَّا
 ذَكَرْتُ ، وَلَسْتُ بِمُحَقِّقٍ ، إِذَا جِئْتُ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ ، أَنْ تَرُدَّنِي

إِطْفَاءِ النَّارِ إِذَا صَبَّ عَلَيْهَا ، وَإِنَّمَا مُصَاحِبُ الْعَدُوِّ وَمُصَاحِبُهُ
 كَصَاحِبِ الْحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِي كُمِّهِ ، وَالْعَاقِلُ لَا يَسْتَأْنِسُ إِلَى الْعَدُوِّ
 الْأَرِيبِ !

قَالَ الْغُرَابُ : قَدْ فَهِمْتُ مَا تَقُولُ ، وَأَنْتَ خَلِيقٌ أَنْ تَأْخُذَ
 بِفَضْلِ خَلِيقَتِكَ ، وَتَعْرِفَ صِدْقَ مَقَالَتِي ، وَلَا تُضْعِبَ عَلَيَّ
 الْأَمْرَ بِقَوْلِكَ : لَيْسَ إِلَى التَّوَاصُلِ بَيْنَنَا سَبِيلٌ : فَإِنَّ الْعُقَلَاءَ
 الْكِرَامَ لَا يَبْتَغُونَ عَلَيَّ مَعْرُوفَ جَزَاءٍ ، وَالْمُودَّةُ بَيْنَ الصَّالِحِينَ
 سَرِيعٌ اتِّصَالُهَا بِطَيِّئٍ انْقِطَاعُهَا . وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الْكُوزِ مِنْ
 الذَّهَبِ : بِطَيِّئٍ الْإِنْكَسَارِ ، سَرِيعُ الْإِعَادَةِ ، هَيِّنُ الْإِصْلَاحِ ،

فَإِنِّي لَمْ أَرُدُّ أَحَدًا عَنِ حَاجَةِ قَطُّ ، وَإِنَّمَا بَدَأْتُكَ بِمَا بَدَأْتُكَ
 بِهِ إِرَادَةَ التَّوَقُّفِ لِنَفْسِي ، فَإِنِ أَنْتَ غَدَرْتِ بِي لَمْ تَقُلْ : إِنِّي
 حَدَثْتُ الْحَدِيثَ بِعَنِ الْإِتِّخَاءِ ، ثُمَّ نَحَرْتِ مِنْ حُجْرَةٍ ، فَوَقَفْتِ

عِنْدَ الْبَابِ . فَقَالَ ، لَهُ الْغِيَابُ . مَا مَنَعُكَ مِنَ الْخُرُوجِ الْيَوْمِ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مِنْ عِلَامَةِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ

صَدِيقِهِ صَدِيقًا ، وَلِعَدُوِّ صَدِيقِهِ عَدُوًّا ؛ وَلَيْسَ لِي بِصَاحِبِ

وَلَا صَدِيقٍ مَنْ لَا يَكُونُ لَكَ مُجِبًّا ؛ وَإِنَّهُ يَهْوَنُ عَلَى قَطِيعَةٍ مِنْ

كَانَ كَمَا هُوَ

لِحَمَامٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْجُرَذِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا .
 فَلَمَّا سَمِعَتْ السُّلْحَفَاءُ شَأْنَ الْجُرَذِ ، عَجِبَتْ مِنْ عَقْلِهِ وَوَفَائِهِ ،
 وَرَحَّبَتْ بِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ : مَا سَأَلَكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ؟ قَالَ
 الْغُرَابُ لِلْجُرَذِ : اقْصُصْ عَلَيَّ الْأَخْبَارَ الَّتِي زَعَمْتَ أَنَّكَ تُحَدِّثُنِي
 بِهَا ، فَأَخْبِرْنِي بِهَا مَعَ جَوَابِ مَا سَأَلَتِ السُّلْحَفَاءُ : فَإِنَّهَا
 عِنْدَكَ بِمَنْزِلَتِي ، فَبَدَأَ الْجُرَذُ وَقَالَ :

كَانَ مَنْزِلِي أَوَّلَ أَمْرِي بِمَدِينَةِ مَارُوتَ فِي بَيْتِ رَجُلٍ نَاسِكٍ ،
 وَكَانَ خَالِيًا مِنَ الْأَهْلِ وَالْعِيَالِ ، وَكَانَ يَوْتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِسَلَّةٍ
 مِنَ الطَّعَامِ فَمَا كَانَتْ مَنَّا حَاحَتُهُ ، بَعْلَةٌ ، السَّاقِ ، وَكَانَتْ يَأْتِيهِ

النَّاسِكُ ، حَتَّى يَخْرُجَ وَائْتِبُ إِلَى السَّلَّةِ ، فَلَا أَدْعُ فِيهَا طَعَامًا إِلَّا
 أَكَلْتُهُ ، وَأَرْمِي بِهِ إِلَى الْجُرَذَانِ . بِحَيْثُ النَّاسِكُ مِرَارًا أَنْ يُعَلِّقَ
 السَّلَّةَ مَكَانًا لَا أَنَالُهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ
 ضَيْفٌ ، فَأَكَلَا جَمِيعًا ، ثُمَّ أَخَذَا فِي الْحَدِيثِ ، فَقَالَ النَّاسِكُ
 لِلْجُرَذِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ لِي إِذْ كُنْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ هَذِهِ الْأَرْضِ ؟

عالية

وَطَىٰ مِنْ الْبِلَادِ ، وَرَأَىٰ مِنَ الْعَجَائِبِ ؛ وَجَعَلَ النَّاسِ كُ خِلَالَ
 ذَلِكَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ ، لِيَنْفِرَنِي عَنِ السَّلَةِ ؛ فَغَضِبَ الضَّيْفُ
 قَالًا . أَنَا أَحَدُكُمْ . أَنْتَ تَنَا مَحْدَثٌ ! فَجَاءَكَ عَا . إِذْ

طَعَامِكَ ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِكَ فَضْلٌ ^{بِحاجتها} عَنْ عِيَالِكَ ؟ وَأَنْتَ رَجُلٌ
لَا تُبْقِي شَيْئًا وَلَا تَدْنِرُهُ . قَالَ الرَّجُلُ : لَا تَنْدِمِي عَلَيَّ شَيْءٌ أَطَعَمَنَاهُ
وَأَنْفَقَنَاهُ : فَإِنَّ الْجَمْعَ وَالْإِدْخَارَ رُبَّمَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ كَعَاقِبَةِ الذُّنْبِ .
قَالَتِ الْمَرْأَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الرَّجُلُ : زَعَمُوا أَنَّهُ نَحَرَ جَازَاتٍ يَوْمَ رَجُلٍ قَانِصٍ ، وَمَعَهُ
قَوْسُهُ وَنَشَابُهُ ^(١) فَلَمْ يُجَاوِزْ غَيْرَ بَعِيدٍ ، حَتَّى رَمَى ظَبْيًا ، فَحَمَلَهُ وَرَجَعَ
طَالِبًا مَنْزِلَهُ ، فَاعْتَرَضَهُ خَنْزِيرٌ بَرِيٌّ فَرَمَاهُ بِنَشَابَةٍ نَفَذَتْ فِيهِ ،
فَادْرَكَهُ الْخَنْزِيرُ وَضْرَبَهُ بِأَنْيَابِهِ ضَرْبَةً أَطَارَتْ مِنْ يَدِهِ الْقَوْسُ ،
وَوَقَعَ مَيِّتِينَ ، فَأَتَى عَلَيْهِمْ ذَنْبٌ فَقَالَ : هَذَا الرَّجُلُ وَالظَّبْيُ
وَالْخَنْزِيرُ يَكْفِينِي أَكْلَهُمْ مَدَّةً ، وَلَكِنْ أبدأ بِهَذَا الْوَتْرِ فَأَكَلَهُ ،
فَيَكُونُ قُوَّةَ يَوْمِي ، فَعَالَجَ الْوَتْرَ حَتَّى قَطَعَهُ ، فَلَمَّا انْقَطَعَ
طَارَتْ سِيَةُ الْقَوْسِ ^(٢) ، فَضْرَبَتْ حَلْقَهُ فَمَاتَ . وَإِنَّمَا ضْرَبْتُ
لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمِي أَنَّ الْجَمْعَ وَالْإِدْخَارَ وَخِيَمَ الْعَاقِبَةِ . فَقَالَتْ

(١) جمع نشابة ودى السم . (٢) طرفها .

١٨٨
 كَلْبٌ مِّنْ كَلْبِ الْبَلَدِ يُسَمَّى كَلْبًا
 وَكَانَ يَسْتَقْدِرُ الْمَرَاةَ وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ
 طَعَامًا مَا فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى السُّوقِ فَأَخَذَتْ بِهِ مُقَابِضَةً سَمِيمًا
 غَيْرَ مَقْشُورٍ : مِثْلًا بِمِثْلِ ، وَأَنَا وَأَقِفُ فِي السُّوقِ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ :
 لِأَمْرٍ مَا نَاعَتْ هَذِهِ الْمَرَاةُ سَمِيمًا مَقْشُورًا بغير مَقْشُورٍ . وَكَذَلِكَ

نَفَرًا أَوْ سَبْعَةً ، فَأَنَا غَادِيَةٌ عَلَى اضْطِنَاعِ الطَّعَامِ ؛ فَادْعُ مِنْ أَحْبَبْتَ .
 وَأَخَذَتِ الْمَرَاةُ حِينَ أَصْبَحَتْ سَمِيمًا فَقَشَرَتْهُ ، وَبَسَطَتْهُ فِي الشَّمْسِ
 لِيَجْفَى ؛ وَقَالَتْ لِغُلَامٍ لَهُمْ : أَطْرُدْ عَنْهُ الطَّيْرَ وَالْكَلابَ ؛
 وَتَفَرَّغَتْ الْمَرَاةُ لِصُنْعِهَا ؛ وَتَغَافَلَ الْغُلَامُ عَنِ السَّمِيمِ ؛ فَجَاءَ
 كَلْبٌ ، فَعَاثَ فِيهِ ؛ فَاسْتَقْدَرَتْهُ الْمَرَاةُ ، وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ
 طَعَامًا مَا ؛ فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى السُّوقِ ، فَأَخَذَتْ بِهِ مُقَابِضَةً سَمِيمًا
 غَيْرَ مَقْشُورٍ : مِثْلًا بِمِثْلِ ، وَأَنَا وَأَقِفُ فِي السُّوقِ ؛ فَقَالَ رَجُلٌ :
 لِأَمْرٍ مَا نَاعَتْ هَذِهِ الْمَرَاةُ سَمِيمًا مَقْشُورًا بغير مَقْشُورٍ . وَكَذَلِكَ

الضَّيْفُ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا وَقَالَ لِلنَّاسِكِ : مَا كَانَ
هَذَا الْجُرْدُ يَقْوَى عَلَى الوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثْبُ إِلَّا بِهَذِهِ
الدَّنَانِيرِ : فَإِنَّ الْمَالَ جَعَلَ لَهُ قُوَّةً وَزِيَادَةً فِي الرَّأْيِ وَالتَّمَكُّنِ .
وَسَتَرِي بَعْدَ هَذَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثْبُ .
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ اجْتَمَعَ الْجِرْدَانُ الَّتِي كَانَتْ مَعِيَ فَقَالَتْ :
قَدْ أَصَابَنَا الجُوعُ ، وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا . فَانْطَلَقْتُ وَمَعِيَ الْجِرْدَانُ إِلَى
المَكَانِ الَّذِي كُنْتُ أَثْبُ مِنْهُ إِلَى السَّلَّةِ ، فَحَاوَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا :
فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ . فَاسْتَبَانَ لِلْجِرْدَانِ نَقْصُ حَالِي ؛ فَسَمِعْتُهُنَّ يَقْلُنَ :
أَنْصِرْفَنَ عَنْهُ ، وَلَا تَطْمَعْنَ فِيمَا عِنْدَهُ : فَإِنَّا نَرَى لَهُ حَالًا
لَا نَحْسِبُهُ إِلَّا قَدْ احتَاجَ مَعَهَا إِلَى مَنْ يَعُولُهُ . فَتَرَكْنِي ، وَالحِقْنَ
بِأَعْدَائِي وَجَفَوْنِي ، وَأَخَذْنَ فِي غَيْبَتِي عِنْدَ مَنْ يُعَادِينِي وَيَحْسُدُنِي .
فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا الإِخْوَانُ وَلَا الأَعْوَانُ وَلَا الأَصْدِقَاءُ إِلَّا
بِالمَالِ وَوَجَدْتُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ ، إِذَا أَرَادَ أَمْرًا ، قَعَدَ بِهِ العَدَمُ
عَمَّا يُرِيدُهُ : كَالْمَاءِ الَّذِي يَبْقَى فِي الأَوْدِيَةِ مِنْ مَطَرِ الشَّتَاءِ :
لَا يَمُرُّ إِلَى نَهْرٍ وَلَا يَجْرِي إِلَى مَكَانٍ ، فَتَشْرَبُهُ أَرْضُهُ . وَوَجَدْتُ

مَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ لَا أَهْلَ لَهُ ، وَمَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا ذِكْرَ لَهُ ، وَمَنْ لَا
 مَالَ لَهُ لَا عَقْلَ لَهُ ، وَلَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ لَهُ : لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا افْتَقَرَ
 قَطَعَهُ أَقَارِبُهُ وَإِخْوَانُهُ : فَإِنَّ الشَّجَرَةَ النَّابِتَةَ فِي السِّبَاخِ ، الْمَأْكُولَةَ
 مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، كَحَالِ الْفَقِيرِ الْمُحْتَاجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ .
 وَوَجَدْتُ الْفَقْرَ رَأْسَ كُلِّ بَلَاءٍ ، وَجَالِبًا ^{لِيَسْتَحْلِقَهُ} إِلَى صَاحِبِهِ كُلِّ مَقْتٍ ،
 كَمَا أَنَّ الْكَلْبَ ^{يَسْتَحْلِقُهُ} إِذَا لَقِيَ الْبَشَرَ . كَمَا أَنَّ

فَجَعَا النَّاسُكَ نَصْبَهُ فَوْقَ نَحْوِ نَظْمَةٍ عِنْدَ رَأْسِهِ لَمَّا حَزَّ اللَّيْلُ ،

فَطَمِعْتُ أَنْ أُصِيبَ مِنْهَا شَيْئًا فَأَرَدَهُ إِلَى جُحْرِي ، وَرَجَوْتُ أَنْ
 يَزِيدَ ذَلِكَ فِي قُوَّتِي ، وَيُرَاجِعَنِي بِسَبَبِهِ بَعْضُ أَصْدِقَائِي . فَأَنْطَلَقْتُ
 إِلَى النَّاسُكَ وَهُوَ نَائِمٌ ، حَتَّى انْتَهَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَوَجَدْتُ
 الضَّيْفَ يَقْظَانِ ، وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ ^{التراب} ، فَضَرَبَنِي عَلَى رَأْسِي ضَرْبَةً
 مُوجِعَةً ، فَسَعَيْتُ إِلَى جُحْرِي . فَلَمَّا سَكَنَ عَنِّي الْأَلَمُ ، دَعَجَنِي
 الْحِرْصُ وَالشَّرُّ ، فَخَرَجْتُ طَمَعًا كَطَمَعِي الْأَوَّلِ ، وَإِذَا الضَّيْفُ
 يَرْصُدُنِي ، فَضَرَبَنِي ضَرْبَةً أَسْبَلَتْ مِنِّي الدَّمَ ، فَتَقَلَّبْتُ ظَهْرًا
 لِبَطْنٍ إِلَى جُحْرِي ، فَخَرَرْتُ مَغْشِيًا عَلَيَّ ، فَأَصَابَنِي مِنَ الْوَجَعِ
 مَا بَغَّضَ إِلَى الْمَالِ ، حَتَّى لَا أَسْمَعَ بِذِكْرِهِ إِلَّا تَدَاخَلَنِي مِنْ ذِكْرِ
 الْمَالِ رِعْدَةٌ وَهَيْبَةٌ . ثُمَّ تَذَكَّرْتُ فَوَجَدْتُ الْبَلَاءَ فِي الدُّنْيَا إِثْمًا
 يُسَوِّقُهُ الْحِرْصُ وَالشَّرُّ ، وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ الدُّنْيَا فِي بَلِيَّةٍ وَتَعَبٍ

شَيْئًا ، فَصَارَ أَمْرِي إِلَى أَنْ رَضِيتُ وَقِنَعْتُ ، وَانْتَقَلْتُ مِنْ
بَيْتِ النَّاسِكِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ ، وَكَانَ لِي صَدِيقٌ مِنَ الْحَمَامِ ، فَسِيقَتْ
إِلَى بِصَدَاقَتِهِ صَدَاقَةٌ . ثُمَّ ذَكَرَ لِي الْغُرَابُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ
الْمُودَّةِ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُرِيدُ إِتْيَانَكَ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ آتِيكَ مَعَهُ ،
فَكَرِهْتُ الْوَحْدَةَ ، فَإِنَّهُ لَأَشْيَاءٌ مِنْ سُورِ الدُّنْيَا يَعْدِلُ صُحْبَةَ
الْإِخْوَانِ ، وَلَا غَمَّ فِيهَا يَعْدِلُ الْبُعْدَ عَنْهُمْ . وَجَرَّبْتُ : فَعَلِمْتُ
أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَلْتَمَسَ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ الْكَفَافِ الَّذِي
يُدْفَعُ بِهِ الْأَذَى عَنِ نَفْسِهِ : وَهُوَ الْيَسِيرُ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ ،
إِذَا اشْتَرَى عَا صِحَّةَ الدِّينِ وَرَفَاهَةَ النَّالِ . وَلَوْ أَنَّ رَحَلًا وَهَمَّتْ لَهُ

الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا ، لَمْ يَكُ يَنْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْقَلِيلِ الَّذِي
يُدْفَعُ بِهِ عَنِ نَفْسِهِ الْحَاجَةَ : فَأَقْبَلْتُ مَعَ الْغُرَابِ إِلَيْكَ عَلَى هَذَا
الرَّأْيِ ، وَأَنَا لَكَ أَخٌ ، فَلْتَكُنْ مَنَزِلَتِي عِنْدَكَ كَذَلِكَ .

فَلَمَّا فَرَّغَ الْجُرْدُ مِنْ كَلَامِهِ أَجَابَتْهُ السُّلْحَفَاءُ بِكَلَامٍ رَقِيقٍ
عَذِيبٍ ، وَقَالَتْ : قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا تَحَدَّثْتَ بِهِ !

حُسْنَ الْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَأَنَّ الْمَرِيضَ الَّذِي قَدْ
 عَلِمَ دَوَاءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوِ بِهِ ، لَمْ يَغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئًا ، وَلَمْ يَجِدْ
 لِدَائِهِ رَاحَةً وَلَا خِفَّةً . فَاسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ ، وَلَا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ الْمَالِ :
 فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ : كَالْأَسَدِ الَّذِي
 يَهَابُ ، وَإِنْ كَانَ رَاضِيًا ، وَالغَنِيِّ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يَهَانُ ،
 وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ : كَالْكَلْبِ لَا يُحْفَلُ بِهِ ، وَإِنْ طَوَّقَ
 وَخُلِخِلَ بِالذَّهَبِ ^(١) . فَلَا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ : فَإِنَّ الْعَاقِلَ
 لَا غُرْبَةَ لَهُ : كَالْأَسَدِ الَّذِي لَا يَنْقَابُ إِلَّا وَمَعَهُ قُوَّتُهُ . فَلْتُحْسِنِ
 لِعَاهِدِكَ لِنَنْسِيكَ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ جَاءَكَ الْخَيْرُ يَطَابُكَ
 كَمَا يَطَابُ الْمَاءُ انْحِدَارُهُ . وَإِنَّمَا جَعَلَ الْفَضْلُ لِلْحَازِمِ الْبَصِيرِ
 بِالْأُمُورِ ، وَمَا الْكَسْلَانُ الْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ الْفَضْلَ لَا يَصْحَبُهُ . وَقَدْ
 قِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءٌ : ظِلُّ الْغَمَامَةِ فِي الصَّيْفِ ،
 وَخَلَّةُ الْأَشْرَارِ ، وَالْبِنَاءُ عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ :

(١) يمكن أن يكون ما حوذا من المحلل وهو موضع الخللحال و. لا فان كلمة خلخل لم ترد
 صريحا إلا في معنى خلخل العظم أخذ ما عليه من اللحم والخلخل مشتق فهو يشعر بأن له فعلا وإن لم
 تذكره المعاجم لأنها لا تعرض للقياس أو هو مما أميت من الكلم .

فَالْعَاقِلُ لَا يَحْزَنُ لِقَلَّتِهِ ، وَإِنَّمَا مَالُ الْعَاقِلِ عَقْلُهُ ، وَمَا قَدِمَ
 مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، فَهُوَ وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَا يَسْلُبُ مَا عَمِلَ ، وَلَا يُؤَاخِذُ
 بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ ، وَهُوَ خَلِيقٌ إِلَّا يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ : فَإِنَّ
 الْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا بَغْتَةً ، لَيْسَ لَهُ وَقْتُ مَعِينٍ . وَأَنْتَ عَنْ
 مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعِلْمِ . وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْضِيَ
 مَالَكَ مِنْ حَقِّ قَبْلِنَا : لِأَنَّكَ أَخُونَا ، وَمَا عِنْدَنَا مِنَ النَّصِيحِ
 مَبْدُولٌ لَكَ .

وَمَلَاظِفَتَهَا إِنَاهُ فَحَرَّ بَذَلِكَ ، وَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتَنِي ، وَأَنْعَمْتَ

فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ فِي كَلَامِهِ ، إِذْ أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبْيٌ يَسْعَى ،
 فَذَعِرَتْ مِنْهُ السَّلْحَفَاءُ ، فَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ ، وَنَحَرَ الْجُرْدُ
 إِلَى بُحْرِهِ ، وَطَارَ الْغُرَابُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ . ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ حَلَقَ
 فِي السَّمَاءِ لِيَنْظُرَ هَلْ لِلظَّبْيِ طَالِبٌ ؟ فَظَنَّ فَلَمْ يَرْ شَيْئًا ، فَنادَى
 الْجُرْدَ وَالسَّلْحَفَاءَ ، وَنَحَرَ جَا ، فَقَالَتِ السَّلْحَفَاءُ لِلظَّبْيِ ، حِينَ
 رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ : أَشْرَبَ إِنْ كَانَ بِكَ عَطَشٌ ، وَلَا تَخَفْ :
 فَإِنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ . فَدَنَا الظَّبْيُ ، فَرَحِبَتْ بِهِ السَّلْحَفَاءُ
 وَحَيْثَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أُسْنَعُ^(١)
 هَذِهِ الصَّحَارَى ، فَلَمَّا تَزَلْتُ الْأَسْأَدَةَ تَطُدُّدًا^(٢) مِنْ مَكَانٍ إِلَى

مَكَانٍ . حَتَّى رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَبَعًا . نَخِيفْتُ أَنْ يَكُونَ قَانِصًا .
 قَالَتْ : لَا تَخَفْ : فَإِنَّا لَمْ نَرْ هَاهُنَا قَانِصًا قَطُّ ، وَنَحْنُ نَبْدُلُ
 لَكَ وَدَنَا وَمَكَانَنَا ، وَالْمَاءُ وَالْمَرْعَى كَثِيرَانِ عِنْدَنَا : فَارْغَبْ
 فِي صُحْبَتِنَا . فَأَقَامَ الظَّبْيُ مَعَهُمْ ، وَكَانَ لَهُمْ عَرِيسٌ^(٣) يَجْتَمِعُونَ

(١) اسنح من الصيد : مامر من الميامر الى الميامر . والبارح صده ، والمراد هنا مطلق الرتوع .

(٢) تطد : تطرد .

فِيهِ ، وَيَتَذَكَّرُونَ الْأَحَادِيثَ وَالْأَخْبَارَ . فَبَيْنَمَا الْغُرَابُ وَالْجُرْدُ
وَالسَّلْحَفَةُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْعَرِيشِ ، غَابَ الظَّيُّ ، فَتَوَقَّعُوهُ سَاعَةً ،
فَلَمْ يَأْتِ . فَلَمَّا أَبْطَأَ أَشْفَقُوا ^(١) أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ عَنَتٌ ^(٢) ،
فَقَالَ الْجُرْدُ وَالسَّلْحَفَةُ لِلْغُرَابِ : أَنْظِرْ هَلْ تَرَى مِمَّا يَلِينَا شَيْئًا ؟
فَخَلَّقَ الْغُرَابُ فِي السَّمَاءِ فَنَظَرَ : فَإِذَا الظَّيُّ فِي الْحَبَائِلِ مُقْتَنَصًا ،
فَانْقَضَ مُسْرِعًا ، فَأَخْبَرَهُمَا بِذَلِكَ ، فَقَالَتِ السَّلْحَفَةُ وَالْغُرَابُ
لِلْجُرْدِ : هَذَا أَمْرٌ لَا يُرْجَى فِيهِ غَيْرُكَ ، فَأَغِثْ أَخَاكَ . فَسَعَى
الْجُرْدُ مُسْرِعًا ، فَأَتَى الظَّيُّ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ وَقَعْتَ فِي هَذِهِ
الْوَرِطَةِ وَأَنْتَ مِنَ الْأَنْكِيَاسِ ^(٣) ؟ قَالَ الظَّيُّ : هَلْ يُعْنِي الْكَيْسُ
مَعَ الْمَقَادِيرِ شَيْئًا ، فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَدِيثِ إِذْ وَافَتْهُمَا السَّلْحَفَةُ ،
فَقَالَ لَهَا الظَّيُّ . مَا أَصَبْتَ بِمَجِيئِكَ إِلَيْنَا : فَإِنَّ الْقَانِصَ لَوْ
انْتَهَى إِلَيْنَا وَقَدْ قَطَعَ الْجُرْدُ الْحَبَائِلَ اسْتَبَقْتَهُ عَدُوًّا ، وَالْجُرْدُ
أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَالْغُرَابُ بَطْرٌ ، وَأَنْتَ ثَقِيلَةٌ : لَا سَعْمَ لَكَ

فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ ، وَإِذَا فَارَقَ الْأَلِيفُ الْأَيْفَهُ فَقَدْ سَلِبَ فُوَادَهُ ،
 وَحَرِمَ سُرُورَهُ ، وَغَشِيَ بَصْرَهُ . فَلَمْ يَنْتَهِ كَلَامُهَا حَتَّى وَافَى
 الْقَانِصَ ، وَوَأَفَقَ ذَلِكَ فَاغَا الْحُرْدُ : قَطَعَ الشَّمَكُ ، فَنَحَا

الظَّبْيُ بِنَفْسِهِ ، وَطَارَ الْغُرَابُ مُحَلِّقًا ، وَدَخَلَ الْجُرْدُ بَعْضَ
 الْأَجْحَارِ ، وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ السَّلْحَفَاةِ ؛ وَدَنَا الصَّيَّادُ فَوَجَدَ حِبَالَتَهُ
 مُقَطَّعَةً ، فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ السَّلْحَفَاةِ تَدِبُّ ، فَأَخَذَهَا
 وَرَبَطَهَا ، فَلَمْ يَلْبَثِ الْغُرَابُ وَالْجُرْدُ وَالظَّبْيُ أَنْ اجْتَمَعُوا فَنَظَرُوا
 الْقَانِصَ قَدْ رَبَطَ السَّلْحَفَاةَ ، فَاشْتَدَّ حُزْنُهُمْ ، وَقَالَ الْجُرْدُ :
 مَا أَرَانَا مُجَاوِزُ عَقَبَةٍ مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا فِي أَشَدِّ مِنْهَا . وَلَقَدْ
 صَدَقَ الَّذِي قَالَ : لَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ مُسْتَمِرًّا فِي إِقْبَالِهِ مَا لَمْ يَغْتُرْ ؛
 فَإِذَا عَثَرَ بِجَبْهِ بِه الْعِثَارُ ، وَإِنْ مَشَى فِي جَدِّ الْأَرْضِ (٢) . وَحَدَرِي
 عَلَى السَّلْحَفَاةِ خَيْرِ الْأَصْدِقَاءِ الَّتِي خَلَّتْهَا لَيْسَتْ لِلْمُجَازَاةِ وَلَا
 لِالْتِمَاسِ مُكَافَاةٍ ، وَلَكِنَّهَا خُلَّةُ الْكَرِيمِ وَالشَّرِيفِ ، خُلَّةٌ هِيَ

وَيَضَعُ السَّلْحَفَاةَ ، وَيَقْصِدُكَ طَامِعًا فِيكَ ، رَاجِيًا تَحْصِيلَكَ .
فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَفَرَّ عَنْهُ رُويدًا : بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ مِنْكَ ،
وَمَكَانَهُ مِنْ أَخْذِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، حَتَّى يَبْعُدَ عَنَّا ، وَأَخُ مِنْهُ
هَذَا النَّحْوُ مَا اسْتَطَعْتَ : فَإِنِّي أَرْجُو أَلَّا يَنْصَرِفَ إِلَّا وَقَدْ
قَطَعْتُ الحَبَائِلَ عَنِ السَّلْحَفَاةِ ، وَأَنْجُو بِهَا . فَفَعَلَ الغُرَابُ
وَالظَّبْيُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ الجُرْدُ ، وَتَبِعَهُمَا القَانِصُ ، فَاسْتَجَرَهُ الظَّبْيُ ،
حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ الجُرْدِ وَالسَّلْحَفَاةِ ، وَالجُرْدُ مُقْبِلٌ عَلَى قَطْعِ
الحَبَائِلِ ، حَتَّى قَطَعَهَا ، وَنَجَا بِالسَّلْحَفَاةِ ، وَعَادَ القَانِصُ
مَجْهُودًا لَأَغْبًا ^(١) فَوَجَدَ حِبَالَتَهُ مُقَطَّعَةً . فَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ مَعَ الظَّبْيِ
الْمُتَّظَالِعِ ^(٢) ، فَظَنَّ أَنَّهُ خُوِلِطٌ فِي عَقْلِهِ ، وَفَكَّرَ فِي أَمْرِ الظَّبْيِ
وَالغُرَابِ الَّذِي كَانَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ ، وَقَرِضَ حِبَالَتِهِ ، فَاسْتَوْحَشَ
مِنَ الأَرْضِ وَقَالَ : هَذِهِ أَرْضُ جِنِّ أَوْ سَحْرَةٍ . فَرَجَعَ مُوَلِيًّا
لَا يَلْتَمِسُ شَيْئًا ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ . وَاجْتَمَعَ الغُرَابُ وَالظَّبْيُ
وَالجُرْدُ وَالسَّلْحَفَاةُ إِلَى عَرِيشِهِمْ سَا لِمِينَ آمِنِينَ كَأَحْسَنِ
مَا كَانُوا عَلَيْهِ .

(٢) المتظالم بالظلم وهو مشى شديدا بالمرج .

(١) نجا .

وَكَانَ عِنْدَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَهْفٌ فِيهِ أَلْفُ بَوْمَةٍ ، وَعَلَيْهِنَّ وَالِ
 مِنْهُنَّ . فَخَرَجَ مَلِكُ الْبُومِ لِبَعْضِ غُدُوَاتِهِ وَرَوْحَاتِهِ ؛ وَفِي نَفْسِهِ
 الْعَدَاوَةُ لِلْمَلِكِ الْغَرِبَانِ ؛ وَفِي نَفْسِ الْغَرِبَانِ وَمَلِكِهَا مِثْلُ ذَلِكَ
 لِلْبُومِ ؛ فَأَغَارَ مَلِكُ الْبُومِ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى الْغَرِبَانِ فِي أَوْكَارِهَا ،
 فَقَتَلَ وَسَبَى مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا ، وَكَانَتْ الْغَارَةُ لَيْلًا ؛ فَلَمَّا
 أَصْبَحَتِ الْغَرِبَانُ اجْتَمَعَتْ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ
 أَنَّ مَلِكَنَا قَتَلَ مِنْ بَنَاتِنَا أَلْفًا ، وَأَمَّا الْغَرِبَانُ فَهِنَّ قَتَلْنَ مِنْ بَنَاتِنَا

أَوْ جَرِيحًا أَوْ مَكْسُورَ الْجَنَاحِ أَوْ مَمْتُوفَ الرِّيشِ أَوْ مَقْطُوفَ الذَّنْبِ
 وَأَشَدُّ مِمَّا أَصَابَنَا ضَرًّا عَلَيْنَا جَرَاءَتُهُنَّ عَلَيْنَا ، وَعَلَيْهِنَّ بِمَكَانِنَا ،
 وَهُنَّ عَائِدَاتٌ إِلَيْنَا غَيْرُ مُنْقَطِعَاتٍ عَنَّا : لِعَلَّيْهِنَّ بِمَكَانِنَا : فَلَمَّا
 نَحْنُ لَكَ ، وَلَكَ الرَّأْيُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَانظُرْنَا وَلِنَفْسِكَ .
 وَكَانَ فِي الْغَرِبَانِ نَحْسَةٌ مُعْتَرِفٌ لهنَّ بِحُسْنِ الرَّأْيِ ، يُسْنَدُ إِلَيْهِنَّ

فَقَالَ الْمَلِكُ لِلأَوَّلِ مِنَ الْخَمْسَةِ : مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا الأَمْرِ ؟
 قَالَ : رَأْيِي قَدْ سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ
 لِلْعُدُوِّ الْحَنِقِ^(١) إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ . قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّانِي : مَا رَأَيْكَ

عَبْدُ الْحَنِقِ إِلَّا الْهَرَبُ مِنْهُ . قَالَ الْمَلِكُ لِلثَّانِي : مَا رَأَيْكَ

الطَّلَاثِعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا ، فَتَعْلَمُ أَيُّرِيدُ صَلَاحَنَا أَمْ يُرِيدُ حَرْبَنَا
 أَمْ يُرِيدُ الْفِدْيَةَ ؟ فَإِنْ رَأَيْنَا أَمْرَهُ أَمْرَ طَامِعٍ فِي مَالٍ ، لَمْ نَكْرَهُ
 الصُّلْحَ عَلَى نَحْرَاجٍ نُودِيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، نَدْفَعُ بِهِ عَنَّا أَنْفُسَنَا .

عَدُوِّهِمْ ، نَخَافُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِلَادِهِمْ ، أَنْ يَجْعَلُوا الْأَمْوَالَ
 جُنَّةَ الْبِلَادِ وَالْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلرَّابِعِ : فَمَا رَأَيْكَ
 فِي هَذَا الصُّلْحِ ؟ قَالَ لَا أَرَاهُ رَأِيًّا ، بَلْ أَنْ نُنْفَارِقَ أَوْطَانَنَا
 وَنَضْبِرَ عَلَى الْغُرْبَةِ وَشِدَّةِ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نُضِيعَ أَحْسَابَنَا
 وَنَخْضَعَ لِلْعَدُوِّ الَّذِي نَحْنُ أَشْرَفُ مِنْهُ ، مَعَ أَنَّ الْيَوْمَ لَوْ عَرَضْنَا
 ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَمَا رَضِينَ مِنَّا إِلَّا بِالشَّطِطِ . وَيُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ :

قَارِبِينَ عُلَمَاءَ بَعْضِ الْقَادِرَةِ : إِنِّي لَأَحْتَاجُكَ وَلَا تُقَادِرُهُ

أَمَلْتَهَا قَلِيلًا زَادَ ظِلُّهَا ، وَإِذَا جَاوَزْتَ بِهَا الْحَدَّ فِي إِمَالَتِهَا نَقَصَ
الظِّلُّ . وَلَيْسَ عَدُوْنَا رَاضِيًا مِنَّا بِالذُّونِ فِي الْمُقَارَبَةِ . فَالرَّأْيُ
لَنَا وَلَكَ الْمُحَارَبَةُ .

قَالَ الْمَلِكُ لِلخَامِسِ : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا تَرَى : الْقِتَالَ
أَمْ الصُّلْحَ أَمْ الْجَلَاءَ عَنِ الْوَطَنِ ؟ قَالَ : أَمَّا الْقِتَالُ فَلَا سَبِيلَ
لِلْمَرْءِ إِلَى قِتَالٍ مِنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ ، وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّهُ مِنْ لَا يَعْرِفُ
نَفْسَهُ وَعَدُوَّهُ ، وَقَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ ، حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى
حَتْفِهَا ، مَعَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَسْتَصْغِرُ عَدُوًّا : فَإِنَّ مَنْ اسْتَصْغَرَ
عَدُوَّهُ اغْتَرَبَ بِهِ ، وَمَنْ اغْتَرَبَ بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ . وَأَنَا لِلْبُومِ شَدِيدُ
الهِيبَةِ ، وَإِنْ أَضْرَبَنَّ عَنْ قِتَالِنَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا قَبْلَ ذَلِكَ ،
فَإِنَّ الْحَازِمَ لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَإِنْ كَانَ بَعِيدًا
لَمْ يَأْمَنُ سَطْوَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ مُكْتَبًا^(١) لَمْ يَأْمَنُ وَثْبَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ وَحِيدًا
لَمْ يَأْمَنُ مَكْرَهُ . وَأَحْزَمُ الْأَقْوَامِ وَأَكْسَهُمْ مَنْ كَرِهَ الْقِتَالَ لِأَجْلِ
النَّفَقَةِ فِيهِ : فَإِنَّ مَا دُونَ الْقِتَالِ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْقَوْلِ

وَالْعَمَلِ ، وَالْقِتَالُ النَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ الْأَنْفُسِ وَالْأَبْدَانِ . فَلَا
يَكُونَنَّ الْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ
مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ ^(١) . فَإِذَا كَانَ الْمَلِكُ مُحْصَنًا
لِلْأَسْرَارِ ، مُتَخَيِّرًا لِلْوَزَرَاءِ ، مَهِيْبًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، بَعِيدًا مِنْ
أَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِ ، كَانَ خَلِيقًا إِلَّا يُسَلَّبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ مِنْ
الْخَيْرِ . وَأَنْتَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كَذَلِكَ . وَقَدْ اسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرِ
جَوَابِكَ مِنِّي عَنْهُ ، فِي بَعْضِهِ عَلَانِيَةً ، وَفِي بَعْضِهِ سِرًّا
وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ : مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّهْطُ ^(٢) ، وَمِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ
فِيهِ بِالْقَوْمِ ، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ الرَّجُلَانِ . وَلَسْتُ أَرَى لِهَذَا
السُّرْعَى قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُشَارَكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعُ آذَانٍ وَلِسَانٍ .
فَنَهَضَ الْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَخَلَا بِهِ ، فَاسْتَشَارَهُ ، فَكَانَ أَوَّلَ
مَا سَأَلَهُ عَنْهُ الْمَلِكُ أَنَّهُ قَالَ : هَلْ تَعْلَمُ ابْتِدَاءَ عَدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْبُومِ ؟ قَالَ : نَعَمْ : كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِهَا غُرَابٌ . قَالَ
الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

(١) عرضها للهلكة . (٢) قوم الرجل وقيلته .

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْكِرَاكِيِّ لَمْ يَكُنْ لَهَا
 مَلِكٌ ، فَأَجْمَعَتْ أَمْرَهَا عَلَى أَنْ يُمْلِكَنَّ عَلَيْهِنَّ مَلِكَ الْيَوْمِ ،
 فَبَيْنَمَا هِيَ فِي جَمْعِهَا إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ ، فَقَالَتْ : لَوْ جَاءَنَا
 هَذَا الْغُرَابُ لَأَسْتَشِرَّنَاهُ فِي أَمْرِنَا ، فَلَمْ يَلْبَثَنَّ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ
 الْغُرَابُ . فَاسْتَشِرَّنَهُ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ بَادَتْ مِنَ الْأَقَالِيمِ ،
 وَفُقِدَ الطَّاوُسُ وَالْبَطُّ وَالنَّعَامُ وَالْحَمَامُ مِنَ الْعَالَمِ لَمَا اضْطُرِرْتُنَّ
 إِلَى أَنْ تُمْلِكَنَّ عَلَيْكِنَّ الْيَوْمَ الَّتِي هِيَ أَقْبَحُ الطَّيْرِ مَنظَرًا ،
 وَأَسْوَأُهَا خُلُقًا ، وَأَقْلَهَا عَقْلًا ، وَأَشَدَّهَا غَضَبًا ، وَأَبْعَدَهَا مِنْ
 كُلِّ رَحْمَةٍ ، مَعَ عَمَاهَا وَمَا بِيهَا مِنَ الْعِشَاءِ بِالنَّهَارِ ؛ وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ
 وَأَقْبَحُ أُمُورِهَا سَفْهَهَا وَسُوءُ أَخْلَاقِهَا ، إِلَّا أَنْ تَرِينَ أَنَّ تُمْلِكَنَّهَا
 مَتَى أَنْتِ تَشِئِينَ مِنَ الْأُمْرِ دُونَ مَا لَكَ مِنْ عَقْمِكَ ، كَمَا فَعَلْتَ

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الْفَيْلَةِ تَتَابَعَتْ عَلَيْهَا
السُّنُونُ ، وَأَجْدَبَتْ ، وَقَلَّ مَآوُهَا ، وَغَارَتْ عَيْونُهَا ، وَذَوَى
نَبْتُهَا ، وَيَبِسَ شَجَرُهَا ، فَأَصَابَ الْفَيْلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ : فَشَكُونُ
ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِمْ ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُؤَادَهُ فِي طَلَبِ
الْمَاءِ ، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّسُلِ ، فَأَخْبَرَهُ
إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِمَكَانٍ كَذَا عَيْنًا يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْقَمَرِ ، كَثِيرَةٌ
الْمَاءِ ، وَتُجَدُّ بِهَا الْعَيْنُ ، وَأَصَابَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْمَاءَ ، فَشَكَرَ

هُوَ وَفَيْلَتُهُ . وَكَانَتْ الْعَيْنُ فِي أَرْضِ الْأَرَابِ ، فَوَطِنَ
الْأَرَابِ فِي أَجْحَارِهِمْ ، فَأَهْلَكَنَّ مِنْهُمْ كَثِيرًا . فَاجْتَمَعَتْ
الْأَرَابُ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْفَيْلَةِ
فَقَالَ : لِيُحْضِرْ مِنْكُمْ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ . فَتَقَدَّمَتْ أَرَابٌ

مِنَ الْأَرَابِ ، فَقَالَتْ لَهَا : فَتَقَدَّمْتُ ، وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْرِفُهَا بِحُسْنِ

الْفَيْلَةَ ، وَبَلَغَى عَنِّي مَا تُرِيدِينَ . وَاعْلَمِي ، أَنَّ الرَّسُولَ بَرَّاهُ

وَعَقْلِهِ ، وَلَيْبِنِهِ وَفَضْلِهِ ، يُخْبِرُ عَن عَقْلِ الْمُرْسَلِ . فَعَلَيْكَ بِاللَّيْنِ
وَالرَّفِقِ ، وَالْحِلْمِ وَالتَّائِي : فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُلِينُ الصُّدُورَ
إِذَا رَفِقَ ، وَيُخَشِّنُ الصُّدُورَ إِذَا نَحِرُقَ ^(١) . ثُمَّ إِنَّ الْأَرْبَابَ
انْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةِ قَمَرَاءَ ، حَتَّى اتَّهَتْ إِلَى الْفَيْلَةِ ، وَكَرِهَتْ أَنْ
تَدْنُو مِنْهُنَّ : مَخَافَةَ أَنْ يَطَّأَنَّهَا بِأَرْجُلِهِنَّ ، فَيَقْتُلْنَهَا ، وَإِنْ كُنَّ
غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ . ثُمَّ أَشْرَفَتْ عَلَى الْجَبَلِ ، وَنَادَتْ مَلِكَ الْفَيْلَةِ ،
وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ ، وَالرَّسُولَ غَيْرَ مَلُومٍ فِيمَا
يُبَلِّغُ ، وَإِنْ أَعْظَمَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْفَيْلَةِ : فَمَا الرِّسَالَةُ ؟
قَالَتْ : يَقُولُ لَكَ : إِنَّ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى الضُّعْفَاءِ ،
فَأَغْتَتَّ بِذَلِكَ ، فَشَاءَ الْأَقْبَاءَ ، قَرَسِيَهُمْ عَلَى الضُّعْفَاءِ ، كَانَتْ

قُوَّتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوَابِّ ،

فَنَزَّاهُ بِاللَّيْنِ وَالرَّفِقِ ، وَتَوَضَّعْتُ لِلرَّسُولِ بِالتَّائِي .

ذَلِكَ . وَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَغْشَ بَصْرَكَ ، وَأَتْلَفَ نَفْسَكَ .
وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي ، فَهَلُمَّ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ :
فَلِئِي مُوَافِيكَ بِهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ الْفَيْلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْنَبِ ،
فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزِ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا ، رَأَى
ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا . فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ الرَّسُولِ : خُذْ خِرْطُومَكَ
مِنَ الْمَاءِ فَأَغْسِ بِهِ وَحَمَكَ ، وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَا الْفِئْلُ

خِرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ ، فَتَحَرَّكَ نَحْيِلَ الْفَيْلِ أَنَّ الْقَمَرَ آرْتَعَدَ .
فَقَالَ : مَا شَأْنُ الْقَمَرِ آرْتَعَدَ ؟ أَرَأَاهُ غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِ
الْخِرْطُومِ فِي الْمَاءِ ؟ قَالَتْ فَيْرُوزُ الْأَرْنَبِ : نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفَيْلُ
لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَتَابَ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ ، وَشَرَطَ لِأَلَّا يَعُودَ
إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ فَيْلَتِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : وَمَعَ
مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ الْيَوْمِ إِنْ فِيهَا الْخُبِّ وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ ، وَشَرُّ
الْمُلُوكِ الْمَخَادِعُ ، وَمَنْ ابْتُلِيَ بِسُلْطَانِ مُخَادِعٍ ، وَخَدَمَهُ ، أَصَابَهُ
مَا أَصَابَ الْأَرْنَبَ وَالصِّفْرِدَ حِينَ اخْتَكَمَا إِلَى السُّنُورِ . قَالَتْ
الْكِرَاكِيُّ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْغُرَابُ : كَانَ لِي جَارٌ مِنَ الصَّفَارِدَةِ ، فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَكْرِي ، وَكَانَ يُكْثِرُ مُوَاصَلَتِي ؛ ثُمَّ فَقَدْتُهُ ، فَلَمْ أَعْلَمْ أَيْنَ غَابَ ، وَطَلَّاتُ غَيْبَتُهُ عَنِّي . فَجَاءَتْ أَرْزُبٌ إِلَى مَكَانِ الصِّفْرِدِ . فَسَكَنَتْهُ ، فَكَرِهَتْ أَنْ أُخَاصِمَ الْأَرْزُبَ ، فَلَبِثْتُ فِيهِ زَمَانًا . ثُمَّ إِنَّ الصِّفْرِدَ عَادَ بَعْدَ زَمَانٍ ، فَأَتَى مَنْزِلَهُ ، فَوَجَدَ فِيهِ الْأَرْزُبَ . فَقَالَ لَهَا : هَذَا الْمَكَانُ لِي ، فَانْتَقِلِي عَنْهُ . قَالَتِ الْأَرْزُبُ : الْمَسْكَنُ لِي ، وَتَحْتَ يَدِي ؛ وَأَنْتَ مُدْعٍ لَهُ . فَإِنْ كَانَ لَكَ حَقٌّ فَاسْتَعِدِّي بِإثْبَاتِهِ عَلَيَّ . قَالَ الصِّفْرِدُ : الْقَاضِي مِنْهَا قَرِيبٌ : فَهَلُمَّ بِنَا إِلَيْهِ . قَالَتِ الْأَرْزُبُ : وَمِنْ الْقَاضِي ؟ قَالَ الصِّفْرِدُ : إِنَّ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ سَنُورًا مُتَعَبِدًا ، يَصُومُ النَّهَارَ ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَلَا يُؤْذِي دَابَّةً ، وَلَا يُهْرِيقُ دَمًا ، عَيْشُهُ مِنَ الْحَشِيشِ وَمِمَّا يَقْدِفُهُ إِلَيْهِ الْبَحْرُ . فَإِنْ أَحْبَبْتَ تَحَاكُمَنَا

إِلَيْهِ ، وَرَضِينَا بِهِ . قَالَتِ الْأَرْزُبُ : مَا أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْتَ ! فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ ، فَتَبِعْتُهُمَا لِأَنْظُرَ إِلَى حُكُومَةِ الصَّوَامِ الْقَوَامِ . ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا بَصُرَ السَّنُورَ بِالْأَرْزُبِ وَالصِّفْرِدِ

مُقْبِلِينَ نَحْوَهُ ، انْتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّي ، وَأَظْهَرَ الْخُشُوعَ
وَالْتَنَسَكَ . فَعَجِبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ ، وَدَنَوَا مِنْهُ هَائِبِينَ لَهُ ،
وَسَلَّمَا عَلَيْهِ ، وَسَأَلَاهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا . فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْضَا
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَفَعَلَا . فَقَالَ لَهُمَا : قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ ، وَثَقُلَتْ
أُذُنَايَ : فَادْنُوا مِنِّي ، فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولَانِ . فَدَنَوَا مِنْهُ ، وَأَعَادَا
عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، وَسَأَلَاهُ الْحُكْمَ . فَقَالَ قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتُمَا ، وَأَنَا
مُبْتَدِئُكُمْ بِالنَّصِيحَةِ قَبْلَ الْحُكُومَةِ بَيْنَكُمَا : فَإِنَّا أَمْرُكُمْ بِتَقْوَى
اللَّهِ وَأَلَّا تَطْلُبَا إِلَّا الْحَقَّ : فَإِنَّ طَالِبَ الْحَقِّ هُوَ الَّذِي يُفْلِحُ ،
وَإِن قُضِيَ عَلَيْهِ ، وَطَالِبَ الْبَاطِلِ مَخْضُومٌ ، وَإِن قُضِيَ لَهُ .
وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ ، لَا مَالٌ وَلَا صَدِيقٌ
سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ ، فَذُو الْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ
سَعِيَّهُ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا ، وَأَنْ يُمَقِّتَ
بِسَعْيِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا : فَإِنَّ مَنَزِلَةَ الْمَالِ عِنْدَ
الْعَاقِلِ بِمَنَزِلَةِ الْمَدْرِ ، وَمَنَزِلَةَ النَّاسِ عِنْدَهُ فِيمَا يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ
وَيَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ بِمَنَزِلَةِ نَفْسِهِ . ثُمَّ إِنَّ السُّنُورَ لَمْ يَزَلْ يَقْضِ

(١) واحده مدرة وهو قطع العين اليابس والحجارة .

عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ ، حَتَّى أُنْسَا إِلَيْهِ ، وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ ،
وَدَنُوا مِنْهُ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا .

قَالَ الْغُرَابُ : ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ تَجَمَّعَ - مَعَ مَا وَصَفْتُ لَكُنَّ
مِنَ الشُّومِ - سَائِرَ الْعُيُوبِ : فَلَا يَكُونَنَّ تَمْلِيكَ الْبُومِ مِنْ
رَأْيِكُنَّ . فَلَمَّا سَمِعَ الْكِرَاكِي ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْغُرَابِ أَضْرَبَنَّ
عَنْ تَمْلِيكَ الْبُومِ . وَكَانَ هُنَاكَ بَوْمٌ حَاضِرٌ قَدْ سَمِعَ مَا قَالُوا ،
فَقَالَ لِلْغُرَابِ : لَقَدْ وَتَرْتَنِي أَعْظَمَ التَّرَةِ ، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي
إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْجَبَ هَذَا . وَبَعْدُ فَاَعْلَمُ أَنَّ الْفَأْسَ يُقَطِّعُ بِهِ الشَّجَرُ ،
فَيَعُودُ يَنْبِتُ ، وَالسَّيْفُ يَقَطِّعُ اللَّحْمَ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَنْدَمِلُ ، وَاللِّسَانَ
لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلَا تُؤَسِّي ^(٢) مَقَاطِعُهُ . وَالنَّضْلَ مِنَ السَّهْمِ
يَغِيبُ فِي اللَّحْمِ ، ثُمَّ يُنْزَعُ فَيُخْرِجُ ، وَأَشْبَاهَ النَّضْلِ مِنَ الْكَلَامِ
إِذَا صَلَتْ ، أَلَا الْقَلْبَ ، أَلَا تَتَنَعَّ ، أَلَا تُسْتَخْرَمُ ، أَلَا كَأَنَّ

مُطْفِئٌ : فَلِلنَّارِ الْمَاءُ ، وَلِلسَّمِّ الدَّوَاءُ ، وَلِلْحَزَنِ الصَّبْرُ ، وَنَارُ

النَّارِ كَالْمَاءِ ، وَالدَّوَاءُ كَالسَّمِّ ، وَالصَّبْرُ كَالْحَزَنِ ، وَالنَّارُ كَالسَّمِّ ،

فَلَمَّا قَضَى الْيَوْمَ مَقَالَتَهُ ، وَلى مُغْضَبًا ، فَأَخْبَرَ مَلِكَ الْيَوْمِ
 بِمَا جَرَى وَبِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ الْغُرَابِ ؛ ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ نَدِمَ
 عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ نَحَرْتُ فِي قَوْلِي الَّذِي
 جَلَبْتُ بِهِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ عَلَى نَفْسِي وَقَوْمِي ! وَلَيْتَنِي لَمْ أَخْبِرِ
 الْكِرَاكِيَّ بِهَذِهِ الْحَالِ ! وَلَا أَعْلَيْتُهَا بِهَذَا الْأَمْرِ ! وَلَعَلَّ أَكْثَرَ الطَّيْرِ
 قَدْ رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ ، وَعَلِمَ أَضْعَافَ مَا عَلِمْتُ ، فَمَنْعَهَا
 مِنَ الْكَلَامِ ، فَمَا تَكَلَّمَ شَيْئًا ، مَا لَمْ يَأْتَهُ ، وَالنَّظْمُ فَمَلَّ

وإن أعجب الناس منه حسن صفتيه للأموار ، لم يحمد عاقبة أمره .

وإن أعجب الناس منه حسن صفتيه للأموار ، لم يحمد عاقبة أمره .

وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمودة . اليس من

سفه أخواتي على التكلم في الأمر الحسن لا استنسه في

قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا اشْتَرَى عَرِيضًا ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ
 قُرْبَانًا ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ . فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ الْمَكْرَةِ ، فَأَتَمَرُوا
 بِذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنَ النَّاسِكِ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ لَهُ :

أَيُّهَا النَّاسِكُ ، مَا هَذَا الْكَلْبُ الَّذِي مَعَكَ ؟ ثُمَّ عَرَضَ لَهُ الْآخَرُ
 فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هَذَا نَاسِكٌ ، لِأَنَّ النَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا .
 فَلَمْ يَزَالُوا مَعَ النَّاسِكِ عَلَى هَذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يُشَكَّ أَنَّ الَّذِي
 يَقُودُهُ كَلْبٌ ، وَأَنَّ الَّذِي بَاعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنَهُ ، فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ ،
 فَأَخَذَهُ الْجَمَاعَةُ الْمُحْتَاطُونَ وَمَضَوْا بِهِ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا
 الْمَثَلَ لِمَا أَرْجُو أَنْ نُصِيبَ مِنْ حَاجَتِنَا بِالرَّفِيقِ وَالْحِيَلَةِ . وَإِذِي
 أُرِيدُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَيَنْتِفِ رِيشِي
 وَذَنَبِي ، ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَيَرْتَحِلَ الْمَلِكُ هُوَ
 وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانٍ كَذَا . فَأَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ وَأَطَّلِعُ عَلَى أَسْوَأِ أَسْوَأِهِمْ
 وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ ، فَأَخَادِعُهُمْ وَأَتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجِكُمْ .

قَالَ الْمَلِكُ : أَتَطِيبُ نَفْسَكَ لِذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَكَيْفَ
لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذَلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ الرَّاحَاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ ؟
فَفَعَلَ الْمَلِكُ بِالْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ . بِجَعَلِ الْغُرَابُ
بَيْنَ وَيَمِينِ ، حَتَّى رَأَيْتَهُ السُّومَ وَسَمِعْتَهُ بَيْنَ ، فَأَخْبِرَنَّا مَلَكَهُنَّ

بذلك ، فقصده نحوه ليسأله عن الغريبان . فلما دنا منه امر بوما
أن يسأله فقال له : من أنت ؟ وأين الغريبان ؟ فقال : أما اسمي
ففلان ، وأما ما سألتني عنه فإني أحسبك ترى أن حالي حال
من لا يعلم الأسرار . فقيل للملك البوم : هذا وزير ملك الغريبان
وصاحب رايه ، فנסأله بأي ذنب صنع به ما صنع ؟ فسئل
الغراب عن أمره فقال : إن ملكنا استشار جماعتنا فيمكن
وكنت يومئذٍ بحضرة من الأمر ، فقال : أيها الغريبان ، ما ترون
في ذلك ؟ فقلت : أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم : لأنهن
أشد بطشاً ، وأحد قلباً منا . ولكن أرى أن نلتمس الصلح ،

هَرَبْنَا فِي الْبِلَادِ . وَإِذَا كَانَ الْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْيَوْمِ كَانَ
 خَيْرًا لَّهِنَّ وَشَرًّا لَنَا ، فَالْصَّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ الْخُصُومَةِ . وَأَمْرَتُهُنَّ

لَهُنَّ : إِنَّ الْعَدُوَّ الشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بِأَسُهُ وَغَضَبُهُ مِثْلُ الْخُضُوعِ لَهُ :
 الْأَتْرَيْنَ إِلَى الْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ الرِّيحِ لِلْيَنَةِ وَمِيلِهِ
 مَعَهَا حَيْثُ مَالَتْ . فَعَصَّيْنِي فِي ذَلِكَ ، وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يَرُدْنَ
 الْقِتَالَ وَاتَّهَمْنِي فِيمَا قُلْتُ ، وَقُلْنَ : إِنَّكَ قَدْ مَالَتْ الْيَوْمَ
 عَلَيْنَا ، وَرَدَدْنَ قَوْلِي وَنَصِيحَتِي ، وَعَدَّيْنِي بِهَذَا الْعَذَابِ ، وَتَرَكَنِي
 الْمَلِكُ وَجُنُودُهُ وَارْتَحَلَ . وَلَا عِلْمَ لِي بِهِنَّ بَعْدَ ذَلِكَ :
 فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ الْيَوْمِ مَقَالَةَ الْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وَزَرَانِهِ :

فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ . وَمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ الْحَسِيمَ ، فَأَمَكَّنَهُ ذَلِكَ فَأَغْفَلَهُ .
 فَاتَهُ الْأَمْرُ ؛ وَهُوَ خَلِيقٌ إِلَّا تَعُودَ لَهُ الْفُرْصَةُ ثَانِيَةً . وَمَنْ وَجَدَ
 عَدُوَّهُ ضَعِيفًا وَلَمْ يُجِزْ قَتْلَهُ ، نَدِمَ إِذَا اسْتَقْوَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ .
 قَالَ الْمَلِكُ لِرِوَيْزِيرٍ آخَرَ : مَا تَرَى أَنْتَ فِي هَذَا الْغُرَابِ ؟ قَالَ :
 أَرَى إِلَّا تَقْتُلَهُ : فَإِنَّ الْعَدُوَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنَّ
 يُسْتَبَقَى وَيُرْحَمُ وَيُضْفَحَ عَنْهُ ، لَا سِيَّامَا الْمُسْتَجِيرُ الْخَائِفُ :
 فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنَّ يَوْمًا .

قَالَ مَلِكُ الْيَوْمِ لِرِوَيْزِيرٍ آخَرَ مِنْ وَزَرَائِهِ : مَا تَقُولُ فِي الْغُرَابِ ؟
 قَالَ : أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ وَتُحْسِنَ إِلَيْهِ : فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ .
 وَالْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضًا ظَفَرًا حَسَنًا ؛ وَيَرَى
 اشْتِغَالَ بَعْضِ الْأَعْدَاءِ بِبَعْضِ خَلَاصًا لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ ، وَنَجَاةً
 كُنْجَاةَ النَّاسِكِ مِنَ اللَّصِّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ .
 قَالَ الْمَلِكُ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقْرَةً حَلُوبًا ،
 فَأَنْطَلَقَ بِهَا يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَعَرَّضَ لَهُ لِيَصُّ أَرَادَ سَرِقَتَهَا ،

وَاتَّبَعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ . فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلصُّ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا اللُّصُّ ، أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ هَذِهِ الْبَقْرَةَ مِنَ النَّاسِكِ إِذَا نَامَ . فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الشَّيْطَانُ أُرِيدُ اخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبُ بِهِ . فَأَنْتَهَيَا عَلَى هَذَا إِلَى الْمَنْزِلِ ، فَدَخَلَ النَّاسِكُ مَنْزِلَهُ ، وَدَخَلَ خَلْفَهُ ، وَأَدْخَلَ الْبَقْرَةَ فَرَبَطَهَا فِي زَاوِيَةِ الْمَنْزِلِ ، وَتَعَشَّى وَنَامَ . فَأَقْبَلَ اللُّصُّ وَالشَّيْطَانُ يَأْتَمِرَانِ فِيهِ ، وَاخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِشُغْلِهِ أَوَّلًا ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ لِلصُّ : إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِأَخْذِ الْبَقْرَةِ فَرُبَّمَا اسْتَيْقِظَ وَصَاحَ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ : فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ . فَأَنْظِرْنِي رَيْثَمَا أَخْذُهُ ، وَشَأْنُكَ وَمَا تُرِيدُ . فَأَشْفَقَ اللُّصُّ إِنْ بَدَأَ الشَّيْطَانُ بِاخْتِطَافِهِ فَرُبَّمَا اسْتَيْقِظَ ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَخْذِ الْبَقْرَةِ ، فَقَالَ : لَا ، بَلْ أَنْظِرْنِي أَنْتَ حَتَّى أَخْذَ الْبَقْرَةَ ، وَشَأْنُكَ وَمَا تُرِيدُ . فَلَمْ يَزَالَا فِي الْمُجَادَلَةِ هَكَذَا ، حَتَّى نَادَى اللُّصُّ : أَيُّهَا النَّاسِكُ انْتَبِهْ : فَهَذَا الشَّيْطَانُ يُرِيدُ اخْتِطَافَكَ ، وَنَادَى الشَّيْطَانُ : أَيُّهَا النَّاسِكُ انْتَبِهْ : فَهَذَا اللُّصُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ بِقَرَّتِكَ . فَانْتَبَهَ النَّاسِكُ وَجِيرَانُهُ بِأَصْوَاتِهِمَا ،

وَهَرَبَ الْحَبِيثَانِ . قَالَ الْوَزِيرُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ
 الْغُرَابِ : أَظُنُّ أَنَّ الْغُرَابَ قَدْ خَدَعَكُنَّ ، وَوَقَعَ كَلَامُهُ فِي نَفْسِ
 الْغَيْبِيِّ مِنْكُنَّ مَوْقِعَهُ ، فَتُرِدْنَ أَنْ تَضَعْنَ الرَّأْيَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .
 فَمَهْلًا مَهْلًا أَيُّهَا الْمَلِكُ عَنْ هَذَا الرَّأْيِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ الْمَلِكُ
 إِلَى قَوْلِهِ وَأَمَرَ بِالْغُرَابِ أَنْ يُجْمَلَ إِلَى مَنَازِلِ الْبُيُوتِ ، وَيُكْرَمَ
 وَيُسْتَرْضَى بِهِ خَيْرًا

ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ قَالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبُيُوتِ ،
 وَفِيهِنَّ الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى
 عَامًّا مِنَ الْخَنَازِيرِ ، مَا أَتَى لَهَا لَا تَسْتَعْمِلُهَا دُونَ أَخْذِهَا بِشَيْءٍ

مِنْهُنَّ ؛ وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي ذَلِكَ ، فَإِذَا بِي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا
 رُمْتُ : لِأَنِّي غُرَابٌ . وَقَدْ رَوَى عَنِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا :
 مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَحْرِقَهَا ، فَقَدْ قَرَّبَ لِلَّهِ أَكْثَرَ الْقُرْبَانَ .
 لَا يَدْعُو عِنْدَ ذَلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ ^(١) . فَإِنْ رَأَى الْمَلِكُ

أَشَدَّ عَدَاوَةً وَأَقْوَى بَأْسًا عَلَى الْغُرَبَانِ ، لَعَلِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ ! قَالَ
 الْوَزِيرُ الَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ : مَا أَشْبَهَكَ فِي خَيْرٍ مَا تُظْهَرُ وَشَرًّا مَا
 تُخْفِي إِلَّا بِالنَّخْمَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّعِيمِ وَالرِّيحِ الْمُنْقَعِ فِيهَا السَّمُّ . أَرَأَيْتَ
 لَوْ أَحْرَقْنَا جِسْمَكَ بِالنَّارِ كَانَ جَوْهَرُكَ وَطِبَاعُكَ مُتَغَيِّرَةً ! أَلَيْسَتْ
 أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُمَا دُرْتَ ، وَتَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَصْلِكَ
 وَطَوَيْتِكَ ؟ كَالْفَأْرَةِ الَّتِي خَيْرَتْ فِي الْأَزْوَاجِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالرِّيحِ
 وَالسَّحَابِ وَالْجَبَلِ فَلَمْ يَقَعْ اخْتِيَارُهَا إِلَّا عَلَى الْجُرُذِ . قِيلَ لَهُ :
 وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
 يَوْمٍ جَالِسٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَاةٌ فِي رِجْلِهَا
 دُرٌّ فَارَةٌ . فَفَقَعَتْ ، مِنْهَا عِنْدَ النَّاسِكِ ، وَادْرَكَتْهُ لَهَا حِمَّةٌ .

فَأَخَذَهَا وَلَفَّهَا فِي وَرْقَةٍ ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ خَافَ أَنْ
 تَسُقَّ عَلَى أَهْلِ تَرْبِيتِهَا ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا جَارِيَةً : فَتَحَوَّلَتْ
 جَارِيَةً حَسَنَاءً . فَانْطَلَقَ بِهَا إِلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ لَهَا : هَذِهِ ابْنَتِي ،

فَاصْنَعِي مَعَهَا صَنِيعَكَ بِوَلَدِي . فَلَمَّا كَبُرَتْ قَالَ لَهَا النَّاسِكُ :
يَا بِنِيَّةُ اخْتَارِي مَنْ أَحْبَبْتَ حَتَّى أَزُوجَكَ بِهِ . فَقَالَتْ ، أَمَا إِذَا
خَيْرْتَنِي فَإِنِّي أَخْتَارُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى الْأَشْيَاءِ . فَقَالَ النَّاسِكُ
لَعَلَّكَ تُرِيدِينَ الشَّمْسَ ! ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الشَّمْسِ فَقَالَ : أَيُّهَا
الْخَلْقُ الْعَظِيمُ ، لِي جَارِيَةٌ ، وَقَدْ طَلَبْتُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى
الْأَشْيَاءِ ، فَهَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجُهَا ؟ فَقَالَتِ الشَّمْسُ : أَنَا أَدُلُّكَ
عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي : السَّحَابُ الَّذِي يَغْطِينِي ، وَيُرْدَحُ
شُعَاعِي ، وَيَكْسِفُ أَشْعَةَ أَنْوَارِي . فَذَهَبَ النَّاسِكُ إِلَى السَّحَابِ
فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ لِلشَّمْسِ ، فَقَالَ السَّحَابُ : وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ
هُوَ أَقْوَى مِنِّي : فَاذْهَبْ إِلَى الرِّيحِ الَّتِي تُقْبِلُ بِي وَتُدْبِرُ ، وَتَذْهَبُ
بِي شَرْقًا وَغَرْبًا . فَجَاءَ النَّاسِكُ إِلَى الرِّيحِ فَقَالَ لَهَا كَقَوْلِ
لِلشَّمْسِ . فَقَالَتْ : وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ، وَهُوَ
الْجَبَلُ الَّذِي لَا أَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِهِ . فَمَضَى إِلَى الْجَبَلِ فَقَالَ لَهُ
الْقَوْلَ الْمَذْكُورَ . فَأَجَابَهُ الْجَبَلُ وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ
أَقْوَى مِنِّي : الْجُرْدُ الَّذِي لَا أُسْتَطِيعُ الْإِمْتِنَاعَ مِنْهُ إِذَا ثَقَبَنِي .

وَاتَّخَذَنِي مَسْكًا . فَانْطَلَقَ النَّاسِكُ إِلَى الْجُرْدِ فَقَالَ لَهُ : هَلْ
 أَنْتَ مَتْرُوجٌ هَذِهِ الْجَارِيَّةُ ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ اتَّزَوَّجْتُهَا وَبُجْرِي
 ضَيْقٌ ؟ وَإِنَّمَا يَتَزَوَّجُ الْجُرْدُ الْفَأْرَةَ . فَدَعَا النَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ
 يُحَوِّلَهَا فَأْرَةً كَمَا كَانَتْ وَذَلِكَ بِرِضَا الْجَارِيَّةِ ، فَأَعَادَهَا اللَّهُ إِلَى
 عُنْصُرِهَا الْأَوَّلِ فَانْطَلَقَتْ مَعَ الْجُرْدِ . فَهَذَا مِثْلُكَ : أَيُّهَا الْمُخَادِعُ .
 فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ الْبُومِ إِلَى ذَلِكَ الْقَوْلِ ، وَرَفَقَ بِالْغُرَابِ ، وَلَمْ
 يَزِدْ لَهُ إِلَّا إِكْرَامًا ، حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ ، وَنَبَتَ رِيشُهُ ،
 وَأَطْلَعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ ، رَاغَ رَوْغَةً . فَأَتَى أَصْحَابَهُ
 بِمَا رَأَى وَسَمِعَ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ فَرَعْتُ مِمَّا كُنْتُ
 أُرِيدُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتَطِيعَ ، قَالَ لَهُ : أَنَا وَالْجُنْدُ
 تَحْتَ أَمْرِكَ ، فَأَحْتَكِمْ كَيْفَ شِئْتَ .

قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ الْبُومَ بِمَكَانٍ كَذَا ، فِي جَبَلٍ كَثِيرِ الْخَطَبِ ،
 وَفِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ ، مَعَ رَجُلٍ رَاغٍ ، وَنَحْنُ
 مُصِيبُونَ هُنَاكَ نَارًا ، وَنُلْقِيهَا فِي أَنْقَابِ الْبُومِ ، وَنَقْدِفُ عَلَيْهَا

(١) جمع نقب أو نقب بمعنى الثقب أو الطريق ، والمراد بها مساكن البوم .

مِنْ يَابِسِ الْحَطَبِ ، وَنَتْرَاوِحُ عَلَيْهَا ضَرْبًا بِأَجْنِحَتِنَا ، حَتَّى تَضْطَرَّمَ النَّارُ فِي الْحَطَبِ : فَمَنْ نَحْرَجَ مِنْهُنَّ احْتَرَقَ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَاتَ بِالدُّخَانِ مَوْضِعَهُ . فَفَعَلَ الْغُرَبَانُ ذَلِكَ : فَأَهْلَكَنَّ الْبُومُ قَاطِبَةً ، وَرَجَعْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ سَالِمَاتٍ آمِنَاتٍ .

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْغُرَبَانِ قَالَ لِذَلِكَ الْغُرَابِ : كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى صُحْبَةِ الْبُومِ ، وَلَا صَبْرَ لِلْأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ؟ فَقَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مَا قُلْتَهُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ لَكَذَلِكَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ إِذَا آتَاهُ الْأَمْرُ الْفَظِيعُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحْمُلِهِ الْجَائِحَةَ ^(١) عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ ، لَمْ يَجْزَعْ مِنْ شِدَّةِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ ، لِمَا يَرْجُو مِنْ أَنْ يُعْقِبَهُ صَبْرُهُ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ الْخَيْرِ فَلَمْ يَجِدْ لِذَلِكَ الْمَاءِ ، وَلَمْ تَكْرَهُ نَفْسُهُ الْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ ، حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ . فَيَغْتَبِطَ بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ ، وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ الْبُومِ : قَالَ الْغُرَابُ : لَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ عَاقِلًا إِلَّا الَّذِي كَانَ يُحْتَشِنُّ عَلَى قَتْلِي ، وَكَانَ حَرَّضُهُنَّ عَلَى ذَلِكَ مِرَارًا ، فَكُنَّ أَضْعَفَ شَيْءٍ

(١) الشدة المهلكة .

رَأْيًا ! فَلَمْ يَنْظُرَنَّ فِي أَمْرِي ، وَيَذْكُرَنَّ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةٍ
 فِي الْغُرَبَانِ ، وَأَنِّي أُعَدُّ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ ، وَلَمْ يَخَوْفَنَّ مَكْرِي
 وَحِيلَتِي ، وَلَا قِبْلَانَ مِنَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ ، وَلَا أَخْفَيْنَ دُونِي
 أَسْرَارَهُنَّ . وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ
 مِنْ أَهْلِ النَّمِيمَةِ ، وَلَا يُطْلِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ .
 فَقَالَ الْمَلِكُ : مَا أَهْلَكَ الْبُومَ فِي نَفْسِي إِلَّا الْبَغْيُ ، وَضَعْفُ رَأْيِ
 الْمَلِكِ ، وَمُوَافَقَتُهُ وَزَرَءَ الشُّوءِ . فَقَالَ الْغُرَابُ : صَدَقْتَ أَيُّهَا
 الْمَلِكُ ، إِنَّهُ قَلْبًا ظَفِرَ أَحَدٌ بِبَغْيِي وَلَمْ يُطْعَ ، وَقَلَّ مَنْ أَكْثَرَ
 مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا مَرِضَ . وَقَلَّ مَنْ وَثِقَ بِوُزَرَءِ الشُّوءِ وَسَلِمَ مِنْ
 أَنْ يَقَعَ فِي الْمَهَالِكِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَظْمَعَنَّ ذُو الْكِبْرِ
 فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ ، وَلَا الْخُبُّ فِي كَثْرَةِ الصَّدِيقِ ، وَلَا السِّيُّ
 الْأَدَبِ فِي الشَّرَفِ ، وَلَا الشَّحِيحُ فِي الْبِرِّ ، وَلَا الْحَرِيصُ
 فِي قِلَّةِ الذُّنُوبِ ، وَلَا الْمَلِكُ الْمُحْتَالَ ، الْمُتَهَاوِنُ بِالْأُمُورِ ،
 الضَّعِيفُ الْوُزَرَءِ فِي ثَبَاتِ مُلْكِهِ ، وَصَلَاحِ رَعِيَّتِهِ . قَالَ
 الْمَلِكُ : لَقَدْ اخْتَمَلْتَ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصْنَعِكَ لِلْبُومِ ،

وَتَضَرَّعَكَ لَهْنًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّهُ مِنْ اِحْتِمَلِ مَشَقَّةَ يَرْجُو
 نَفْعَهَا ، وَنَحَى عَنِ نَفْسِهِ الْأَنْفَةَ وَالْحِمِيَّةَ ، وَوَطَّنَهَا عَلَى الصَّبْرِ
 حَمْدًا غِبًّا رَأْيِيهِ ؛ كَمَا صَبَرَ الْأَسْوَدُ عَلَى حَمْلِ مَلِكِ الضَّفَادِعِ عَلَى
 ظَهْرِهِ ، وَشَبِعَ بِذَلِكَ وَعَاشَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟
 قَالَ الْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدًا مِنَ الْحَيَاتِ كَبُرَ ، وَضَعَفَ
 بَصْرُهُ . وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ : فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ ؛
 وَأَنَّهُ انْسَابَ يَلْتَمَسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَيْنِ كَثِيرَةٍ

الضَّفَادِعِ ، قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ ، فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعِهَا
 رِزْقَهُ ، فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلْكَأَبَةِ وَالْحُزْنِ . فَقَالَ لَهُ
 ضَفْدَعٌ^(٢) : مَا لِي أَرَاكَ ، أَيُّهَا الْأَسْوَدُ ، كَثِيبًا حَزِينًا ؟ قَالَ : وَمَنْ
 أُخْرَى بِطُولِ الْحُزْنِ مِنِّي ! وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرَ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ
 أَصِيبُ مِنَ الضَّفَادِعِ ، فَابْتُلَيْتُ بِبِلَاءٍ ، وَحُرِمْتُ عَلَى الضَّفَادِعِ
 مِنْ أَجْلِهِ ؛ حَتَّى إِنِّي إِذَا التَّقَيْتُ بِبَعْضِهَا ، لَا أَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهَا .

(١) عاقبة . (٢) بكسر أوله وثالثه أو فتحهما أو ضم الأول وفتح الثالث الواحدة بها .

فَانطَلَقَ الضَّفَدِيعُ إِلَى مَلِكِ الضَّفَادِيعِ ، فَبَشَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ
الْأَسْوَدِ . فَأَتَى مَلِكُ الضَّفَادِيعِ إِلَى الْأَسْوَدِ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ
كَانَ أَمْرُكَ ؟ قَالَ : سَعَيْتُ مِنْذُ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ ضِفْدِيعٍ . وَذَلِكَ
عِنْدَ الْمَسَاءِ ، فَاضْطَرَرْتُ إِلَى بَيْتِ نَاسِكٍ ، وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ
فِي الظُّلْمَةِ وَفِي الْبَيْتِ ابْنٌ لِلنَّاسِكِ ، فَأَصَبْتُ إِصْبَعَهُ ، فَظَنَنْتُ
أَنَّهَا الضَّفَدِيعُ ، فَلَدَغْتُهُ فَمَاتَ . نَفَرَجْتُ هَارِبًا ، فَتَبِعَنِي
النَّاسِكُ فِي أَثَرِي ، وَدَعَا عَلِيًّا ، وَلَعَنَنِي . وَقَالَ : كَمَا قَتَلْتَ ابْنِي
الْبَرِيءَ ظُلْمًا وَتَعَدِّيًّا ، أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصِيرَ مَرْجَبًا
لِمَلِكِ الضَّفَادِيعِ ، فَلَا تَسْتَطِيعُ أَخْذَهَا ، وَلَا أَكُلَ شَيْءٍ مِنْهَا ،
إِلَّا مَا يَتَّصِدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُهَا . فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي ، مُقِرًّا
بِذَلِكَ ، رَاضِيًا بِهِ . فَرَغِبَ مَلِكُ الضَّفَادِيعِ فِي رُكُوبِ الْأَسْوَدِ ،
وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ نَحْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ ، وَرِفْعَةٌ ، فَرَكِبَهُ وَاسْتَطَابَ ذَلِكَ .
فَقَالَ لَهُ الْأَسْوَدُ ، قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنِّي مُحْرَمٌ ، فَاجْعَلْ لِي
رِزْقًا أَعِيشُ بِهِ . قَالَ مَلِكُ الضَّفَادِيعِ : لَعَمْرِي لَا بَدَّ لَكَ مِنْ
رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ ، إِذْ كُنْتَ مَرْكَبِي . فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدِيعَيْنِ

يُوخَذَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَيُدْفَعَانِ إِلَيْهِ . فَعَاشَ بِذَلِكَ ، وَلَمْ
يُضِرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ الدَّلِيلِ ؛ بَلِ انْتَفَعَ بِذَلِكَ ، وَصَارَ لَهُ رِزْقًا
وَمَعِيشَةً . وَكَذَلِكَ كَانَ صَبْرِي عَلَى مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ ، التِمَاسًا
لِهَذَا النِّفْعِ العَظِيمِ الَّذِي اجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ الأَمْنُ وَالظَّفَرُ ، وَهَلَاكُ
العَدُوِّ وَالرَّاحَةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ اللِّينِ وَالرَّفْقِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ
اسْتِنصَالًا لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ المُكَابِرَةِ : فَإِنَّ النَّارَ لَا تَزِيدُ بِحِدَّتِهَا
وَحَرَّهَا إِذَا أَصَابَتِ الشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تُحْرِقَ مَا فَوْقَ الأَرْضِ مِنْهَا .
وَالْمَاءُ بِبُرْدِهِ وَلِينِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ الأَرْضِ مِنْهَا . وَيُقَالُ
أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُهَا : النَّارُ وَالْمَرَضُ وَالْعَدُوُّ وَالدِّينُ .
قَالَ الغُرَابُ : وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ رَأْيِ المَلِكِ وَأَدْبِهِ وَسَعَادَةِ
جَدِّهِ . وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : إِذَا طَلَبَ اثْنَانِ أَمْرًا ظَفَرِيهِ مِنْهُمَا
أَفْضَلُهُمَا مُرُوءَةً . فَإِنْ اعْتَدَلَا فِي المُرُوءَةِ ، فَأَشَدُّهُمَا عَزْمًا .
فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي العَزْمِ ، فَأَسْعَدُهُمَا جَدًّا . وَكَانَ يُقَالُ : مَنْ
خَارَبَ المَلِكَ الحَازِمَ الأَرِيْبَ المُتَضَرِّعَ الَّذِي لَا تُبْطِرُهُ السَّرَّاءُ ،
وَلَا تُدْهِشُهُ الضَّرَّاءُ ، كَانَ هُوَ دَاعِي الحَنْتِفِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا سِيَّمَا

إِذَا كَانَ مِثْلَكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَالِمُ بِفُرُوضِ الْأَعْمَالِ ، وَمَوَاضِعِ
 الشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ ، وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْمُعَاجَلَةِ وَالْأَنَانَةِ ؛ النَّاطِرُ
 فِي أَمْرِ يَوْمِهِ وَغَدِهِ ، وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ . قَالَ الْمَلِكُ لِلْغُرَابِ :
 بَلْ بَرَأَيْكَ وَعَقْلِكَ وَنَصِيحَتِكَ وَيُمْنِ طَالِعِكَ كَانَ ذَلِكَ ، فَإِنَّ
 رَأَى الرَّجُلِ الْوَاحِدِ ، الْعَاقِلِ الْحَازِمِ ، أَبْلَغُ فِي هَلَاكِ الْعَدُوِّ مِنْ
 الْجُنُودِ الْكَثِيرَةِ ، مِنْ ذَوِي النَّبَاسِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ .
 وَإِنَّ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِكَ عِنْدِي طُولَ لُبِّكَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْيَوْمِ
 تَسْمَعُ الْكَلَامَ الْغَلِيظَ ، ثُمَّ لَمْ تَسْقُطْ بِيَدَيْهِنَّ بِكَلِمَةٍ ! قَالَ الْغُرَابُ :
 لَمْ أَزَلْ مُتَمَسِّكًا بِأَدْيِكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ : أَصْحَبُ الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ ،
 بِالرَّفْقِ وَاللَّيْنِ ، وَالْمُبَالَغَةِ وَالْمَوَاتَاةِ . قَالَ الْمَلِكُ : أَصْبَحْتُ
 وَقَدْ وَجَدْتُكَ صَاحِبَ الْعَمَلِ ، وَوَجَدْتُ غَيْرَكَ مِنَ الْوُزَرَاءِ
 أَصْحَابَ أَقَاوِيلَ : لَيْسَ لَهَا عَاقِبَةٌ حَمِيدَةٌ فَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
 بِكَ مِنْهُ عَظِيمَةً لَمْ نَكُنْ قَبْلَهَا نَجِدُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَلَا الشَّرَابِ ،
 وَلَا النَّوْمِ وَلَا الْقَرَارِ . وَكَانَ يُقَالُ : لَا يَجِدُ الْمَرِيضُ لَذَّةَ الطَّعَامِ
 وَالنَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ ؛ وَلَا الرَّجُلُ الشَّرَّهَ الَّذِي قَدْ أَطْمَعَهُ سُلْطَانُهُ

فِي مَالٍ وَعَمَلٍ فِي يَدِهِ ، حَتَّى يُنَجِّزَهُ لَهُ ، وَلَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ أَلْحَ
عَلَيْهِ عَدُوَّهُ ، وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحًا وَمَسَاءً حَتَّى يَسْتَرِيحَ مِنْهُ قَلْبُهُ .
وَمَنْ وَضَعَ الْحِمْلَ الثَّقِيلَ عَنْ يَدَيْهِ أَرَّاحَ نَفْسَهُ . وَمَنْ أَمِنَ عَدُوَّهُ
تَلَجَّ صَدْرُهُ ^(١) .

قَالَ الْغُرَابُ : أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ أَنْ يُمَتِّعَكَ
بِسُلْطَانِكَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ صَلاَحَ رَعِيَّتِكَ ، وَيُشْرِكَهُمْ
فِي قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمُلْكِكَ ! فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مُلْكِهِ قُرَّةَ
عُيُونِ رَعِيَّتِهِ ، فَثَلْثُهُ مِثْلُ زَنْمَةِ الْعَنْزِ الَّتِي يَمَصُّهَا ، وَهُوَ يَحْسِبُهَا
حَلْمَةَ الضَّرْعِ ، فَلَا يُصَادِفُ فِيهَا خَيْرًا . قَالَ الْمَلِكُ : أَيُّهَا
الْوَزِيرُ الصَّالِحُ ، كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ الْيَوْمِ وَمَلِكُهَا فِي حُرُوبِهَا ،
وَفِيهَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِهَا ؟ قَالَ الْغُرَابُ : كَانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ
بَطْرِ ، وَأَشْرٍ وَخَيْلَاءَ ، وَبَعْجَزٍ ، وَنَقْرٍ ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ
الذَّمِيمَةِ . وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَائِهِ شَبِيهُ بِهِ ، إِلَّا الْوَزِيرَ الَّذِي
كَانَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِي : فَإِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا أَرِيبًا ، فَيَلْسُوفًا حَازِمًا

(١) اطمان . (٢) قطعة لحم تتدلى من عنقه .

كَلِيلَةُ وَدَمْنَةُ

بَابُ الْقِرْدِ وَالْغَيْلِمِ (١)

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيَّاسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ ،
 فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ ، فَإِذَا ظَفَرَ بِهَا ،
 أَضَاعَهَا . قَالَ الْفَيَّاسُوفُ : إِنَّ طَلَبَ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ
 الْإِحْتِفَازِ بِهَا ، وَمَنْ ظَفَرَ بِحَاجَةٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ بِهَا ،
 أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْغَيْلِمَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ طَلَبَ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ الْإِحْتِفَازِ بِهَا ، وَمَنْ ظَفَرَ بِحَاجَةٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ بِهَا ، أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْغَيْلِمَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ ، فَرَغِبَ
 فِي مُصَادَقَتِهِ ، وَأَنْسَ إِلَيْهِ ، وَكَلَّمَهُ ، وَأَلْفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
 صَاحِبُهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغَيْلِمِ عَنِ زَوْجَتِهِ : بَجَزَعَتْ عَلَيْهِ ،
 وَشَكَّتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا ، وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ
 قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ سُوءٌ فَأَغْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ زَوْجَكَ
 بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلْفَ قِرْدًا وَأَلْفَهُ الْقِرْدُ : فَهُوَ مَوَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ ،
 وَهُوَ الَّذِي قَطَعَهُ عَنْكَ ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكَ حَتَّى تَحْتَالِي
 لِهَلَاكِ الْقِرْدِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ . قَالَتْ جَارَتُهَا : إِذَا
 وَصَلَ إِلَيْكَ فَتَمَارِضِي ، فَإِذَا سَأَلَكَ عَنْ حَالِكَ فَقُولِي : إِنَّ
 الْحُكَمَاءَ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ . ثُمَّ إِنَّ الْغَيْلِمَ انْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ
 إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ الْحَالِ مَهْمُومَةً ، فَقَالَ لَهَا
 الْغَيْلِمُ . مَا أَرَاكَ هَكَذَا ، فَأَحَاتَهُ حَدِيثًا ، وَقَالَتْ . إِنَّ

زَوْجَتَكَ مَرِيضَةً مَسْكِينَةً . وَقَدْ وَصَفَ لَهَا الْأَطِبَاءُ قَلْبَ قِرْدٍ ،
 وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . قَالَ الْغَيْلِمُ : هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ . مِنْ أَيْنَ

أَنْ تَقُولِي لِي مَا كُنْتَ تَقُولِي لِي

ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ : فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ يَا أَحْيَى ، مَا حَبَسَكَ عَنِّي ؟ قَالَ لَهُ الْغَيْلِمُ : مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي : فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أَجَازِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ ؟ وَأُرِيدُ أَنْ تُتِمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي : فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ الْفَاكِهَةِ . فَأَرَكَبُ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرَغِبَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ ، وَنَزَلَ فَرَكَبَ ظَهْرَ الْغَيْلِمِ ، فَسَبَحَ بِهِ ، حَتَّى إِذَا سَبَحَ بِهِ ، عَرَضَ لَهُ

قُبْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَدْرِ ، فَانْكَسَ رَأْسُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا ؟ قَالَ الْغَيْلِمُ : إِنَّمَا هُمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةٌ الْمَرَضِ ، وَذَلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ وَمُلَاطَفَتِكَ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنَّ الَّذِي أَعْرِفُ مِنْ حَرِصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوْوَنَةَ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْغَيْلِمُ : أَجَلٌ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ، ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً : فَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا اخْتَبَأَسُ الْغَيْلِمَ وَإِبْطَاوَهُ إِلَّا لِأَمْرٍ ! وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي ، وَحَالَ عَن مَوَدَّتِي ، فَأَرَادُ بِسُوءٍ : فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَحْفُ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا

مِنْ الْقَلْبِ . وَقَدْ يُقَالُ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْإِغْفَالُ عَنِ التَّمَسِّسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ ، عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ ،
 وَفِي كُلِّ لِحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ ، وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ
 فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ . وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَّاءُ
 إِذَا دَخَلَ قَلْبَ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيْبَةٌ فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ
 فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ ، وَلْيَتَفَقَّدْ ذَلِكَ فِي لِحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ
 مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفَرَ بِالسَّلَامَةِ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفَرَ بِالْحَزْمِ ، وَلَمْ
 يَضُرَّهُ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلِمِ : مَا الَّذِي يَجْبِسُكَ ؟ وَمَالِي أَرَاكَ
 مُهْتَمًّا ، كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى ؟ قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ
 تَأْتِي مَنزِلِي فَلَا تَجِدُ أَمْرِي كَمَا أَحِبُّ : لِأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ .
 قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ ، فَإِنَّ الِهْمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 التَّمَسِّسُ مَا يُضْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْدِيَةِ : فَإِنَّهُ يُقَالُ
 لِيَبْدُلِ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ ، وَفِي
 وَقْتِ الْحَاجَةِ ، وَعَلَى الْبَنِينَ ، وَعَلَى الْأَزْوَاجِ . قَالَ الْغَيْلِمُ :

وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِّي : حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرْطَةِ ! وَلَقَدْ صَدَقَ
الَّذِي قَالَ : يَعِيشُ الْقَانِعُ الرَّاضِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا ، وَذُو
الْحِرْصِ وَالشَّرِّهَ يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ
اِحْتَجَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي التِمَاسِ الْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ .
ثُمَّ قَالَ لِلغَيْلِمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي عِنْدَ مَنْزِلِي ، حَتَّى كُنْتُ
أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي ؟ فَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا ، مَعَاشِرَ الْقِرَدَةِ ، إِذَا نَحَرَ
أَحَدُنَا لِرِيزَارَةِ صَدِيقٍ ، خَلَفَ قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ ، أَوْ فِي مَوْضِعِهِ ،
لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَلَيْسَ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ
الغَيْلِمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ الْآنَ ؟ قَالَ : خَلَفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ . فَإِنْ شِئْتَ
فَارْجِعْ بِي إِلَى الشَّجَرَةِ ، حَتَّى آتِيكَ بِهِ . فَفَرِحَ الغَيْلِمُ بِذَلِكَ .
وَقَالَ : لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أُغْدِرَ بِهِ . ثُمَّ رَجَعَ بِالْقِرْدِ
إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ السَّاحِلَ ، وَثَبَ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَارْتَقَى
الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الغَيْلِمِ ، نَادَاهُ : يَا خَلِيلِي ، أَحْمِلْ قَلْبَكَ
وَانزِلْ ، فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ : هَيْهَاتَ ! أَتُظَنُّ أَنِّي
كَالْحِجَارِ الَّذِي زَعَمَ ابْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ :
قَالَ الغَيْلِمُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْقِرْدُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدًا فِي أَجْمَةٍ ، وَكَانَ مَعَهُ ابْنُ
 آوَى يَأْكُلُ مِنْ فَوَاضِلِ طَعَامِهِ ، فَأَصَابَ الْأَسَدَ جَرَبٌ ،
 فَتَمَثَّلَ لَهُ كَمَا تَمَثَّلَ لِلنَّاسِ ، فَكَانَ يَأْكُلُ

بِنَا إِلَيْهَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ ابْنُ آوَى نَحْوَ الْأَسَدِ ، وَتَقَدَّمَ ابْنُ آوَى ،

وَأَرَادَ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ لضعفه ، وَتَخَلَّصَ الْجَمَارُ
 مِنْهُ . فَأَفَلَتَ هَلِعًا عَلَيَّ وَجْهَهُ . فَلَمَّا رَأَى ابْنُ آوَى أَنَّ الْأَسَدَ
 لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْجَمَارِ ، قَالَ لَهُ : أَعْجَزْتَ يَا سَيِّدَ السَّبَاعِ إِلَى هَذِهِ
 الْغَايَةِ ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، فَلَنْ يَنْجُو مِنِّي
 أَبَدًا . فَمَضَى ابْنُ آوَى إِلَى الْجَمَارِ فَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي جَرَى
 عَلَيْكَ ؟ إِنْ أَحَدَ الْحُمْرِ رَاكَ غَرِيبًا ، نَفَرَ جِئْتَلِقَاكَ مَرَحِبًا بِكَ ،

الجمار . فلما بصريه عاجله بوثبة افترسه بها . ثم قال : قد
ذكرت الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الغسل والطهور : فاحتفظ
به حتى أعود فأكل قلبه وأذنيه ، وأترك ما سوى ذلك قوتاً
لك . فلما ذهب الأسد ليغتسل ، عمد ابن آوى إلى الجمار
فأكل قلبه وأذنيه ، وجاء أن يتطير الأسد منه ، فلا يأكل منه
شيئاً . ثم إن الأسد رجع إلى مكانه ، فقال لابن آوى : أين
قلب الجمار وأذناه ؟ قال ابن آوى : ألم تعلم أنه لو كان له
قلب يفقه به ، وأذنان يسمع بهما ، لم يرجع إليك بعد ما أفات
ونجا من الهلكة :

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أني لست كذلك الجمار
الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب وأذنان ، ولينك
احتلت على ، وخذعتني ، فخذعتك بمثل خديعتك ،
واستدركت فارت أمرى . وقد قيل : إن الذي يفسده الحلم
لا يصلحه إلا العلم . قال الغيلم : صدقت ، إلا أن الرجل
الصالح يعترف بزلاته ، وإذا أذنب ذنباً لم يستحي أن يودب :

ثُمَّ حَمَلَتْ مِنْهُ بَعْدَ الْإِيَّاسِ . فَسُرَّتِ الْمَرْأَةُ وَسَرَّ النَّاسِكُ بِذَلِكَ ،
فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ الْحَمْلُ ذَكَرًا . وَقَالَ
لِزَوْجَتِهِ : أَبْشِرِي : فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلَامًا ، لَنَا فِيهِ
مَنَافِعُ ، وَقُرَّةُ عَيْنٍ ، أَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ، وَأَخْضِرُ لَهُ
سَائِرَ الْأَدْبَاءِ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَا يَجْمَلُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ عَلَى أَنْ
تَتَكَلَّمَ بِمَا لَا تَدْرِي أَيُّكُونُ أُمَّ لَا ؟ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَصَابَهُ
مَا أَصَابَ النَّاسِكُ الَّذِي أَرَأَقَ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ .
قَالَ لَهَا : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَتْ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ
تَاجِرٍ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، رِزْقٌ مِنَ السَّمَنِ وَالْعَسَلِ ، وَكَانَ يَأْكُلُ
مِنْهُ قُوَّتَهُ وَحَاجَتَهُ ، وَيَرْفَعُ الْبَاقِي ، وَيَجْعَلُهُ فِي بَجْرَةٍ ، فَيُعَلِّقُهَا
فِي وَتِدٍ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ ، حَتَّى امْتَلَأَتْ . فَبَيْنَمَا النَّاسِكُ ذَاتَ
يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَالْعُكَّازَةُ فِي يَدِهِ ، وَالْحِجْرَةُ مُعَلَّقَةٌ عَلَى
رَأْسِهِ ، تَفَكَّرَ فِي غَلَاءِ السَّمَنِ وَالْعَسَلِ ، فَقَالَ : سَأْبِعُ مَا فِي
هَذِهِ الْحِجْرَةِ بِدَيْنَارٍ ، وَأَشْتَرِي بِهِ عَشْرَةَ أَعْنُرٍ ، فَيُحْبَلَنَ وَيَلْدَنَ

فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ بَطْنًا ، وَلَا تَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى تَصِيرَ غَنَمًا
 كَثِيرَةً ، إِذَا وَلَدَتْ أَوْلَادَهَا ؛ ثُمَّ حَرَّرَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ بِسِنِينَ
 فَوَجَدَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ عَنَزٍ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْتَرِي بِهَا
 مِائَةً مِنَ الْبَقَرِ ، بِكُلِّ أَرْبَعَةِ أَعْنُ ثَوْرًا أَوْ بَقْرَةً ، وَأَشْتَرِي أَرْضًا
 وَبَدْرًا ، وَأَسْتَأْجِرُ أَكْرَةً^(١) وَأَزْرَعُ عَلَى الثَّيْرَانِ ، وَأَنْتَفِعُ بِالْبَبَانِ
 الْإِنَاثِ وَنِتَاجِهَا فَلَا يَأْتِي عَلَى خَمْسِ سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُ
 مِنَ الزَّرْعِ مَا لَا كَثِيرًا : فَأَبْنِي بَيْتًا فَاخِرًا ؛ وَأَشْتَرِي إِمَاءً وَعَعِيدًا ؛
 وَأَتَزَوَّجُ امْرَأَةً جَمِيلَةً ذَاتَ حُسْنٍ ؛ ثُمَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ سَرِيٍّ نَجِيبٍ ؛
 فَاخْتَارَ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ؛ فَإِذَا تَرَعَرَخَ أَدَبْتُهُ ، وَأَحْسَنْتُ
 تَأْدِيبَهُ ، وَأَشَدَّدْتُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، فَإِنْ يَقْبَلُ مِنِّي ، وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ
 بِهَيْدِهِ الْعُكَّازَةِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْحِجْرَةِ فَكَسَرَهَا ، فَسَالَ مَا كَانَ
 فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِكَيْ لَا تَعْجَلَ
 بِذِكْرِ مَا لَا يَنْبَغِي ذِكْرَهُ ، وَمَا لَا تَدْرِي أَيَّ صِحُّ أَمْ لَا يَصِحُّ .
 فَاتَعَطَّ النَّاسِكُ بِمَا حَكَتْ زَوْجَتُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلَامًا

(١) جمع أكار وهو الحراث .

جَمِيلاً فَفَرِحَ بِهِ أَبُوهُ . وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَانَ لَهَا أَنْ تَتَطَهَّرَ فَقَالَتْ
 الْمَرَأَةُ لِلنَّاسِكِ : اقْعُدْ عِنْدَ ابْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى الْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ
 وَأَعُودَ . ثُمَّ إِنَّهَا أَنْطَلَقَتْ إِلَى الْحَمَّامِ ، وَخَلَفَتْ زَوْجَهَا وَالْغُلَّامَ .
 فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَهُ رَسُولُ الْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ ، وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَخْلُفُهُ
 عِنْدَ ابْنِهِ ، غَيْرَ ابْنِ عَرِسٍ دَاجِنٍ عِنْدَهُ ، كَانَ قَدْ رَبَّاهُ صَغِيرًا
 فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلٌ وَلَدِهِ . فَتَرَكَ النَّاسِكُ عِنْدَ الصَّبِيِّ ، وَأَغْلَقَ
 عَلَيْهِمَا الْبَيْتَ ، وَذَهَبَ مَعَ الرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ
 الْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءٌ ، فَدَنَّتْ مِنَ الْغُلَّامِ ، فَضَرَبَهَا ابْنُ عَرِسٍ ،
 ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا ، ثُمَّ قَطَعَهَا وَأَمْتَلَأَ فِيهِ مِنْ دَمِهَا ، ثُمَّ جَاءَ
 النَّاسِكُ ، وَفَتَحَ الْبَابَ ، فَالْتَقَاهُ ابْنُ عَرِسٍ ، كَالْمُبَشِّرِ لَهُ بِمَا
 صَنَعَ مِنْ قَتْلِ الْحَيَّةِ . فَلَمَّا رَأَاهُ مَلُوثًا بِالدِّمِّ ، وَهُوَ مَذْعُورٌ ،
 طَارَ عَقْلُهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ . وَلَمْ يَتَثَبْتْ فِي أَمْرِهِ ،
 وَلَمْ يَتَرَوَّفِ فِيهِ ، حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْحَالِ ، وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ مَا ظَنَّ
 مِنْ ذَلِكَ . وَلَكِنْ عَمَّا عَايَنَ عَرِسٌ ، وَضَهَّ بِهِ بَعْكَازَةً كَانَتْ

فِي يَدِهِ ، عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، فَمَاتَ . وَدَخَلَ النَّاسُكَ فَرَأَى الْغُلَامَ
 سَلِيماً حَيّاً ، وَعِنْدَهُ اسْوَدُّ مُقَطَّعٌ . فَلَمَّا عَرَفَ الْقِصَّةَ ، وَتَبَيَّنَ
 لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي الْعَجَلَةِ ، لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ . وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ
 هَذَا الْوَلَدَ ، وَلَمْ أَغْدِرْ هَذَا الْغَدْرَ ! وَدَخَلَتْ امْرَأَتُهُ ، فَوَجَدَتْهُ
 عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالنَّحْبِ مِنْ
 حُسْنِ فِعْلِ ابْنِ عَرِسٍ وَسُوءِ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ : هَذِهِ ثَمَرَةُ
 الْعَجَلَةِ ! فَهَذَا مِثْلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ ، بَلْ يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ
 بِالسَّرْعَةِ وَالْعَجَلَةِ .

(انقصى باب الناسك وابن عرس)

بَابُ الْجُرْدِ وَالسَّنُورِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمِثْلَ ،
 فَأَضْرِبْ لِي مِثْلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ ، وَأَخَذُوا بِهِ مِنْ كُلِّ
 جَانِبٍ ، فَأَشْرَفَ مَعَهُمْ عَلَى الْهَلَاكِ ، فَالْتَمَسَ النِّجَاةَ وَالْمَخْرَجَ
 مِنَ الْآلِقَةِ . فَأَمَّا بَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفُ ، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَكَانَ

لَا تَثْبُتَانِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا . وَرُبَّمَا حَالَتِ الْمَوَدَّةُ إِلَى
 الْعَدَاوَةِ ، وَصَارَتِ الْعَدَاوَةُ وَلايَةً وَصَدَاقَةً . وَلِهَذَا حَوَادِثُ
 وَعِلَلٌ وَتَجَارِبُ ، وَذُو الرَّأْيِ يُحَدِّثُ لِكُلِّ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذَلِكَ
 رَأْيًا جَدِيدًا : أَمَا مِنْ قَبْلِ الْعَدُوِّ فَبِالْبَأْسِ ، وَأَمَا مِنْ قَبْلِ الصَّدِيقِ

مِنْ مُقَارَبَتِهِ وَالِاسْتِنْجَادِ بِهِ عَلَى دَفْعِ مَخُوفٍ أَوْ جَرِّ مَرَّغُوبٍ .
 وَمَنْ عَمِلَ فِي ذَلِكَ بِالْحَزْمِ ظَفَرَ بِحَاجَتِهِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ

يَسْعَى إِذْ بَصُرَ بِهِ فِي الشَّرِكِ ، فَسُرَّ وَاسْتَبَشَرَ . ثُمَّ التَفَّتَ فَرَأَى
خَلْفَهُ ابْنَ عَرِسٍ ، يُرِيدُ أَخْذَهُ ؛ وَفِي الشَّجَرَةِ بَوْمًا ، يُرِيدُ
اِخْتِطَافَهُ ، فَتَحِيرَ فِي أَمْرِهِ ، وَخَافَ إِنْ رَجَعَ وَرَاءَهُ أَخْذَهُ ابْنَ
عَرِسٍ ، وَإِنْ ذَهَبَ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا اِخْتِطَفَهُ الْبَوْمُ ، وَإِنْ تَقَدَّمَ
أَمَامَهُ أَفْتَرَسَهُ السَّنُورُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذَا بَلَاءٌ قَدْ اِكْتَنَفَنِي ،
وَشُرُورٌ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ ، وَمِحْنٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِي . وَبَعْدَ ذَلِكَ
قَمِعِي عَقْلِي ، فَلَا يُفْزِعُنِي أَمْرِي ، وَلَا يَهْوِلُنِي شَأْنِي ، وَلَا يَلْحَقُنِي

وَوَعَى عَنِّي فَصِيحَ خَطَابِي ، وَمَحْضَ صِدْقِي الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ ،
وَلَا خِدَاعَ مَعَهُ فَفَهِمَهُ ، وَطَمِعَ فِي مَعُونَتِي إِيَّاهُ ، نَخْلُصُ
بِجَمِيعَا .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ دَنَا مِنَ السَّنُورِ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَ لَهُ
السَّنُورُ : كَمَا تُحِبُّ : فِي ضَمْنِكَ وَضَيْقِي . قَالَ : وَأَنَا الْيَوْمَ
شَرِيكَكَ فِي الْبَلَاءِ ، وَلَسْتُ أَرْجُو لِنَفْسِي خَلَاصًا إِلَّا بِالَّذِي
أَرْجُو لَكَ فِيهِ الْخَلَاصَ . وَكَلَامِي هَذَا لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلَا
خَدِيعَةٌ . وَأَبْنُ عَرِسٍ هَا هُوَ كَامِنٌ لِي ، وَالْيَوْمُ يَرْصُدُنِي ،
وَكَلاهُمَا لِي وَلَكَ عَدُوٌّ . فَإِنْ جَعَلْتَ لِي الْأَمَانَ ، قَطَّعْتُ
حَبَائِلَكَ ، وَخَلَصْتُكَ مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ تَخَلَّصَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِسَبَبِ صَاحِبِهِ : كَالسَّفِينَةِ وَالرَّكَّابِ فِي الْبَحْرِ :
فِي السَّفِينَةِ يَنْجُونَ ، وَبِهِمْ تَنْجُو السَّفِينَةُ . فَلَمَّا سَمِعَ السَّنُورُ
كَلَامَ الْجُرْدِ ، وَعَرَفَ أَنَّهُ صَادِقٌ ، قَالَ لَهُ : إِنَّ قَوْلَكَ هَذَا
لَشَبِيهُ بِالْحَقِّ ، وَأَنَا أَيْضًا رَاغِبٌ فِيمَا أَرْجُو لَكَ وَلِنَفْسِي بِهِ

الْخَلَّاصَ . ثُمَّ إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَسَأَشْكُرُ لَكَ مَا بَقِيَتْ .
 قَالَ الْجُرْدُ : فَإِنِّي سَادَنُوكَ مِنْكَ ، فَأَقْطَعُ الْحَبَائِلَ كُلَّهَا إِلَّا حَبْلًا
 وَاحِدًا أَبْقِيَهُ لِأَسْتَوْتِقَ لِنَفْسِي مِنْكَ . ثُمَّ أَخَذَ فِي قَرْضِ حَبَائِلِهِ
 ثُمَّ إِنَّ الْبُومَ وَابْنَ عَرِسٍ لَمَّا رَأَيَا دُنُوَّ الْجُرْدِ مِنَ السَّنُورِ أَيْسَأَ
 مِنْهُ وَانْصَرَفَا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَبْطَأَ عَلَى رُومِي فِي قَطْعِ الْحَبَائِلِ
 فَقَالَ لَهُ : مَا لِي لَا أَرَاكَ مُجِدًّا فِي قَطْعِ حَبَائِلِي ؟ فَإِنْ كُنْتَ قَدْ
 ظَفِرْتَ بِحَاجَتِكَ : فَتَغَيَّرْتَ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ ، وَتَوَانَيْتَ فِي حَاجَتِي ،
 فَمَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الصَّالِحِينَ : فَإِنَّ الْكَرِيمَ لَا يَتَوَانَى فِي حَقِّ
 صَاحِبِهِ . وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سَابِقِ مَوَدَّتِي مِنَ الْفَائِدَةِ وَالنَّفْعِ
 مَا قَدْ رَأَيْتَ . وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تُكَافِئَنِي بِذَلِكَ ، وَلَا تَذْكُرَ
 الْعَدَاوَةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ : فَالَّذِي حَدَّثَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ
 الشُّأْنِ حَقٌّ أَنِّي أَعْرِضُ عَنْ ذَلِكَ ، مَعَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْغَضَبِ

اِلْخَلَالَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الْإِسَاءَةِ . وَقَدْ يُقَالُ : إِنَّ أَجَلَ الْعُقُوبَةِ
 عُقُوبَةُ الْغَدْرِ . وَمَنْ إِذَا تَضَرَّعَ إِلَيْهِ ، وَسُئِلَ الْعَفْوَ ، فَلَمْ يَرْحَمْ ،
 وَلَمْ يَعْفُ ، فَقَدْ غَدَرَ ، قَالَ الْجُرْدُ : إِنَّ الصَّدِيقَ صَدِيقَانِ :
 طَائِعٌ وَمُضْطَرٌ . وَكِلَاهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْمَنْفَعَةَ ، وَيَحْتَرِسَانِ مِنَ
 الْمَضَرَّةِ . فَأَمَّا الطَّائِعُ فَيُسْتَرْسَلُ إِلَيْهِ ، وَيُؤْمَنُ فِي جَمِيعِ
 الْأَحْوَالِ . وَأَمَّا الْمُضْطَرُ فَنِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يُسْتَرْسَلُ إِلَيْهِ ،
 وَفِي بَعْضِهَا يُخَدَّرُ مِنْهُ . وَلَا يَزَالُ الْعَاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حَاجَاتِهِ ،
 لِبَعْضِ مَا يَتَّقِي وَيَخَافُ . وَلَيْسَ عَاقِبَةُ التَّوَاصُلِ مِنَ الْمُتَوَاصِلِ
 إِلَّا طَلَبَ عَاجِلِ النَّفْعِ وَبُلُوغَ مَأْمُولِهِ . وَأَنَا وَافٍ لَكَ بِمَا
 جَعَلْتُ لَكَ ، وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذَلِكَ ، مِنْ حَيْثُ أَخَافُكَ
 تَخَوُّفًا أَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ مَا أَلْجَأَنِي خَوْفُهُ إِلَى مُصَالِحَتِكَ ، وَالْجَاحَكُ
 إِلَى قَبُولِ ذَلِكَ مِنِّي : فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حِينًا . فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ
 فِي حِينِهِ ، فَلَا حُسْنَ لِعَاقِبَتِهِ . وَأَنَا قَاطِعٌ حَبَائِلِكَ كُلِّهَا ، غَيْرَ
 أَنِّي تَارِكٌ عُقْدَةً وَاحِدَةً أَرْتَهِنُكَ بِهَا ، وَلَا أَقْطَعُهَا إِلَّا فِي السَّاعَةِ
 الَّتِي أَعْلَمُ أَنَّكَ فِيهَا عَنِّي مَشْغُولٌ : وَذَلِكَ عِنْدَ مُعَايِنَتِي الصِّيَادَ .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ أَخَذَ فِي قَطْعِ حَبَائِلِ السُّنُورِ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ وَافَى الصَّيَّادُ ، فَقَالَ لَهُ السُّنُورُ : الْآنَ جَاءَ الْجِدُّ فِي قَطْعِ حَبَائِلِي . فَأَجْهَدَ الْجُرْدُ نَفْسَهُ فِي الْقَرِضِ ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ وَثَبَ السُّنُورُ إِلَى الشَّجَرَةِ عَلَى دَهْشٍ مِنَ الصَّيَّادِ ، وَدَخَلَ الْجُرْدُ بَعْضَ الْأَجْحَارِ ، وَجَاءَ الصَّيَّادُ فَأَخَذَ حَبَائِلَهُ مُقَطَّعَةً ، ثُمَّ انصَرَفَ خَائِبًا .

ثُمَّ إِنَّ الْجُرْدَ نَحَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُو مِنَ السُّنُورِ ، فَنَادَاهُ السُّنُورُ : أَيُّهَا الصَّدِيقُ النَّاصِحُ ، ذُو الْبَلَاءِ الْحَسَنِ عِنْدِي ، مَا مَنَعَكَ مِنَ الدُّنُوءِ إِلَيَّ ، لِأَجَازِيكَ بِأَحْسَنِ مَا أُسَدَيْتَ إِلَيَّ ، هَلُمَّ إِلَيَّ وَلَا تَقْطَعْ إِخَائِي : فَإِنَّهُ مِنَ اتَّخَذَ صَدِيقًا ، وَقَطَعَ إِخَاءَهُ ، وَأَضَاعَ صَدَاقَتَهُ ، حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَائِهِ ، وَأَيْسَ مِنْ نَفْعِهِ الْإِخْوَانُ وَالْأَصْدِقَاءُ . وَإِنَّ يَدَكَ عِنْدِي لَا تُنْسَى ، وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكَافَأَةَ ذَلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَانِي وَأَصْدِقَائِي . وَلَا تَخَافَنَّ مِنِّي شَيْئًا . وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَبْلِي لَكَ مَبْدُولٌ . ثُمَّ حَلَفَ وَاجْتَهَدَ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا قَالَ . فَنَادَاهُ الْجُرْدُ : رَبِّ صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عُدَاوَةٌ كَامِنَةٌ . وَهِيَ أَشَدُّ مِنَ الْعُدَاوَةِ الظَّاهِرَةِ .

وَمَنْ لَمْ يَخْتَرَسْ مِنْهَا ، وَقَعَ مَوْقِعَ الرَّجُلِ الَّذِي يَرْكَبُ نَابَ الْفِيلِ
 الْمُغْتَلِمِ ، ثُمَّ يَغْلِبُهُ النَّعَاسُ ، فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ فَرَاسِنِ الْفِيلِ ،
 فَيَدُوسُهُ وَيَقْتُلُهُ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقًا : لِمَا يُرْجَى
 مِنْ نَفْعِهِ ، وَسُمِّيَ الْعَدُوُّ عَدُوًّا : لِمَا يُخَافُ مِنْ ضَرَرِهِ . وَالْعَاقِلُ
 إِذَا رَجَا نَفْعَ الْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ الصَّدَاقَةَ ، وَإِذَا خَافَ ضَرَّ الصَّدِيقِ
 أَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ . أَلَا تَرَى ؟ تَتَّبِعُ الْبِهَائِمُ أُمَّهَاتِهَا رَجَاءَ الْبَنَاتِهَا ،
 فَإِذَا انْقَطَعَ ذَلِكَ انصرفت عنها . وَرُبَّمَا قَطَعَ الصَّدِيقُ عَنْ
 صَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يَصِلُهُ ، فَلَمْ يَخَفْ شَرَّهُ : لِأَنَّ أَصْلَ
 أَمْرِهِ لَمْ يَكُنْ عَدَاوَةً . فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ عَدَاوَةً جَوْهَرِيَّةً ،
 ثُمَّ أَحْدَثَ صَدَاقَةً لِحَاجَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتِ
 الْحَاجَةُ الَّتِي حَمَلَتْهُ عَلَى ذَلِكَ ، زَالَتْ صَدَاقَتُهُ ، فَتَحَوَّلَتْ
 عَدَاوَةً ، وَصَارَ إِلَى أَصْلِ أَمْرِهِ : كَالْمَاءِ الَّذِي يُسَخَّنُ بِالنَّارِ ،
 فَإِذَا رُفِعَ عَنْهَا عَادَ بَارِدًا . وَلَيْسَ مِنْ أَعْدَائِي عَدُوٌّ أَضُرُّ لِي
 مِنْكَ . وَقَدْ اضْطَرَّنِي وَإِيَّاكَ حَاجَةٌ إِلَى مَا أَحْدَثْنَا مِنَ الْمَصَالِحَةِ .
 وَقَدْ ذَهَبَ الْأَمْرُ الَّذِي اخْتَجْتُ إِلَيْهِ وَاخْتَجْتُ إِلَيْكَ فِيهِ ،

وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَهَابِهِ عَوْدُ الْعَدَاوَةِ . وَلَا خَيْرَ لِلضَّعِيفِ
فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ ، وَلَا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ الْعَدُوِّ الْعَزِيزِ .
وَلَا أَعْلَمُ لَكَ قَبْلِي حَاجَةً ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ أَكْلِي ؛ وَلَا أَعْلَمُ
لِي قَبْلَكَ حَاجَةً ، وَلَيْسَ عِنْدِي بِكَ ثِقَةٌ : فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ
أَنَّ الضَّعِيفَ الْمُحْتَرَسَ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ
مِنَ الْقَوِيِّ إِذَا اغْتَرَّ بِالضَّعِيفِ وَاسْتَرْسَلَ إِلَيْهِ . وَالْعَاقِلُ
يُصَالِحُ عَدُوَّهُ إِذَا اضْطُرَّ إِلَيْهِ ، وَيُصَانِعُهُ ، وَيُظْهِرُ لَهُ وَدَّهُ ؛
وَيُرِيهِ مِنْ نَفْسِهِ الْإِسْتِرْسَالَ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا ،
ثُمَّ يَعَجِّلُ الْإِنْصِرَافَ عَنْهُ ، حِينَ يَجِدُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ
سَرِيعَ الْإِسْتِرْسَالِ لَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ . وَالْعَاقِلُ يَنْفِي لِمَنْ صَالَحَهُ
مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا يَتَّقِي بِهِ كُلَّ الثَّقَةِ ،
وَلَا يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ الْقُرْبِ مِنْهُ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْعَدَ عَنْهُ
مَا اسْتَطَاعَ . وَأَنَا أَوْدُكَ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَحِبُّ لَكَ مِنَ الْبَقَاءِ
وَالسَّلَامَةِ ، مَا لَمْ أَكُنْ أَحِبُّهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ . وَلَا عَلَيكَ أَنْ تُجَازِيَنِي
عَلَى صَنِيعِي إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ : إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَيَّ اجْتِمَاعِنَا وَالسَّلَامُ .

بَابُ ابْنِ الْمَلِكِ وَالطَّائِرِ فَنَزَّةً

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ التُّرَاتِ الَّذِينَ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ
 مِنْ اتِّقَاءِ بَعْضٍ . قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ
 كَانَ يُقَالُ لَهُ بَرِيدُونُ ، وَكَانَ لَهُ طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ فَنَزَّةٌ ، وَكَانَ لَهُ فَرَخٌ
 وَكَانَ هَذَا الطَّائِرُ وَفَرَخُهُ يَنْطِقَانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ ، وَكَانَ الْمَلِكُ
 بِهِمَا مُعْجَبًا . فَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ امْرَأَتِهِ ، وَأَمَرَهَا بِالْمُحَافَظَةِ
 عَلَيْهِمَا . وَاتَّفَقَ أَنَّ امْرَأَةَ الْمَلِكِ وَلَدَتْ غُلَامًا ، فَأَلِفَ الْفَرَخُ
 الْغُلَامَ . وَكِلَاهُمَا طِفْلَانِ يَلْعَبَانِ بَجَمِيعًا . وَكَانَ فَنَزَّةٌ يَذْهَبُ
 إِلَى الْجَبَلِ كُلِّ يَوْمٍ ، فَيَأْتِي بِفَاكِهَةٍ لَا تُعْرَفُ ، فَيُطْعِمُ
 ابْنَ الْمَلِكِ شَطْرَهَا ، وَيُطْعِمُ فَرَخَهُ شَطْرَهَا . فَأَسْرَعَ ذَلِكَ
 فِي نَسَائِهِمَا ، وَزَادَ فِي شَبَابِهِمَا ، وَبَانَ عَلَيْهِمَا أَمْرُهُ عِنْدَ الْمَلِكِ :
 فَازْدَادَ لِفَنَزَّةٍ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا وَمَحَبَّةً ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ
 الْأَيَّامِ وَفَنَزَّةٌ غَائِبٌ فِي اجْتِنَاءِ الثَّمَرَةِ ، وَفَرَخُهُ فِي حِجْرِ الْغُلَامِ ،

(١) جمع ترة وهي النار .

ذَرَقَ فِي جِرِّهِ ، فَغَضِبَ الْغُلَامُ ، وَأَخَذَ الْفَرَّخَ فَضَرَبَ بِهِ
الْأَرْضَ فَمَاتَ . ثُمَّ إِنَّ فَنزَةَ أَقْبَلَ فَوَجَدَ فَرَّخَهُ مَقْتُولًا ،
فَصَاحَ وَحَزِنَ ، وَقَالَ : قُبْحًا لِلْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وِفَاءَ !
وَيْلٌ لِمَنْ ابْتُلِيَ بِصُحْبَةِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ لَا حِمِيَّةَ لَهُمْ وَلَا حُرْمَةَ ،
وَلَا يُحِبُّونَ أَحَدًا وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا طَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ
غَنَاءٍ ، وَآخْتَأَجُوا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ : فَيُكْرِمُونَهُ لِدَلِكِ ،
فَإِذَا ظَفِرُوا بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ ، فَلَا وُدَّ ، وَلَا إِخَاءَ ، وَلَا إِحْسَانَ ،
وَلَا غُفْرَانَ ذَنْبٍ ، وَلَا مَعْرِفَةَ حَقِّ ! هُمُ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ مَبْنِيٌّ
عَلَى النَّبَاءِ وَالْفُجْرِ . وَهُوَ لَسْتَصْغُرُونَ مَا تَكْتُمُهُ مِنْ عِظَامِ

الذُّنُوبِ ، وَيَسْتَعْظِمُونَ الْإِسِيرَ إِذَا خُولِفَتْ فِيهِ أَهْوَاؤُهُمْ .
وَمِنْهُمْ هَذَا الْكُفُورُ الَّذِي لَا رَحْمَةَ لَهُ ، الْغَادِرُ بِالْيَمِينِ وَأَخِيهِ .
لَمْ وَثَبَ فِي شِدَّةِ حَنْقِهِ عَلَى وَجْهِ الْغُلَامِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ ، وَطَارَ فَوْقَ
عَلَى شُرْفَةِ الْمَنْزِلِ . ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَ الْمَلِكَ ذَلِكَ ، فَخَرَعَ أَشَدَّ الْخَرَجِ ،
ثُمَّ طَمِعَ أَنْ يَحْتَالَ لَهُ ، فَوَقَّفَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَنَادَاهُ ، وَقَالَ لَهُ :

مَأْخُودٌ بِغَدْرِهِ ، وَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأَهُ عَاجِلُ الْعُقُوبَةِ ، لَمْ يُخْطِئْهُ
الْأَجَلُ ، حَتَّى إِنَّهُ يُدْرِكُ الْأَعْقَابَ وَأَعْقَابَ الْأَعْقَابِ . وَإِنَّ
ابْنَكَ غَدَرَ بِابْنِي ، فَعَجَّتُ لَهُ الْعُقُوبَةُ . قَالَ الْمَلِكُ : لَعَمْرِي
قَدْ غَدَرْنَا بِابْنِكَ ، فَأَنْتَقَمْتَنَا : فَلَيْسَ لَكَ قِبَلْنَا ، وَلَا لَنَا
قِبَلَكَ وَتُرْمَلُوبٌ . فَارْجِعْ إِلَيْنَا آمِنًا . قَالَ فَتَزَعُ : لَسْتُ
بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ أَبَدًا : فَإِنَّ ذَوِي الرَّأْيِ قَدْ نَهَوْا عَنْ قُرْبِ الْمُتَوَتُّورِ^(١)
فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُكَ لُطْفَ الْحَقُودِ وَلَيْنُهُ وَتَكْرِمَتُهُ إِلَّا وَحْشَةً
مِنْهُ ، وَسُوءَ ظَنٍّ بِهِ : فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ لِلْحَقُودِ الْمُتَوَتُّورِ أَمَانًا هُوَ
أَوْثَقُ لَكَ مِنَ الدُّعْرِ مِنْهُ ، وَلَا أَجُودُ مِنَ الْبُعْدِ عَنْهُ ،
وَالِإِحْتِرَاسُ مِنْهُ أَوْلَى . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : إِنَّ الْعَاقِلَ يَعُدُّ أَبُوَيْهِ
أَصْدِقَاءَ ، وَالْأَخُوَةَ رُفَقَاءَ ، وَالْأَزْوَاجَ الْفَاءَ ، وَالسَّنِينَ ذِكْرًا ،

وَالسَّنَاتُ خُصَاءَ ، وَالْأَقَابَ غُرْمَاءَ وَنَعُدُّ نَفْسَهُ قَدًّا . وَأَنَا

الْفَرِيدُ الْوَحِيدُ الْغَرِيبُ الطَّرِيدُ ، قَدْ تَزَوَّدْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ مِنَ
الْحُزْنِ عِبْنًا ثَقِيلًا ، لَا يَحْمِلُهُ مَعِيَ أَحَدٌ . وَأَنَا ذَاهِبٌ . فَعَلَيْكَ
مِنِّي السَّلَامُ .

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ . إِنَّكَ لَهُ لَمْ تَكُنْ أَحْتَسِبْتَنَا مِمَّا صَنَعْنَاهُ^(١)

بِكَ ، بَلْ كَانَ صَنِيعُكَ بِنَا مِنْ غَيْرِ أِبْتِدَاءٍ مِنَّا بِالْغَدْرِ ، كَانَ
الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ . وَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ بِدَأْنَاكَ ، فَمَا ذَنْبُكَ ؟
وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنَ الثِّقَةِ بِنَا ؟ هَلَمْ فَارْجِعْ : فَإِنَّكَ آمِنٌ .
قَالَ فَنَزَتْ : اعْلَمْ أَنَّ الْأَحْقَادَ لَهَا فِي الْقُلُوبِ مَوَاقِعُ مُمَكَّنَةٌ
مُوجِعَةٌ . فَالْأَلْسُنُ لَا تَصْدُقُ فِي خَبَرِهَا عَنِ الْقُلُوبِ ،
وَالْقَلْبُ أَعْدَلُ شَهَادَةً مِنَ اللِّسَانِ عَلَى الْقَلْبِ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ
قَلْبِي لَا يَشْهَدُ لِلِّسَانِ ، وَلَا قَلْبُكَ لِلِّسَانِي . قَالَ الْمَلِكُ : أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ الضَّغَائِنَ وَالْأَحْقَادَ تَكُونُ بَيْنَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ : فَمَنْ
كَانَ ذَا عَقْلٍ ، كَانَ عَلَى إِمَاتَةِ الْحَقِّدِ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ .
قَالَ فَنَزَتْ : إِنَّ ذَلِكَ لَكَمَا ذَكَرْتَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ يَنْبَغِي لِي
الرَّأْيَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَظَنَّ أَنَّ الْمُؤْتَوِّرَ الْحَقُودَ نَاسٍ مَا وَتَرِيهِ ،
مَصْرُوفٌ عَنْهُ فِكْرُهُ فِيهِ . وَذُو الرَّأْيِ يَخْشَوْفُ الْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ
وَالْحَيْلَ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَدُوِّ لَا يُسْتَطَاعُ بِالشَّدَّةِ

وَالْمُكَابِرَةَ ؛ حَتَّى يُصَادَ بِالرَّفْقِ وَالْمَلَايِنَةِ : كَمَا يُصَادُ الْفَيْلُ
الْوَحْشِيُّ بِالْفَيْلِ الدَّاجِنِ . قَالَ الْمَلِكُ : إِنَّ الْعَاقِلَ الْكَرِيمَ
لَا يَتْرُكُ إِنْفَهُ ، وَلَا يَقْطَعُ إِنْخَوَانَهُ وَلَا يُضَيِّعُ الْحِفَاطَ ، وَإِنْ
هُوَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ؛ حَتَّى إِنَّ هَذَا الْخَلْقَ يَكُونُ فِي أَوْضِعِ
الدَّوَابِّ مَنْزِلَةً : فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّعَّابِينَ يَلْعَبُونَ بِالْكِلَابِ ،
ثُمَّ يَذَبُّونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا . وَيَرَى الْكَلْبُ الَّذِي قَدْ أَلْفَهُمْ ذَلِكَ ،
فَلَا يَدْعُوهُ إِلَى مُفَارَقَتِهِمْ ، وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَلْفَتِهِ إِيَّاهُمْ .
قَالَ فَنَزَّةُ : إِنَّ الْأَحْقَادَ مَخُوفَةً حَيْثُمَا كَانَتْ . فَأَخَوْفُهَا وَأَشَدُّهَا
مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ الْمُلُوكِ : فَإِنَّ الْمُلُوكَ يَدِينُونَ بِالْإِنْتِقَامِ ،
وَيَرُونَ الدَّرْكَ وَالطَّلَبَ بِالْوَتْرِ مَكْرَمَةً وَنَفْرًا . وَإِنَّ الْعَاقِلَ لَا يَغْتَرُّ
بِسُكُونِ الْحَقْدِ إِذَا سَكَنَ فَإِنَّمَا مَثَلُ الْحَقْدِ فِي الْقَابِ ، إِذَا لَمْ
يَجِدْ مُحَرَّكًَا ، مَثَلُ الْجَمْرِ الْمَكُونِ ، مَا لَمْ يَجِدْ حَطْبًا ، فَلَيْسَ
يَنْفَكُ الْحَقْدُ مُتَطَلِّعًا إِلَى الْعِلَلِ ، كَمَا تَبْتَغِي النَّارُ الْحَطَبَ :
فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً اسْتَعَرَّ اسْتِعَارَ النَّارِ : فَلَا يُطْفِئُهُ حُسْنُ كَلَامٍ ،
وَلَا لِينٌ وَلَا رِفْقٌ ، وَلَا خُضُوعٌ وَلَا تَضَرُّعٌ وَلَا مُصَانَعَةٌ ، وَلَا شَيْءٌ

دُونَ تَلْفِ الْأَنْفُسِ . مَعَ أَنَّهُ رَبٌّ وَاتِرٌ يَطْمَعُ فِي مُرَاجَعَةِ
 الْمُوتُورِ بِمَا يَرْجُو أَنَّ يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ النَّفْعِ لَهُ ، وَالِدَفْعِ عَنْهُ .
 وَلَكِنِّي أَنَا أضعفُ عَنْ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ يَذْهَبُ بِهِ مَا فِي
 نَفْسِكَ . وَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ مُنْطَوِيَةً لِي عَلَى مَا تَقُولُ مَا كَانَ
 ذَلِكَ عَنِّي مُغْنِيًا . وَلَا أَزَالُ فِي خَوْفٍ وَوَحْشَةٍ ، وَسُوءِ ظَنٍّ ،
 مَا اضْطَحَبْنَا . فَلَيْسَ الرَّأْيُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا الْفِرَاقُ .
 وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ .

قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ ضَرًّا
 وَلَا نَفْعًا ، وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ الْأَشْيَاءِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، يُصِيبُ
 أَحَدًا ، إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَكَمَا أَنَّ خَلْقَ مَا يُخْلَقُ ،
 وَوِلَادَةَ مَا يُوَلَدُ ، وَبَقَاءَ مَا يَبْقَى ، لَيْسَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْهُ
 شَيْءٌ ، كَذَلِكَ فَنَاءُ مَا يَفْنَى ، وَهَلَاكُ مَا يَهْلِكُ . وَلَيْسَ لَكَ
 فِي الَّذِي صَنَعْتَ بِابْنِي ذَنْبٌ ، وَلَا لِابْنِي فِيمَا صَنَعَ بِابْنِكَ ذَنْبٌ .
 إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ قَدْرًا مَقْدُورًا ، وَكَلَانًا لَهُ عِلَّةٌ : فَلَا
 نُوَأْخِذُ بِمَا أَتَانَا بِهِ الْقَدَرُ . قَالَ فَنزَةٌ : إِنَّ الْقَدَرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ ،
 لَكِن لَّا يَمْنَعُ ذَلِكَ الْحَارِمَ مِنْ تَوَقُّيِ الْخَوَافِ ، وَالِاحْتِرَاسِ

مِنَ الْمَكَارِهِ . وَلَكِنَّهُ يَجْمَعُ تَصَدِيقًا بِالْقَدَرِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ
وَالْقُوَّةِ . مَا نَا أَعْلَى أَنْكَ تَكَلَّمْنَا بَعْدَ مَا فَرَّقْنَاكَ مِنَ الْأُمِّ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ : لِأَنَّ ابْنَكَ قَتَلَ ابْنِي ، وَأَنَا فَقَّاتُ عَيْنِ
ابْنِكَ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَفِيَ بِقَتْلِي ، وَتَحْتَلِنِي عَنِ نَفْسِي ،
وَالنَّفْسُ تَأْتِي الْمَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ : الْفَاقَةُ بَلَاءٌ ، وَالْحُزْنُ
بَلَاءٌ ، وَقُرْبُ الْعَدُوِّ بَلَاءٌ ، وَفِرَاقُ الْأَحِبَّةِ بَلَاءٌ ، وَالسَّقْمُ بَلَاءٌ ،
وَالْهَرَمُ بَلَاءٌ ، وَرَأْسُ الْبَلَايَا كُلِّهَا الْمَوْتُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ بِأَعْلَمَ
بِمَا فِي نَفْسِ الْمَوْجِعِ الْحَزِينِ مِمَّنْ ذَاقَ مِثْلَ مَا بِهِ . فَأَنَا
بِمَا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ : لِلْمِثْلِ الَّذِي عِنْدِي مِنْ
ذَلِكَ . وَلَا خَيْرَ لِي فِي صُحْبَتِكَ : فَإِنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي
بِابْنِكَ ، وَلَنْ أَتَذَكَّرَ صَنِيعَ ابْنِكَ بِابْنِي ، إِلَّا أَحَدَثَ ذَلِكَ
لِقُلُوبِنَا تَغْيِيرًا .

قَالَ الْمَلِكُ . لَا خَيْرَ فَمَنْ لَا سَتَطَعُ الْأَعْرَاضَ عَمَّا

قَدَمَهُ قُرْحَةً ، إِنْ هُوَ حَرَصَ عَلَى الْمَشْيِ ، فَلَا بُدَّ أَنَّهُ لَا يَزَالُ
 يَسْتَكِي قُرْحَتَهُ . وَالرَّجُلُ الْأَرْمَدُ الْعَيْنِ إِذَا اسْتَقْبَلَ بِهَا الرِّيحَ ،
 تَعَرَّضَ لِأَنْ تَزْدَادَ رَمْدًا . وَكَذَلِكَ الْوَاتِرُ إِذَا دَنَا مِنَ الْمُوتُورِ ،
 فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلِهْلَاكِ . وَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الدُّنْيَا
 إِلَّا تَوَقَّى الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ ، وَتَقَدَّرَ الْأُمُورَ وَقِنَلَةَ الْإِتِّكَالِ
 عَلَى الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، وَقِلَّةُ الْإِغْتِرَارِ بِمَنْ لَا يَأْمَنُ : فَإِنَّهُ مِنْ
 اتَّكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ ، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَسْلُكَ الطَّرِيقَ الْمَخُوفَ ،
 فَقَدْ سَعَى فِي حَتْفِ نَفْسِهِ . وَمَنْ لَا يَقْدِرُ لِطَاقَتِهِ طَعَامَهُ
 وَشَرَابَهُ ، وَحَمَلَ نَفْسَهُ مَا لَا تُطِيقُ وَلَا تَحْمِلُ ، فَقَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ .
 وَمَنْ لَا يَقْدِرُ لِقَمَّتِهِ ، وَعَظَمَهَا فَوْقَ مَا يَسَعُ فُوهَ ، فَرُبَّمَا
 غَصَّ بِهَا فَمَاتَ . وَمَنْ اغْتَرَّ بِكَلَامِ عَدُوِّهِ ، وَانْخَدَعَ لَهُ ،
 وَضَيَعَ الْحَزْمَ ، فَهُوَ أَعْدَى لِنَفْسِهِ مِنْ عَدُوِّهِ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ
 النَّظْرُ فِي الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ وَلَا مَا يُصْرَفُ
 عَنْهُ ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِالْحَزْمِ وَالْأَخْذُ بِالْقُوَّةِ وَمُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ
 فِي ذَلِكَ . وَالْعَاقِلُ لَا يَثِقُ بِأَحَدٍ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلَا يُقِيمُ عَلَى
 خَوْفٍ وَهُوَ يُجِدُ عَنْهُ مَذْهَبًا . وَأَنَا كَثِيرُ الْمَذَاهِبِ ، وَأَرْجُو

أَلَا أَذْهَبَ وَجْهًا إِلَّا أَصَبْتُ فِيهِ مَا يُغْنِينِي : فَإِنَّ خِلَالَ نَحْسًا
 مِنْ تَزَوَّدَهُنَّ كَفَيْنَهُ فِي كُلِّ وَجْهِ ، وَأَنْسَنَهُ فِي كُلِّ غُرْبَةٍ ،
 وَقَرَّبَنَ لَهُ الْبَعِيدَ ، وَأَكْسَبَنَهُ الْمَعَاشَ وَالْإِخْوَانَ : أَوْلَهُنَّ كَفُّ
 الْأَدَى ، وَالثَّانِيَةُ حُسْنُ الْأَدَبِ ، وَالثَّلَاثَةُ مَجَانِبَةُ الرَّيْبِ ،
 وَالرَّابِعَةُ كَرَمُ الْخُلُقِ ، وَالْخَامِسَةُ النَّبْلُ فِي الْعَمَلِ . وَإِذَا خَافَ

وَالْوَطْنَ : فَإِنَّهُ يَرْجُو الْخُلْفَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلَا يَرْجُو عَنِ النَّفْسِ
 خَلْفًا . وَشَرُّ الْمَالِ مَا لَا إِتْفَاقَ مِنْهُ ، وَشَرُّ الْأَزْوَاجِ الَّتِي
 لَا تُؤَاتِي بَعْلَهَا ، وَشَرُّ الْوَالِدِ الْعَاصِي الْعَاقَ لِوَالِدَيْهِ ، وَشَرُّ
 الْإِخْوَانِ الْخَاذِلِ لِأَخِيهِ عِنْدَ النَّجَاتِ وَالشَّدَائِدِ ، وَشَرُّ الْمُلُوكِ

بَابُ الْأَسَدِ وَالشَّغْبَرِ النَّاسِكِ وَهُوَ ابْنُ آوَى

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ ، فَأَضْرِبْ لِي مَثَلَ الْمَلِكِ الَّذِي يُرَاجِعُ ^(١) مِنْ أَصَابَتِهِ مِنْهُ عَقُوبَةً
 مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ، أَوْ جَفْوَةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ :
 إِنَّ الْمَلِكَ لَوْ لَمْ يُرَاجِعْ مِنْ أَصَابَتِهِ مِنْهُ جَفْوَةً عَنْ ذَنْبٍ أَوْ عَنْ
 غَيْرِ ذَنْبٍ ، ظَلِمَ أَوْ لَمْ يُظْلَمَ ، لِأَضْرَدَكَ بِالْأُمُورِ ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ
 حَقِيقٌ أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِ مَنْ ابْتُلِيَ بِذَلِكَ ، وَيَخْبُرَ مَا عِنْدَهُ مِنْ
 الْمَنَافِعِ . فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ يُوثِقُ بِهِ فِي دَائِهِ وَأَمَانَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ

حَقِيقٌ بِالْحَرِصِ عَلَى مُرَاجَعَتِهِ : فَإِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسْتَطَاعُ ضَبْطُهُ
 إِلَّا مَعَ ذَوِي الرَّأْيِ وَهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْأَعْوَانُ وَلَا يُنْتَفَعُ بِالْوُزَرَاءِ
 وَالْأَعْوَانِ إِلَّا بِالْمُودَةِ وَالنَّصِيحَةِ ، وَلَا مُودَةَ وَلَا نَصِيحَةَ إِلَّا لِدَوِي
 الرَّأْيِ وَالْعَفَافِ . وَأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ ، وَالَّذِينَ يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ
 مِنَ الْعَمَالِ وَالْأَعْوَانِ كَثِيرُونَ . وَمَنْ يَجْمَعُ مِنْهُمْ مَا ذَكَرْتُ مِنْ
 النَّصِيحَةِ وَالْعَفَافِ قَلِيلٌ . وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ الْأَسَدِ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ ابْنَ آوَى كَانَ يَسْكُنُ فِي بَعْضِ
 الدُّحَالِ ^(١) ، وَكَانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا ، مَعَ بَنَاتِ آوَى وَذِيئَابِ
 وَثَعَالِبَ . وَلَمْ يَكُنْ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعْنَ ، وَلَا يُغَيِّرُ كَمَا يُغَيِّرْنَ ،
 وَلَا يَهْرِيقُ دَمًا ، وَلَا يَأْكُلُ لَحْمًا . نَخَاصِمُهُ تِلْكَ السَّبَاعُ ، وَقَانُ :
 لَا نَرْضَى بِسِيرَتِكَ وَلَا رَأْيِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ :
 مَعَ أَنَّ تَزَهُّدَكَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ
 إِلَّا كَأَحَدِنَا . تَسَعُ مَعَنَا ، وَتَفْعَا فَعَلْنَا فَمَا اللَّهُ ، كَقَوْلِكَ عَزَّ

الدَّمَاءُ وَعَنْ أَكَا اللّٰهُ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ صِحَّةَ ابْنِ آوَى

ابْنُ آوَى عَلَى حَالِهِ تِلْكَ ، وَاشْتَهَرَ بِالنُّسْكِ وَالتَّزْهِدِ ، حَتَّى بَلَغَ
 ذَلِكَ أَسَدًا كَانَ مَلِكَ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، فَرَغِبَ فِيهِ : لِمَا بَلَغَهُ عَنْهُ
 مِنَ الْعَفَافِ وَالنَّزَاهَةِ وَالزُّهْدِ وَالْأَمَانَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ .
 فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَأَتَسَّهُ فَوَجَدَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَفَقَّ غَرَضِهِ .
 ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى صُحْبَتِهِ وَقَالَ لَهُ : تَعْلَمُ أَنَّ عُمَّالِي كَثِيرٌ ،
 وَأَعْوَانِي جَمٌّ غَفِيرٌ ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ إِلَى الْأَعْوَانِ مُحْتَاجٌ . وَقَدْ
 بَلَغَنِي عَنْكَ عَفَافٌ وَادَبٌ وَعَقْلٌ وَدِينٌ ، فَازْدَدْتُ فِيكَ رَغْبَةً .
 وَأَنَا مُوَلِّيكَ مِنْ عَمَلِي جَسِيًّا وَرَافِعُكَ إِلَى مَنْزِلَةِ شَرِيفَةٍ ، وَجَاعِلُكَ
 مِنْ خَاصَّتِي . قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّ الْمُلُوكَ أَحْقَاءُ بِاخْتِيَارِ الْأَعْوَانِ
 فِيمَا يَهْتَمُونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ . وَهُمْ آخَرَى إِلَّا يُكْرَهُوا
 عَلَى ذَلِكَ أَحَدًا : فَإِنَّ الْمُكْرَهَ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُبَالِغَةَ فِي الْعَمَلِ . وَإِنِّي
 لِعَمَلِ السُّلْطَانِ كَارِهِ . وَلَيْسَ لِي بِهِ تَجْرِبَةٌ ، وَلَا بِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ .
 وَأَنْتَ مَلِكُ السَّبَاعِ ، وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ عَدَدٌ كَثِيرٌ ،
 فِيهِمْ أَهْلُ نُبْلِ وَقُوَّةٍ ، وَلَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ حِرْصٌ ، وَعِنْدَهُمْ بِهِ
 وَبِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ : فَإِنْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ أَغْنَوْا عَنْكَ ، وَاعْتَبَطُوا لِأَنْفُسِهِمْ .

بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ الْأَسَدُ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا : فَإِنِّي غَيْرُ
مُعْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ . قَالَ ابْنُ آوَى : إِنَّمَا يَسْتَطِيعُ خِدْمَةَ
السُّلْطَانِ رَجُلَانِ لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا : إِمَّا فَاجِرٌ مُصَانِعٌ ، يَنَالُ
حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ ، وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ ؛ وَإِمَّا مُعْظَلٌ لَا يَحْسُدُهُ
أَحَدٌ . فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ السُّلْطَانَ بِالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَلَا يَخِاطُ
ذَلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ ؛ وَحِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى ذَلِكَ : لِأَنَّهُ يُجْتَمَعُ
عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ . أَمَّا الصَّدِيقُ
فَيَنَافِسُهُ فِي مَنَزَلَتِهِ ، وَيَبْغِي عَلَيْهِ فِيهَا ، وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا ؛
وَأَمَّا عَدُوُّ السُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ عَلَيْهِ ، لِنِصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ ، وَإِغْنَانِهِ
عَنْهُ . فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَذَانِ الصِّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ .
قَالَ الْأَسَدُ : لَا يَكُونَنَّ بَغِيٌّ أَصْحَابِي عَلَيْكَ ، وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ
مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ : فَأَنْتَ مَعِي ، وَأَنَا أَكْفِيكَ ذَلِكَ ،
وَأَبْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْكِرَامَةِ وَالْإِحْسَانِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِكَ .
قَالَ ابْنُ آوَى : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ يُرِيدُ الْإِحْسَانَ إِلَيَّ ، فَلْيَدْعُنِي
فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ أَعِيشْ آمِنًا ، قَلِيلَ الْهَمِّ ، رَاضِيًا بِعَيْشِي مِنَ الْمَاءِ

وَالْعُشْبِ : فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَ السُّلْطَانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ
الْأَذَى وَالْخَوْفِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ فِي طُولِ
عُمُرِهِ ؛ وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ
مِنَ الْعَيْشِ فِي خَوْفٍ وَنَصَبٍ . قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ سَمِعْتُ
مَقَالَتَكَ ، فَلَا تَخَفْ شَيْئًا مِمَّا أَرَاكَ تَخَافُ مِنْهُ . وَلَسْتُ
أَجِدُ بُدَاً مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ بِكَ فِي أَمْرِي . قَالَ ابْنُ أَوْي : أَمَا إِذَا
أَبَى الْمَلِكُ إِلَّا ذَلِكَ فَالْيَجْعَلُ لِي عَهْدًا ، إِنْ بَغَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ
أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ ، مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي : مَخَافَةٌ عَلَى مَنْزِلَتِهِ ، أَوْ مِمَّنْ هُوَ
دُونِي : لِيُنَازِعَنِي فِي مَنْزِلَتِي ، فَذَكَرَ عِنْدَ الْمَلِكِ مِنْهُمْ ذَاكِرٌ
بِلِسَانِهِ ، أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ . مَا يُرِيدُ بِهِ تَحْمِيلَ الْمَلِكِ عَلَيَّ ، إِلَّا
يَجْعَلُ فِي أَمْرِي ، وَأَنْ يَتَشَبَّتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذَكَّرُ عِنْدَهُ
مِنْ ذَلِكَ ، وَيَفْحَصَ عَنْهُ ، ثُمَّ لِيُصْنَعَ مَا بَدَأَ لَهُ . فَإِذَا وَثِقْتُ
مِنْهُ بِذَلِكَ ، أَعْنَتُهُ بِنَفْسِي فِيمَا يُحِبُّ ، وَعَمَلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي
بِنَصِيحَةٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَحَرَصْتُ عَلَى الْأَجْعَلِ لَهُ عَلَى نَفْسِي
سَبِيلًا . قَالَ الْأَسَدُ : لَكَ ذَلِكَ عَلَى وَزِيَادَةٍ . ثُمَّ وَاوَاهُ خَزَائِنَهُ ،
وَاخْتَصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ ، وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ .

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ الْأَسَدِ ذَلِكَ ، غَاظَهُمْ وَسَاءَهُمْ . فَأَجْمَعُوا
كَيْدَهُمْ ، وَاتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِ الْأَسَدَ . وَكَانَ الْأَسَدُ
قَدْ اسْتَطَابَ لَحْمًا فَعَزَلَ مِنْهُ مِقْدَارًا ، وَأَمَرَهُ بِالِاخْتِطَافِ بِهِ ،
وَأَنْ يَرْفَعَهُ فِي أَحْصَنِ مَوْضِعٍ طَعَامِهِ وَأَحْرَزِهِ : لِيُعَادَ عَلَيْهِ ؛
فَأَخَذُوهُ مِنْ مَوْضِعِهِ ، وَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِ ابْنِ آوَى ، فَخَبَّئُوهُ فِيهِ ،
وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ ؛ ثُمَّ حَضَرُوا يُكْذِّبُونَهُ إِنْ جَرَتْ فِي ذَلِكَ حَالٌ .
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، وَدَعَا الْأَسَدُ بِغَدَائِهِ ، فَقَدَّ ذَلِكَ اللَّحْمَ ،
فَالْتَمَسَهُ وَلَمْ يَجِدْهُ ؛ وَابْنُ آوَى لَمْ يَشْعُرْ بِمَا صُنِعَ فِي حَقِّهِ مِنَ
الْمَكِيدَةِ . فَحَضَرَ الَّذِينَ عَمِلُوا الْمَكِيدَةَ ، وَقَعَدُوا فِي الْمَجْلِسِ .
ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ سَأَلَ عَنِ اللَّحْمِ ، وَشَدَّدَ فِيهِ ، وَفِي الْمَسْأَلَةِ عَنْهُ ،
فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ قَوْلَ الْمُخْبِرِ النَّاصِحِ :
إِنَّهُ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُخْبِرَ الْمَلِكَ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَنْفَعُهُ ، وَإِنْ شَقَّ
ذَلِكَ عَلَيَّ مَنْ يَسُقُّ عَلَيَّهِ . وَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ ابْنَ آوَى هُوَ الَّذِي
ذَهَبَ بِاللَّحْمِ إِلَى مَنْزِلِهِ . قَالَ الْآخَرُ : لَا أَرَاهُ يَفْعَلُ هَذَا ، وَلَكِنْ
انظُرُوا وَأَخْصُوا : فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْخَلَائِقِ شَدِيدَةٌ . فَقَالَ الْآخَرُ :

لَعَمْرِي مَا تَكَادُ السَّرَائِرُ تُعْرَفُ ، وَأَظُنُّكُمْ إِنْ فَخَصْتُمْ عَنْ هَذَا
وَجَدْتُمْ اللَّحْمَ بِبَيْتِ ابْنِ آوَى ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ يُذَكِّرُ مِنْ عَيْبِهِ وَخِيَانَتِهِ
نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نُصَدِّقَهُ . قَالَ الْآخَرُ : لَئِنْ وَجَدْنَا هَذَا حَقًّا
فَلَيْسَتْ بِالْخِيَانَةِ فَقَطْ ، وَلَكِنْ مَعَ الْخِيَانَةِ كُفْرُ النِّعْمَةِ ، وَالْجَرَاءَةُ
عَلَى الْمَلِكِ . قَالَ الْآخَرُ : أَنْتُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ ، لَا اسْتَطِيعُ
أَنْ أَكْذِبَكُمْ ، وَلَكِنْ سَيَبِينُ هَذَا لَوْ أَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَى بَيْتِهِ مَنْ
يُفْتِّشُهُ . قَالَ آخَرُ : إِنْ كَانَ الْمَلِكُ مُفْتِّشًا مَنْزِلَهُ فَلْيُعَجِّلْ :
فَإِنَّ عَيْبَهُ وَجَوَاسِيَسَهُ مَبْثُوثَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَمْ يَزَالُوا فِي هَذَا
الْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ ، حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِ الْأَسَدِ ذَلِكَ ؛ فَأَمَرَ بِابْنِ
آوَى فَحَضَرَ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّنَ اللَّحْمِ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِالِاخْتِفَاطِ بِهِ ،
قَالَ : دَفَعْتُهُ إِلَى صَاحِبِ الطَّعَامِ لِيُقَرِّبَهُ إِلَى الْمَلِكِ . فَدَعَا
الْأَسَدُ بِصَاحِبِ الطَّعَامِ ؛ وَكَانَ مِنْ شَائِعٍ وَبَايَعَ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى
ابْنِ آوَى . فَقَالَ : مَا دَفَعْتُ إِلَى شَيْئًا . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ أَمِينًا إِلَى بَيْتِ
ابْنِ آوَى لِيُفْتِّشَهُ ، فَوَجَدَ فِيهِ ذَلِكَ اللَّحْمَ ؛ فَأَتَى بِهِ الْأَسَدَ .
فَدَنَا مِنْ الْأَسَدِ ذِئْبٌ لَمْ يَكُنْ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ

يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ الْعُدُولِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا لَا يَعْلَمُونَ ، حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ اطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى خِيَانَةِ ابْنِ
أَوْى فَلَا يَعْفُونَ عَنْهُ : فَإِنَّهُ إِنْ عَفَا عَنْهُ لَمْ يَطَّلِعِ الْمَلِكُ بَعْدَهَا
عَلَى خِيَانَةِ خَائِنٍ ، وَلَا ذَنْبِ مُذْنِبٍ . فَأَمَرَ الْأَسَدُ بِابْنِ أَوْى أَنْ
يُخْرَجَ ، وَيُحْتَفَظَ بِهِ . فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ الْمَلِكِ : إِنِّي لَا أُعْجَبُ
مِنْ رَأْيِ الْمَلِكِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْأُمُورِ كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرٌ هَذَا ،
وَلَمْ يَعْرِفْ خَبْرَهُ وَمُخَادَعَتَهُ ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنِّي أَرَاهُ سِيَصْفَحُ
عَنْهُ ، بَعْدَ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ . فَأَرْسَلَ الْأَسَدُ بَعْضَهُمْ رَسُولًا إِلَى
ابْنِ أَوْى يَلْتَمِسُ مِنْهُ الْعُذْرَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ بِرِسَالَةٍ كَاذِبَةٍ
اخْتَرَعَهَا ، فَغَضِبَ الْأَسَدُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِابْنِ أَوْى أَنْ يُقْتَلَ .
فَعَلِمَتْ أُمُّ الْأَسَدِ أَنَّهُ قَدْ عَجَلَ فِي أَمْرِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى الَّذِينَ أَمَرُوا
بِقَتْلِهِ أَنْ يُوْنَحِرُوهُ ، وَدَخَلَتْ عَلَى ابْنِهَا ، فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ بِأَيِّ ذَنْبٍ
أَمَرْتَ بِقَتْلِ ابْنِ أَوْى ؟ فَأَخْبَرَهَا بِالْأَمْرِ . فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ
عَجَلْتَ . وَإِنَّمَا يَسْلَمُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّدَامَةِ بِتَرْكِ الْعَجَلَةِ
وَبِالتَّثَبُّتِ . وَالْعَجَلَةُ لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَجْتَنِي ثَمْرَةَ النَّدَامَةِ ،

بِسَبَبِ ضَعْفِ الرَّأْيِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى التُّوَدَةِ وَالتَّثَبُّتِ
 مِنَ الْمُلُوكِ : فَإِنَّ الْمَرْأَةَ بِزَوْجِهَا ، وَالْوَلَدَ بِوَالِدَيْهِ ، وَالْمُتَعَلِّمَ
 بِالْمُعَلِّمِ ، وَالْجُنْدَ بِالْقَائِدِ ، وَالنَّاسِكَ بِالدِّينِ ، وَالْعَامَّةَ
 بِالْمُلُوكِ ، وَالْمُلُوكَ بِالتَّقْوَى ، وَالتَّقْوَى بِالْعَقْلِ ، وَالْعَقْلَ
 بِالتَّثَبُّتِ وَالْأَنَاةِ ؛ وَرَأْسُ الْكُلِّ الْحَزْمُ ، وَرَأْسُ الْحَزْمِ لِلْمَلِكِ
 مَعْرِفَةُ أَصْحَابِهِ ، وَإِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ ، وَاتِّهَامُهُ بَعْضَهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ . فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَلَاكِ بَعْضٍ سَبِيلًا
 لَفَعَلَ . وَقَدْ جَرَّبَتْ ابْنَ آوَى ، وَبَلَوَتْ رَأْيَهُ وَأَمَانَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ ،
 ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَادِحًا لَهُ رَاضِيًا عَنْهُ . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَخُونَهُ
 بَعْدَ ارْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَأَتِمَّانِهِ لَهُ ، وَمُنْذُ مَجِيئِهِ إِلَى الْآنَ لَمْ يُطَّلَعْ لَهُ
 عَلَى خِيَانَةٍ إِلَّا عَلَى الْعِفَّةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَمَا كَانَ رَأْيُ الْمَلِكِ
 أَنْ يُعَجَّلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طَائِقِ لَحْمٍ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ
 تَنْظُرَ فِي حَالِ ابْنِ آوَى : لَتَعْلَمَنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَتَعَرَّضَ لِللَّحْمِ
 اسْتَوْدَعْتَهُ إِيَّاهُ . وَلَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذَلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ
 ابْنَ آوَى لَهُ خُصَمَاءُ هُمُ الَّذِينَ أَتَمَرُوا بِهَذَا الْأَمْرِ . وَهُمْ الَّذِينَ

ذَهَبُوا بِاللَّحْمِ إِلَى بَيْتِهِ فَوَضَعُوهُ فِيهِ : فَإِنَّ الْحِدَاةَ إِذَا كَانَ
 فِي رِجْلِهَا قِطْعَةً لَحْمٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا سَائِرُ الطَّيْرِ ، وَالْكَلْبَ إِذَا
 كَانَ مَعَهُ عَظْمٌ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْكِلَابُ . وَابْنُ آوَى مُنْذُ كَانَ
 إِلَى الْيَوْمِ نَافِعٌ ، وَكَانَ مُحْتَمِلًا لِكُلِّ ضَرَرٍ فِي جَنْبٍ مَنفَعَةٍ
 تَصِلُ إِلَيْكَ ، وَلِكُلِّ عَنَاءٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ رَاحَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ
 يَطْوِي دُونَكَ سِرًّا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأَسَدِ بَعْضُ ثِقَاتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِبِرَاءَةِ ابْنِ آوَى . فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ ،
 بَعْدَ أَنْ أَطَّلَعَ الْمَلِكُ عَلَى بِرَاءَةِ ابْنِ آوَى : إِنَّ الْمَلِكَ حَقِيقٌ أَلَّا
 يُرَخِّصَ لِمَنْ سَعَى بِهِ لِثَلَاثَ بَجَرَّةٍ وَعَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ،

وَتَعَطِفَ عَلَيْهِ ، وَلَا يُوسِّنَكَ مِنْ مُنَاصِحَتِهِ مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَيْهِ
 مِنَ الْإِسَاءَةِ : فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حَالٍ مِنَ
 الْأَحْوَالِ ، وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالصَّلَاحِ وَالْكَرَمِ وَحُسْنِ الْعَهْدِ
 وَالشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْمُحَبَّةِ لِلنَّاسِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبُعْدِ
 مِنَ الْأَذَى وَالِإِحْتِمَالِ لِلْإِخْوَانِ وَالْأَصْحَابِ وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ
 مِنْهُمُ الْمَثُونَةُ . وَأَمَّا مَنْ يَنْبَغِي تَرْكُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالشَّرَاسَةِ وَلُومِ
 الْعَهْدِ وَقِلَّةِ الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ وَالْبُعْدِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْوَرَعِ ، وَاتَّصَفَ
 بِالْجُحُودِ لِثَوَابِ الْآخِرَةِ وَعِقَابِهَا . وَقَدْ عَرَفْتَ ابْنَ آوَى وَجَرَبْتَهُ
 وَأَنْتَ حَقِيقٌ بِمُؤَاصَلَتِهِ .

فَدَعَا الْأَسَدُ بِابْنِ آوَى وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ مِنْهُ وَوَعَدَهُ
 خَيْرًا ، وَقَالَ : إِيَّيْ مُعْتَذِرٌ إِلَيْكَ وَرَادُّكَ إِلَى مَنْزِلَتِكَ . فَقَالَ
 ابْنُ آوَى : إِنَّ شَرَّ الْأَخْلَاءِ مِنَ التَّمَسِّ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضُرِّ أَخِيهِ ،
 وَمَنْ كَانَ غَيْرَ نَاطِرٍ لَهُ كُنْظَرِهِ لِنَفْسِهِ ، أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرْضِيَهُ
 بِغَيْرِ الْحَقِّ لِأَجْلِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ . وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ ذَلِكَ بَيْنَ

الْأَخْلَاءُ . وَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَى مَا عَلِمَ ؛ فَلَا يَغْلُظَنَّ عَلَى
 نَفْسِهِ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ أَنِّي بِهِ غَيْرُ وَائِقٍ ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَصْحَبَهُ :
 فَإِنَّ الْمُلُوكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْحَبُوا مَنْ عَاقَبُوهُ أَشَدَّ الْعِقَابِ ؛
 وَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَرْفُضُوهُ أَصْلًا : فَإِنَّ ذَا السُّلْطَانِ إِذَا عَزَلَ
 كَانَ مُسْتَحِقًّا لِلْكَرَامَةِ فِي حَالَةِ إِبْعَادِهِ وَالْإِقْصَاءِ لَهُ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ
 الْأَسَدُ إِلَى كَلَامِهِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ طِبَاعَكَ
 وَأَخْلَاقَكَ ، وَجَرَّبْتُ أَمَانَتَكَ وَوَفَاءَكَ وَصِدْقَكَ ؛ وَعَرَفْتُ

بَابُ إِيْلَادَ وَبِلَادَ وَإِرَاخْتِ

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ ، فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ
 يُلْزِمَ بِهَا نَفْسَهُ ، وَيَحْفَظَ مُلْكَهُ وَيُثَبِّتَ سُلْطَانَهُ ، وَيَكُونَ ذَلِكَ
 رَأْسَ أَمْرِهِ وَمِلاَكَهُ : أَيْ الْحِلْمِ أَمْ بِالْمُرُوءَةِ أَمْ بِالشَّجَاعَةِ أَمْ
 بِالْجُودِ ؟ قَالَ بَيْدَبَا : إِنَّ أَحَقَّ مَا يَحْفَظُ بِهِ الْمَلِكُ مُلْكَهُ
 الْحِلْمُ ، وَبِهِ تُثَبِّتُ السُّلْطَنَةُ ، وَالْحِلْمُ رَأْسُ الْأُمُومِ وَمِلاَكَهَا ،

وَأَجُودُ مَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ : كَالَّذِي زَعَمُوا مِنْ أَنَّهُ كَانَ مَلِكٌ يُدْعَى

ثُمَّ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ أَحَدِهِمْ وَأَتَمُّرُوا بَيْنَهُمْ . وَقَالُوا : قَدْ وَجَدْتُمْ

أَنَّهُ قَتَلَ مِنَّا بِالْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ نَفْسًا . وَهِيَ هُوَ قَدْ أَطْلَعَنَا
عَلَى سِرِّهِ وَسَأَلْنَا تَفْسِيرَ رُؤْيَاةِ : فَهَلُّهُمُوا نَغْلِظُ لَهُ الْقَوْلَ وَنُحَوِّفُهُ
حَتَّى يَجْمَلَهُ الْفَرْقُ وَالْجَزْعُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ الَّذِي نُرِيدُ وَنَأْمُرُ .
فَنَقُولُ : اذْفَعْ إِلَيْنَا أَحِبَّاءَكَ وَمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْكَ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ :
فإِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فَلَمْ نَرَ أَنَّ يَدْفَعُ عَنْكَ مَا رَأَيْتَ لِنَفْسِكَ
وَمَا وَقَعَتْ فِيهِ مِنْ هَذَا الشَّرِّ إِلَّا بِقَتْلِ مَنْ نُسَمَّى لَكَ . فَإِنْ
قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا ؟ سَمُّهُمْ لِي . قُلْنَا :
نُرِيدُ الْمَلِكَةَ إِيرَاخْتَ أُمَّ جَوِيرَ الْمُحْمُودَةِ أَكْرَمَ نِسَائِكَ عَلَيْكَ .

مَعَ الْفَيْلِ الذَّكَرِ . وَنُرِيدُ الْبُخْتِيَّ السَّرِيعَ الْقَوِيَّ . وَنُرِيدُ
 كَبَّارِيُونَ الْحَكِيمَ الْفَاضِلَ الْعَالِمَ بِالْأُمُورِ لِنَنْتَقِمَ مِنْهُ بِمَا فَعَلَ بِنَا .
 ثُمَّ نَقُولُ : إِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْ تَقْتُلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
 سَمَّيْنَاهُمْ لَكَ ، ثُمَّ تَجْعَلَ دِمَاءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلُوهُ ، ثُمَّ تَقْعُدُ فِيهِ .
 فَإِذَا نَخَرَجْتَ مِنَ الْحَوْضِ اجْتَمَعْنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ الْبَرَاهِمَةِ مِنَ
 الْآفَاقِ الْأَرْبَعَةِ نَجُولُ حَوْلَكَ فَفَرِّقِكِ وَنَتَفَلُّ عَلَيْكَ وَنَمْسَحُ
 عَنْكَ الدَّمَ وَنَغْسِلُكَ بِالْمَاءِ وَالذَّهْنِ الطَّيِّبِ . ثُمَّ تَقُومُ إِلَى مَنْزِلِكَ
 الْبَهِيِّ فَيَدْفَعُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْبَلَاءِ الَّذِي تَخَوَّفُهُ عَلَيْكَ . فَإِنْ
 صَبَرْتَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّائِكَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا
 لَكَ ، وَجَعَلْتَهُمْ فِدَاءَكَ ، تَخَلَّصْتَ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَاسْتَقَامَ لَكَ
 مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ ، وَاسْتَخْلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ .
 وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْضَبَ مُلْكُكَ أَوْ تَهْلِكَ .
 فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيمَا نَأْمُرُهُ قَتَلْنَاهُ أَيْ قَتَلَهُ شِدْنَا .

فَلَمَّا أَجْمَعُوا عَلَى مَا أَمَرُوا بِهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ .
 وَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فِي تَفْسِيرِ مَا رَأَيْتَ ،
 وَفَحَصْنَا عَنِ الرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَنَا . فَلْتَكُنْ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الطَّاهِرُ

الصَّالِحُ الْكَرَامَةُ . وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ
تَخْلُوَ بِنَا . فَأَخْرَجَ الْمَلِكُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ وَخَلَا بِهِمْ . فَحَدَّثُوا
بِالَّذِي اتَّمَرُوا بِهِ . فَقَالَ لَهُمْ : الْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ الْحَيَاةِ
إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَدِيلُ نَفْسِي . وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ ،
وَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ ، وَلَسْتُ كُلَّ الدَّهْرِ مَلِكًا ، وَإِنَّ الْمَوْتَ عِنْدِي
وَفِرَاقَ الْأَحْبَاءِ سَوَاءٌ . قَالَ لَهُ الْبَرَاهِمَةُ : إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبِ
أَخِيْنَا . فَأَذِنَ لَهُمْ . فَقَالُوا : لِمَا الْمَلِكُ إِنَّكَ لَمْ تَقَا

صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ . فَاحْتَفِظْ
بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ ، وَاعْمَلْ هَذَا الَّذِي لَكَ فِيهِ الرَّجَاءُ الْعَظِيمُ
عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينٍ . وَقَرَّ عَيْنًا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ
الَّذِينَ شَرَفَتْ وَكَرُمَتْ بِهِمْ . وَلَا تَدَعِ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ وَتَأْخُذْ
بِالضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِيْثَارًا لِمَنْ يُحِبُّ . وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ
أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا يُحِبُّ الْحَيَاةَ مُحِبَّةً لِنَفْسِهِ . وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ
مَنْ أَحَبَّ مِنَ الْأَحْبَابِ إِلَّا لِيَتَمَتَّعَ بِهِمْ فِي حَيَاتِهِ . وَإِنَّمَا

إِلَّا بِالمَشَقَّةِ وَالْعَنَاءِ الكَثِيرِ فِي الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ . وَلَيْسَ
يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ وَيَهُونَ عَلَيْكَ . فَاسْتَمِعْ كَلَامَنَا . فَانظُرْ
لِنَفْسِكَ مِنْهَا ، وَدَعْ مَا سِوَاهَا : فَإِنَّهُ لَا خَطَرَ لَهُ . فَلَبَّ

عَلَيْهِ فِي الكَلَامِ اشْتَدَّ غَمُّهُ وَحَزَنُهُ . وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيهِمْ
وَدَخَلَ إِلَى جُجْرَتِهِ نَحَرَ عَلَى وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ
السَّمَكَةُ إِذَا نَحَرَجَتْ مِنَ المَاءِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ :
مَا أَدْرِي أَيُّ الأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي ؟ المَمْلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي ؟
وَلَنْ أَنَالَ الفَرَحَ مَا عِشْتُ . وَلَيْسَ مُلْكِي بِبَاقٍ عَلَيَّ
إِلَى الأَبَدِ . وَلَسْتُ بِالمُصِيبِ سُؤْلِي فِي مُلْكِي . وَإِنِّي لَزَاهِدٌ

إِيلَادُ مَا نَالَ الْمَلِكَ مِنَ الْهَيْمِ وَالْحُزْنِ فَكَرَّ بِحِكْمَتِهِ وَنَظَرَ وَقَالَ :
 مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُسْتَقْبَلَ الْمَلِكَ فَأَسْأَلَهُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي قَدْ
 نَالَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُونِي . ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى إِيْرَاخْتِ فَقَالَ :
 إِنِّي مُنْذُ خَدَمْتُ الْمَلِكَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَعْمَلْ عَمَلًا إِلَّا بِمَشُورَتِي
 وَرَأْيِي . وَأَرَاهُ يَكْتُمُ عَنِّي أَمْرًا لَا أَعْلَمُ مَا هُوَ . وَلَا أَرَاهُ
 يُظْهِرُ مِنْهُ شَيْئًا . وَإِنِّي رَأَيْتُهُ خَالِيًا مَعَ جَمَاعَةِ الْبَرْهَمِيِّينَ
 مُنْذُ لَيَالٍ . وَقَدْ احْتَجَبَ عَنَّا فِيهَا . وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يَكُونَ
 قَدْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ . فَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يُشِيرُوا
 عَلَيْهِ بِمَا يَضُرُّهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُ الشُّؤْمُ . فَقُومِي وَادْخُلِي
 عَلَيْهِ فَاسْأَلِيهِ عَنْ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ . وَأَخْبِرِينِي بِمَا هُوَ عَلَيْهِ
 وَأَعْلِينِي : فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَلَعَلَّ الْبَرْهَمِيِّينَ
 قَدْ زَيْنُوا لَهُ أَمْرًا أَوْ حَمَلُوهُ عَلَى خُطَّةٍ قَبِيحَةٍ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ مِنْ
 خُلُقِ الْمَلِكِ أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا . وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ صَغِيرٌ
 الْأُمُورِ وَكَبِيرُهَا . فَقَالَتْ إِيْرَاخْتُ : إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَلِكِ
 بَعْضُ الْعِتَابِ فَلَسْتُ بِدَاخِلَةٍ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ . فَقَالَ لَهَا
 إِيلَادُ : لَا تَحْمِلِي عَلَيْهِ الْحَقْدَ فِي مِثْلِ هَذَا . وَلَا يَخْطُرَنَّ ذَلِكَ

عَلَىٰ بِأَلِكٍ فَلَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى الدُّخُوبِ عَلَيْهِ أَحَدٌ سِوَاكَ . وَقَدْ سَمِعْتَهُ
كَثِيرًا يَقُولُ : مَا اشْتَدَّ غَمِّي وَدَخَلْتُ عَلَىٰ إِيرَاخْتُ إِلَّا سُرِّي
عَنِّي ، فَقُومِي إِلَيْهِ وَاصْفَحِي عَنْهُ . وَكَلِمِهِ بِمَا تَعْلَمِينَ أَنَّهُ
تَطِيبٌ بِهِ نَفْسُهُ وَيَذْهَبُ الَّذِي يَجِدُهُ . وَأَعْلَمِيَنِي بِمَا يَكُونُ
جَوَابَهُ : فَإِنَّهُ لَنَا وَلِأَهْلِ الْمَمْلَكَةِ أَعْظَمُ الرَّاحَةِ . فَانْطَلَقْتُ
إِيرَاخْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى الْمَلِكِ فَجَلَسْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ . فَقَالَتْ :
مَا الَّذِي بِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُحْمُودُ ؟ وَمَا الَّذِي سَمِعْتَ مِنَ الْبِرَاهِمَةِ ؟
فَأِنِّي أَرَاكَ مُحْزُونًا . فَأَعْلَمِيَنِي مَا بِكَ ، فَقَدْ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ
مَعَكَ وَنُوَاسِيكَ بِأَنْفُسِنَا . فَقَالَ الْمَلِكُ : أَيُّهَا السَّيِّدَةُ لَا تَسْأَلِيَنِي
عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدِي غَمًّا وَحُزْنًا : فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلِيَنِي
عَنْهُ . قَالَتْ : أَوْ قَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةً مِنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا ؟
إِنَّمَا أَحْمَدُ النَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ النَّازِلَةُ كَانَ لِنَفْسِهِ
أَشَدَّ ضَبْطًا ، وَأَكْثَرَهُمْ اسْتِمَاعًا مِنْ أَهْلِ النَّصِيحِ حَتَّى يَنْجُو مِنْ
تِلْكَ النَّازِلَةِ بِالْحَيَلَةِ وَالْعَقْلِ وَالْبَحْثِ وَالْمُشَاوَرَةِ . فَعَظِيمُ
الذَّنْبِ لَا يَقْنَطُ مِنَ الرَّحْمَةِ . وَلَا تُدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنْ أَلْهَمٍ
وَالْحُزَنِ . فَإِنَّهُمَا لَا يَرُدَّانِ شَيْئًا مَقْضِيًّا . إِلَّا أَنَّهُمَا يُجْلَانِ

الْجِسْمَ وَيَسْفِيَانِ الْعَدُوَّ . قَالَ لَهَا الْمَلِكُ : لَا تَسْأَلِينِي عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ ^(١) . وَالَّذِي تَسْأَلِينِنِي عَنْهُ لَا خَيْرَ فِيهِ : لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ هَلَاكِي وَهَلَاكُكَ وَهَلَاكُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَمَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي . وَذَلِكَ أَنَّ الْبِرَاهِمَةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قِتْلِكَ وَقِتْلَا كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا مَدَدْتَهُ . وَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ

بَعْدَكُمْ . وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهَذَا إِلَّا اعْتَرَاهُ الْحُزْنُ ؟

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ إِيرَاخْتُ بَجَزَعَتْ . وَمَنْعَهَا عَقْلُهَا أَنْ تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ بَجْزَعًا . فَقَالَتْ : أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَجْزَعُ فَتَحْنُ لَكَ الْفِدَاءَ . وَلَكَ فِي سِوَايَ وَمِثْلِي مِنَ الْجَوَارِي مَا تَقْرِبُهُ عَيْنُكَ . وَلَكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، حَاجَةً يَجْمَلُنِي عَلَى طَلِبِهَا حُبِّي لَكَ وَإِثَارِي إِيَّاكَ . وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَتْ : أَطْلُبُ مِنْكَ إِلَّا تَشُقَّ بَعْدَهَا بِأَحَدٍ مِنَ الْبِرَاهِمَةِ . وَلَا تُسَاوِرَهُمْ فِي أَمْرِ حَتَّى تَنْتَشِتَ فِي أَمْرِكَ . ثُمَّ تُسَاوِرَ فِيهِ ثِقَاتِكَ

قَتَلْتِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ : إِذَا لَقِيتَ جَوْهَرًا لَا خَيْرَ فِيهِ
 فَلَا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيَهُ مَنْ يَعْرِفُهُ . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمَلِكُ
 لَا تَعْرِفُ أَعْدَاءَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَرَاهِمَةَ لَا يُحِبُّونَكَ . وَقَدْ قَتَلْتِ
 مِنْهُمْ بِالْأَمْسِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَلَا تَظُنِّي أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ
 أَوْلِيائِكَ . وَلَعَمْرِي مَا كُنْتِ جَدِيرًا أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِرُؤْيَاكَ ، وَلَا أَنْ
 تُطْلِعَهُمْ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا قَالُوا لَكَ مَا قَالُوا لِأَجْلِ الْحِقْدِ الَّذِي
 بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ : لَعَلَّهُمْ يَهْدِيكَ وَبَيْنَهُمْ أَحِبَّاءُكَ وَوَزِيرُكَ :
 فَيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . فَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتِ مِنْهُمْ فَقَتَلْتِ مَنْ
 أَشَارُوا بِقَتْلِهِ ظَفَرُوا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلَى مُلْكِكَ ، فَيَعُودُ الْمَلِكُ
 إِلَيْهِمْ كَمَا كَانَ . فَاذْطَلِقِي إِلَى كِبَارِيِّونَ الْحَكِيمِ ، فَهُوَ عَالِمٌ فِطْنٍ ،
 فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتِ فِي رُؤْيَاكَ وَاسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهَا وَتَأْوِيلِهَا .
 فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ الْغَمِّ .
 فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ فَرَكِبَهُ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى كِبَارِيِّونَ الْحَكِيمِ .
 فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ ، وَقَامَ مُطَاطِبًا
 الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : مَا بِالْكَأَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ وَمَا لِي

أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ
أَحْلَامٍ فَقَصَصْتُهَا عَلَى الْبَرَاهِمَةِ . وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصَيِّبَنِي مِنْ
ذَلِكَ عَظِيمٌ أَمْرٌ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ تَغْيِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ . وَأَخْشَى أَنْ
يُغْصَبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَكِيمُ : إِنْ
شِئْتَ فَأَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ . فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الْمَلِكُ رُؤْيَاهُ .
قَالَ : لَا يَحْزُنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ هَذَا الْأَمْرُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ : أَمَّا
السَّمَكَتَانِ الْحَمْرَاوَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى أذْنَابِهِمَا
فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكٍ نَهَاوَنَدَ بَعْدِيَّةٍ فِيهَا عِقْدَانِ مِنَ الدَّرِّ
وَالْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافِ رِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُومُ
بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الْوَزَتَانِ اللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ
فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ بَلَخَ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى
الْأَرْضِ مِثْلَهُمَا فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَأَمَّا الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتَهَا
تَدْبُ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ صَنِجِينَ مِنْ
يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ خَالِصِ الْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ .
وَأَمَّا الدَّمُ الَّذِي رَأَيْتَ كَأَنَّهُ خُضِبَ بِهِ جَسَدُكَ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ
مَلِكٍ كَازُرُونَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةً

أَرْجُوَانٍ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسَلِكَ جِسْمَكَ
بِالمَاءِ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ رَهْزِينٍ مِنْ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْكَ
بِثِيَابٍ كَأَنَّ مِنْ لِبَاسِ المُلُوكِ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ أَنَّكَ
عَلَى جَبَلٍ أبيضٍ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ كِيدُورٍ مِنْ يَوْمٍ بَيْنَ
يَدَيْكَ بِفِيلٍ أبيضٍ لَا تَلْحَقُهُ الخَيْلُ . وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ عَلَى رَأْسِكَ
شَيْبًا بِالنَّارِ : فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكٍ أَرْزَنٍ مِنْ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْكَ
بِإِكْلِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ . وَأَمَّا الطَّيْرُ الَّذِي
رَأَيْتَهُ ضَرَبَ رَأْسَكَ بِمِنْقَارِهِ : فَلَسْتُ مُفَسِّرًا ذَلِكَ اليَوْمَ .
وَلَيْسَ بِضَارِكٍ ، فَلَا تَوَجَلَنَّ مِنْهُ . وَلَكِنْ فِيهِ بَعْضُ السُّخْطِ
وَالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ تُحِبُّهُ : فَهَذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ أَيُّهَا المَلِكُ ، وَأَمَّا
هَذِهِ الرُّسُلُ وَالبَرْدُ فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَمِيعًا فَيَقُومُونَ
بَيْنَ يَدَيْكَ . فَلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ ذَلِكَ سَجَدَ لِجَبَّارِيُونَ وَرَجَعَ إِلَى
مَنْزِلِهِ .

(١) إخراج هذه الحكمة على وزن فعليل أو نعمان كقطمير وغسلين ليكون لها نظير في العربية هو الذي دعاه إلى ضبطها هكذا ومثلها صنجين .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَتِ الْبَشَائِرُ بِقُدُومِ الرُّسُلِ نَخَّرَجَ
 الْمَلِكُ بَجَلَسَ عَلَى التَّخْتِ ، وَأَذِنَ لِلْأَشْرَافِ ، وَجَاءَتْهُ الْهَدَايَا
 كَمَا أَخْبَرَهُ كَبَّارِيُّونَ الْحَكِيمُ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ ذَلِكَ اشْتَدَّ عَجْبُهُ
 وَفَرَحُهُ مِنْ عِلْمِ كَبَّارِيِّونَ . وَقَالَ : مَا وَفَّقْتُ حِينَ قَصَصْتُ
 رُؤْيَايَ عَلَى الْبَرَاهِمَةِ فَأَمْرُونِي بِمَا أَمْرُونِي بِهِ . وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى تَدَارَكَنِي بِرَحْمَتِهِ لَكُنْتُ قَدْ هَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ ، وَكَذَلِكَ
 لَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلَّا مِنَ الْأَخْلَاءِ ذَوِي الْعُقُولِ .
 وَإِنَّ إِيْرَاخْتَ أَشَارَتْ بِالنَّجْوَى فَقَبِلْتُهُ . وَرَأَيْتُ بِهِ النَّجَاحَ . فَضَعُوا
 الْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَأْخُذَ مِنْهَا مَا اخْتَارَتْ . ثُمَّ قَالَ لِإِيْلَادَ :

خُذِ الْإِيْلِيلَ وَالثِّيَابَ وَاحْمِلْهَا وَاتَّبِعْنِي بِهَا إِلَى مَجْلِسِ النِّسَاءِ .

الْمَرَأَةُ الَّتِي يَكُونُ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا أُرْزًا بِجَلَاوَةٍ فَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ .
 فَأَتَى الْمَلِكُ إِيرَاخْتَ فِي نَوْبَتِهَا . وَقَدْ صَنَعَتْ لَهُ أُرْزًا . فَدَخَلَتْ
 عَلَيْهِ بِالصَّخْفَةِ وَالْإِكْلِيلِ عَلَى رَأْسِهَا . فَعَلِمَتْ حُورَقْنَاهُ بِذَلِكَ
 فَغَارَتْ مِنْ إِيرَاخْتَ . فَلَيْسَتْ تِلْكَ الْكُسُوءَةُ . وَمَرَّتْ بَيْنَ
 يَدَيْ الْمَلِكِ وَتِلْكَ الثِّيَابُ تُضِيءُ عَلَيْهَا مَعَ نُورِ وَجْهِهَا
 كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ . فَلَمَّا رَأَاهَا الْمَلِكُ أَعْجَبْتَهُ . ثُمَّ التَفَّتْ
 إِلَى إِيرَاخْتَ فَقَالَ : إِنَّكَ جَاهِلَةٌ حِينَ أَخَذْتِ الْإِكْلِيلَ وَتَرَكْتِ
 الْكُسُوءَةَ الَّتِي لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِثْلَهَا . فَلَمَّا سَمِعَتْ إِيرَاخْتَ

الَّتِي لَيْسَ لَهَا عَدِيلٌ فِي النِّسَاءِ ، وَلَيْسَ الْمَلِكُ بِصَابِرٍ عَنْهَا .
 وَقَدْ خَلَّصْتُهُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَعَمِلْتَ أَعْمَالًا صَالِحَةً . وَرَجَاؤُنَا
 فِيهَا عَظِيمٌ . وَلَسْتُ آمَنُهُ أَنْ يَقُولَ : لِمَ لَمْ تُؤَخِّرْ قَتْلَهَا حَتَّى
 تُرَاجِعَنِي ؟ فَلَسْتُ قَاتِلَهَا حَتَّى أَنْظُرَ رَأْيَ الْمَلِكِ فِيهَا ثَانِيَةً :
 فَإِنْ رَأَيْتُهُ نَادِمًا حَزِينًا عَلَى مَا صَنَعَ جِئْتُ بِهَا حَيَّةً . وَكُنْتُ قَدْ
 عَمِلْتُ عَمَلًا عَظِيمًا . وَأَنْجَيْتُ إِيرَاخْتَ مِنَ الْقَتْلِ . وَحَفَظْتُ
 قَلْبَ الْمَلِكِ . وَأَتَّخَذْتُ عِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ بِذَلِكَ يَدًا . وَإِنْ رَأَيْتُهُ فَرِحًا
 مُسْتَرِيحًا مُصَوِّبًا رَأْيَهُ فِي الَّذِي فَعَلَهُ وَأَمَرَ بِهِ فَقَتْلَهَا لَا يَفُوتُ .

ثُمَّ أَنْطَلَقَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَوَكَّلَ بِهَا خَادِمًا مِنْ أَمَنَائِهِ ، وَأَمَرَهُ
 بِخِدْمَتِهَا وَحِرَاسَتِهَا ، حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِ الْمَلِكِ .
 ثُمَّ خُضِبَ سَيْفُهُ بِالْدَّمِ وَدَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ كَالْكَثِيبِ الْحَزِينِ .
 فَقَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَكَ فِي إِيرَاخْتَ . فَلَمْ
 يَلْبَثِ الْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ عَنْهُ الْغَضَبُ ، وَذَكَرَ بِجَمَالَ إِيرَاخْتَ
 وَحُسْنِهَا . وَاشْتَدَّ أَسْفُهُ عَلَيْهَا . وَجَعَلَ يُعْزِي نَفْسَهُ عَنْهَا .
 وَيَتَجَلَّدُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَسْتَحِي أَنْ يَسْأَلَ إِيْلَادَ : أَحَقًّا أَمْضَى

أَمْرُهُ فِيهَا أَمْ لَا ؟ وَرَجَا - لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِيْلَادَ -
 أَلَّا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ . وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِيْلَادُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ فَعَلِمَ
 الَّذِي بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا تَهْتَمَّ وَلَا تَحْزَنْ أَيُّهَا الْمَلِكُ : فَإِنَّهُ لَيْسَ
 فِي الْهَمِّ وَالْحُزْنِ مَنَفَعَةٌ . وَلَكِنَّهُمَا يُخِلِّلَانِ الْجِسْمَ وَيُفْسِدَانِهِ .
 فَاصْبِرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَلَى مَا لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا . وَإِنْ أَحَبَّ
 الْمَلِكُ حَدِيثَهُ بِحَدِيثِ يُسْلِيهِ . قَالَ : حَدَّثَنِي .

قَالَ إِيْلَادُ: زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرَا وَأُنْثَى مَلَأَ عَشْمَهُمَا مِنْ
 الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ . فَقَالَ الذَّكَرُ لِلْأُنْثَى: إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي الصَّحَارَى
 مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هَاهُنَا شَيْئًا . فَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ
 وَلَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَارَى شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشْنَا فَأَكَلْنَاهُ .
 فَرَضِيَتِ الْأُنْثَى بِذَلِكَ . وَقَالَتْ لَهُ : نَعَمْ مَا رَأَيْتَ . وَكَانَ ذَلِكَ
 الْحَبُّ نَدِيًّا حِينَ وَضَعَاهُ فِي عَشْمِهِمَا . فَانْطَلَقَ الذَّكَرُ فَغَابَ .
 فَلَمَّا جَاءَ الصَّيْفُ يَبَسَ الْحَبُّ وَأَنْضَمَرَ^(١) . فَلَمَّا رَجَعَ الذَّكَرُ رَأَى
 الْحَبَّ نَاقِصًا . فَقَالَ لَهَا : أَلَيْسَ كَمَا أَجْمَعْنَا رَأَيْنَا عَلَى الْأَ
 نَأْكُلُ مِنْهُ شَيْئًا ؟ فَلِمَ أَكَلْتِهِ ؟ بَفَعَلْتَ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلْتَ مِنْهُ

(١) ذهب ماؤه ولم يذكروا الانفعال من ضمير إلا في هذا المعنى .

شَيْئًا . وَحَعَلَتْ تَعْتَدُ اللَّهَ . فَلَمْ يُصَدِّقْهَا . وَحَعَلَ نَقْرُهَا

وَأَمْتَلَأَ الْعُشَّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى الذَّكَرُ ذَلِكَ نَدِمَ . ثُمَّ اضْطَجَعَ
إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي الْحَبُّ وَالْعَيْشُ بَعْدَكَ إِذَا
طَلَبْتِكِ فَلَمْ أَجِدْكَ ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكَ ، وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكَ
وَعَلَيْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكَ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ مَا فَعَلْتَ .
ثُمَّ اسْتَمَرَ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ طَعَامًا وَلَا شَرَبًا حَتَّى مَاتَ

الْمَلِكُ ذَلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إِيرَاخْتُ قَدْ هَلَكَتْ . فَقَالَ
 لِإِيلَادَ : لِمَ لَا تَأْتَيْتِ وَتَثَبْتِ ؟ بَلْ أَسْرَعْتَ عِنْدَ سَمَاعِ كَلِمَةٍ
 وَاحِدَةٍ فَتَعَلَّقْتَ بِهَا ، وَفَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ ؟
 قَالَ إِيلَادُ : إِنَّ الَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي
 لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَا اخْتِلَافَ لِقَوْلِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : لَقَدْ
 أَفْسَدْتَ أَمْرِي وَشَدَّدْتَ حُزْنِي بِقَتْلِ إِيرَاخْتِ . قَالَ إِيلَادُ :
 اثْنَانِ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا : الَّذِي يَعْمَلُ الْإِثْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ،
 وَالَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ : لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا
 قَلِيلٌ . وَنَدَامَتُهُمَا إِذْ يُعَايِنَانِ الْجَزَاءَ طَوِيلَةً لَا يُسْتَطَاعُ
 إِحْصَاؤُهَا . قَالَ الْمَلِكُ : لَنْ رَأَيْتِ إِيرَاخْتَ حَيَّةً لَا أَحْزَنُ عَلَى
 شَيْءٍ أَبَدًا . قَالَ إِيلَادُ : اثْنَانِ لَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا :
 الْمُجْتَهِدُ فِي الْبِرِّ كُلِّ يَوْمٍ ، وَالَّذِي لَمْ يَأْتُمْ قَطُّ . قَالَ الْمَلِكُ :
 مَا أَنَا بِنَاطِرٍ إِلَى إِيرَاخْتِ أَكْثَرِمًا نَظَرْتُ . قَالَ إِيلَادُ : اثْنَانِ
 لَا يَنْظُرَانِ : الْأَعْمَى وَالَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ . وَكَمَا أَنَّ الْأَعْمَى لَا يَنْظُرُ
 السَّمَاءَ وَجُجُومَهَا وَأَرْضَهَا وَلَا يَنْظُرُ الْقُرْبَ وَالْبُعْدَ ، كَذَلِكَ الَّذِي
 لَا عَقْلَ لَهُ لَا يَعْرِفُ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ وَلَا الْمُحْسِنَ مِنَ الْمُسِيءِ .
 قَالَ الْمَلِكُ : لَوْ رَأَيْتِ إِيرَاخْتَ لَأَشْتَدَّ فَرِحِي . قَالَ إِيلَادُ : اثْنَانِ

هُمَا الْفَرِحَانُ : الْبَصِيرُ وَالْعَالِمُ . فَكَأَنَّ الْبَصِيرَ يُبْصِرُ أُمُورَ الْعَالِمِ
وَمَا فِيهِ مِنَ الزَّادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالْقَرَبِ وَالنَّعْدِ ، فَكَذَلِكَ الْعَالِمُ

مَمْتَدِي الْأَرْصَاطِ مُنْتَهَى قَالِ الْأَلْمُ . نَدَفُ أَنْ أَنْ

مُرَّ إِذَا يَلَاذَ لَأَ، أُمُّ، الْمَلِكِ، اشْتَدَّ، الْأَمْرُ، قَالَ، أُمُّ،

الْمَلِكِ، إِنَّ إِيْرَاخْتَ بِالْحَيَاةِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ اشْتَدَّ
فَرَحُهُ . وَقَالَ يَا يِلَاذُ : إِنَّمَا مَنَعَنِي مِنَ الْغَضَبِ مَا أَعْرَفُ
مِنْ نَصِيحَتِكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ . وَكُنْتُ أَرْجُو لِمَعْرِفَتِي بِعِلْمِكَ
أَلَّا تُكُونَ قَدْ قَتَلْتَ إِيْرَاخْتَ . فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ أَتَتْ عَظِيمًا

لِعَلِمِهِ بِرَأْفَةِ الْمَلِكِ وَسَعَةِ حَلِيهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ وَوَفَاءِ
عَهْدِهِ . وَقَالَ الْمَلِكُ لِإِيلَاذَ : مَا أَعْظَمَ يَدَكَ عِنْدِي وَعِنْدَ
إِيرَاخْتَ وَعِنْدَ الْعَامَةِ : إِذْ قَدْ أَحْيَيْتَهَا بَعْدَ مَا أَمَرْتَ بِقَتْلِهَا :
فَأَنْتَ الَّذِي وَهَبَهَا لِي الْيَوْمَ : فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ وَائِقًا بِنَصِيحَتِكَ
وَتَدْبِيرِكَ . وَقَدْ أَزْدَدْتَ الْيَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً وَتَعْظِيمًا . وَأَنْتَ
مُحْكَمٌ فِي مَلِكِي تَفْعَلُ فِيهِ بِمَا تَرَى ، وَتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ .
فَقَدْ جَعَلْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ وَوَثِقْتُ بِكَ . قَالَ إِيلَاذُ : أَدَامَ اللَّهُ
لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُلْكُ وَالسُّرُورَ . فَلَسْتُ بِمُحْمُودٍ عَلَى ذَلِكَ .
فإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ . لَكِنْ حَاجَتِي أَلَّا يَعْجَلَ الْمَلِكُ فِي الْأَمْرِ
الْجَسِيمِ الَّذِي يَنْدُمُ عَلَى فِعْلِهِ ، وَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْغَمَّ وَالْحَزْنَ ،
وَلَا سِيمًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَلِكَةِ النَّاصِحَةِ الْمُشْفِقَةِ الَّتِي لَا يُوجَدُ
فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا : فَقَالَ الْمَلِكُ بِحَقِّي قُلْتَ يَا إِيلَاذُ ، وَقَدْ
قَبِلْتُ قَوْلَكَ ، وَلَسْتُ عَامِلًا بَعْدَهَا عَمَلًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ،
فَضْلًا عَن مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي مَا سَلِمْتُ مِنْهُ ، إِلَّا بَعْدَ
الْمُؤَامَرَةِ وَالنَّظَرِ وَالتَّرَدُّدِ إِلَى ذَوِي الْعُقُولِ وَمُشَاوَرَةِ أَهْلِ الْمَوَدَّةِ

وَالرَّأْيِ . ثُمَّ أَحْسَنَ الْمَلِكُ جَائِزَةَ إِيْلَاذَ ، وَمَكَّنَهُ مِنْ أَوْلِيَّكَ
 الْبِرَاهِمَةَ الَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحْبَابِهِ ، فَأَطْلَقَ فِيهِمُ السَّيْفَ ،
 وَقَرَّتْ عَيْنُ الْمَلِكِ وَعُيُونُ عُظَمَاءِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَحَمِدُوا اللَّهَ
 وَأَثَنُوا عَلَى كِبَارِيُونَ بِسَعَةِ عَلَيْهِ وَفَضْلِ حِكْمَتِهِ : لِأَنَّهُ بَعَلَّهُ
 خَلَّصَ الْمَلِكُ وَوَزِيرَهُ الصَّالِحَ وَأَمْرَأَتَهُ الصَّالِحَةَ .

(انقضى باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت)

بَابُ اللَّبْوَةِ وَالْإِسْوَارِ وَالشَّغْبِرِ ^(١) ^(٢)

قَالَ دَبْسَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ :
 فَأَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنٍ مِنْ يَدَعُ ضُرَّ غَيْرِهِ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ لِمَا
 يُصِيبُهُ مِنَ الضَّرِّ ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا يَنْزِلُ بِهِ وَاعِظُ وَزَاجِرٌ عَنِ
 أَنْ تَكْتَابَ الظُّلْمَ وَالْعُدَاةَ أَخْتَهُ . قَالَ الْفَلَسُوفُ : إِنَّهُ لَا يُقْدِرُ

عَلَى طَلَبِ مَا يُضُرُّ بِالنَّاسِ وَمَا يُسُوُّهُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَهَةِ

عَمَّا بَدَخَا عَلَيْنَا فَرِذْلِكَ مِنْ حُلْمِ النَّقْمَةِ ، عَمَّا بَلَغَتْهُ

مِنْ تَبَعَةٍ مَا اِكْتَسَبُوا . مِمَّا لَا تُحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ . وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ
مِنْ ضَرَرٍ بَعْضٍ بِمَنْيَةٍ عَرَضَتْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَبِأَلْ
مَا صَنَعَ : فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَأْمَنِ الْمَصَائِبَ ،
وَحَقِيقٌ أَلَّا يَسْلَمَ مِنَ الْمَعَاطِبِ . وَرُبَّمَا اتَّعَظَ الْجَاهِلُ وَاعْتَبَرَ
بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمَضَرَّةِ مِنْ غَيْرِهِ ، فَارْتَدَعَ عَنْ أَنْ يَغْشَى أَحَدًا
بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَحَصَلَ لَهُ نَفْعٌ مَا كَفَّ عَنْهُ
مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي الْعَاقِبَةِ ، فَتَنْظِيرُ ذَلِكَ حَدِيثُ الْأَسْبُوءِ
وَالْإِسْوَارِ وَالشَّغْبَرِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ لَبُوءَةَ كَانَتْ فِي غَيْضَةٍ ^(١) ، وَهَلَا
شِبْلَانِ ، وَأَنَّهَا نَحَرَجَتْ فِي طَلَبِ الصَّيْدِ وَخَلَفْتُهُمَا فِي كَهْفِهِمَا ،
فَقَرَّبَهُمَا إِسْوَارٌ فَحَمَلَ عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا فَقَتَلَهُمَا ، وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا
فَأَحْتَقَبَهُمَا ^(٢) ، وَأَنْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ . فَلَمَّا رَأَتْ

وَخَبَّتْ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِهَا شَغْبَرٌ . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ صِيَّاحِهَا
 قَالَتْ لَهَا : مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ ؟ وَمَا نَزَلَ بِكَ ؟ فَأَخْبَرَنِي بِهِ .
 قَالَتْ اللَّبْوَةُ شِبْلَايَ مَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا ، وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا
 فَاحْتَقَبَهُمَا ، وَنَبَذَهُمَا بِالْعَرَاءِ ^(١) . قَالَ لَهَا الشَّغْبَرُ : لَا تَضْجِي
 وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَعْلِمِي أَنَّ هَذَا الْإِسْوَارَ لَمْ يَأْتِ إِلَيْكَ
 شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كُنْتَ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكَ مِثْلَهُ ، وَتَأْتِينَ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ
 مِثْلَ ذَلِكَ ، مِمَّنْ كَانَ يَجِدُ بِحَمِيمِهِ وَمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا تَجِدِينَ

يُطْعِمُكَ إِيَّاهُ ؟ قَالَتِ اللَّبُوءَةُ : كُنْتُ أَصِيدُ الْوَحْشَ وَأَكُلُهُ .
 قَالَ الشَّعْبِرُ : أَرَأَيْتِ الْوَحْشَ الَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَ ، أَمَا كَانَ لَهَا
 آبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ ؟ قَالَتْ : بَلَى . قَالَ الشَّعْبِرُ : فَمَا بَالِي لَا أَرَى
 وَلَا أَسْمَعُ لِيَتْلِكَ الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ مِنَ الْجَزَعِ وَالضَّجِيحِ مَا أَرَى
 وَأَسْمَعُ لَكَ ؟ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِكَ مَا نَزَلَ إِلَّا لِسُوءِ نَظَرِكَ
 فِي الْعَوَاقِبِ وَقِلَّةِ تَفْكَرِكَ فِيهَا ، وَجَهَالَتِكَ بِمَا يَرْجِعُ عَلَيْكَ
 مِنْ ضُرِّهَا . فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبُوءَةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الشَّعْبِرِ عَرَفَتْ
 أَنَّ ذَلِكَ بِمَا جَنَّتْ عَلَى نَفْسِهَا ، وَأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْرًا وَظُلْمًا ،
 فَتَرَكَتِ الصَّيْدَ ، وَانصَرَفَتْ عَنِ أَكْلِ اللَّحْمِ إِلَى الثَّمَارِ وَالنُّسْكِ
 وَالْعِبَادَةِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَرَشَانٌ ^(١) (كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ الْغَيْضَةِ
 وَكَانَ عَيْشُهُ مِنَ الثَّمَارِ) قَالَ لَهَا : قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الشَّجَرَ
 عَامِنًا هَذَا لَمْ يَتَحَمَّلْ : لِقِلَّةِ الْمَاءِ ، فَلَمَّا أَبْصَرْتُكَ تَأْكُلِينَهَا ،
 وَأَنْتِ آكِلَةُ اللَّحْمِ ، فَتَرَكَتِ رِزْقِكَ وَطَعَامِكَ وَمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ ،

(١) طائر شبه الحمامة والأنثى ورشانة وجمعه ورشان ووراشين .

عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَ الْعَامَ انْمَرَّتْ كَمَا كَانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَإِنَّمَا
 أَنْتَ قِلَّةُ الثَّمَرِ مِنْ جِهَتِكَ . فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثَّمَارِ وَوَيْلٌ
 لِمَنْ عَيْشُهُ مِنْهَا ! مَا أَسْرَعَ هَلَاكُهُمْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ ،
 وَغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا لِأَكْلِهَا !
 فَلَمَّا سَمِعَتِ اللَّبُوءَةُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْوَرَشَانِ تَرَكَّتْ أَكْلَ الثَّمَارِ
 وَأَقْبَلَتْ عَلَى أَكْلِ الْحَشِيشِ وَالْعِبَادَةِ . وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ
 هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْجَاهِلَ رُبَّمَا أَنْصَرَفَ بِضُرِّ يُصِيبُهُ عَنْ ضُرِّ
 النَّاسِ ، كَاللَّبُوءَةِ الَّتِي أَنْصَرَفَتْ لِمَا لَقِيَتْ فِي شِبْلَيْهَا عَنْ أَكْلِ
 اللَّحْمِ ثُمَّ عَنْ أَكْلِ الثَّمَارِ بِقَوْلِ الْوَرَشَانِ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَى النَّسِكِ

بَابُ النَّاسِكِ وَالضَّيْفِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
الْمَثَلَ . فَاضْتُ لِمَا مَثَا الَّذِي، دَعُ صُنْعُهُ الَّذِي، بَلَمَةُ بِهِ

بِالْعِبْرَانِيَّةِ . فَاسْتَحْسَنَ الضَّيْفُ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ ، فَتَكَلَّفَ أَنْ
يَتَعَلَّمَهُ ، وَعَالَجَ فِي ذَلِكَ نَفْسَهُ أَيَّامًا . فَقَالَ النَّاسِكُ لَضَيْفِهِ :
مَا أَخْلَقَكَ أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ مِنْ كَلَامِكَ ، وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ
الْعِبْرَانِيَّةِ ، فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ الْغُرَابُ ! قَالَ الضَّيْفُ :
وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ النَّاسِكُ : زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى جَجَلَةً تَدْرُجُ وَتَمْشِي ،
فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُهَا ، وَطَمَعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا . فَرَأَى عَلَى ذَلِكَ
نَفْسَهُ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكَامِهَا ، وَأَيْسَ مِنْهَا . وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ
إِلَى مِشْيَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا : فَإِذَا هُوَ قَدْ اخْتَلَطَ وَتَخَلَّعَ فِي مِشْيَتِهِ ،
وَصَارَ أَقْبَحَ الطَّيْرِ مَشْيًا ، وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هَذَا الْمَثَلَ لِمَا
رَأَيْتُ مِنْ أَنَّكَ تَرَكْتَ لِسَانَكَ الَّذِي طُبِعَتْ عَلَيْهِ ، وَأَقْبَلْتَ عَلَى
لِسَانِ الْعِبْرَانِيَّةِ ، وَهُوَ لَا يُشَاكِلُكَ ، وَأَخَافُ أَلَّا تُدْرِكَهُ ،
وَتَنْسَى لِسَانَكَ ، وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ لِسَانًا : فَإِنَّهُ
قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ يُعَدُّ جَاهِلًا مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يُشَاكِلُهُ ،
وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يُوَدِّهِ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ .

(انقضى باب الناسك والضيف)

بَابُ السَّائِحِ وَالصَّائِعِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ . فَاصْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ الَّذِي يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ
 مَوْضِعِهِ ، وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
 إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ . وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
 مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ
 هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ .
 وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذِمَّةً ،
 وَأَشَدَّ مُحَامَاةً عَلَى حُرْمِهِ ، وَأَشْكُرٌ لِلْمَعْرُوفِ ، وَأَقْوَمٌ بِهِ . وَحِينَئِذٍ
 يَجِبُ عَلَى ذَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا مَعْرُوفَهُمْ
 مَوَاضِعَهُ ، وَلَا يَضَعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ . وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ ؛

حَيْثُ عَارِفًا بِحَقِّ مَا اضْطَرَّعَ إِلَيْهِ مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ ،
مَحْمُودًا بِالنُّصْحِ ، مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ ، صَادُوقًا عَارِفًا ، مُؤَثِّرًا
لِحَمِيدِ الْفِعَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالنِّحْصَالِ
الْمَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا ، كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا ، وَلِتَقْرِيْبِهِ
وَأَصْطِنَاعِهِ أَهْلًا : فَإِنَّ الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ
عَلَى مُدَاوَاةِ الْمَرِيضِ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالجَسَّ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ
طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ ، فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ
عَلَى مُدَاوَاتِهِ . فَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ : لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَضْطَرِّي
أَحَدًا ، وَلَا يَسْتَخْلِصَهُ إِلَّا بَعْدَ الْخَبْرَةِ : فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى
مَشْهُورِ الْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ كَانَ مُحْاطِرًا فِي ذَلِكَ وَمُشْرِفًا
مِنْهُ عَلَى هَلَاكِ وَفْسَادٍ . وَمَعَ ذَلِكَ رَبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ
مَعَ الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ

فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ بِشُكْرِ ذَلِكَ وَيُكَافِي عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمُكَافَأَةِ .
وَرَبَّمَا حَذَرَ الْعَاقِلُ النَّاسَ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ أَحَدًا مِنْهُمْ .

وَقَدْ يَأْخُذُ ابْنَ عَرِسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي كُمَّهِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْآخِرِ ، كَالَّذِي
يَحْمَلُ الطَّائِرَ عَلَى يَدَيْهِ ، فَإِذَا صَادَ شَيْئًا انْتَفَعَ بِهِ ، وَمَطْعَمُهُ مِنْهُ .
وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي الْعَقْلِ أَنْ يَحْتَقِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا
مِنَ النَّاسِ وَلَا مِنْ الْبَهَائِمِ ، وَلَكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوَهُمْ ، وَيَكُونَ
مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ . وَقَدْ مَضَى فِي ذَلِكَ
مَثَلٌ ضَمَّ بِهِ نَعُوضُ الْحُكَّاءِ . قَالَ الْمَلِكُ . وَكَفَى . كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً احْتَفَرُوا رَكِيَّةً فَوَقَعَ^(١)
فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحِيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَبْرٌ ، وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ ،
فَأَشْرَفَ . عَا الْاَكْبَةَ ، فَصَرَ بِالْحَا وَالْحِيَّةَ وَاللَّيْلَةَ وَالْقِرْدَ .

فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ، وَقَالَ : لَسْتُ أَعْمَلُ لِآخِرَتِي عَمَلًا أَفْضَلَ مِنْ
أَنْ أُخْلِصَ هَذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ . فَأَخَذَ حَبْلًا ،
أَتَى بِهِ إِلَى الْاَكْبَةِ .

مِنَ الْكَمَّةِ . فَاتَهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقْبَلَ شُكْرًا . الْإِنْسَانِ .

ثُمَّ هَذَا الرَّجُلُ خَاصَّةً . ثُمَّ قَالَ لَهُ الْقَرْدُ : إِنَّ مَنزِلِي فِي جَبَلٍ

قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا : نَوَادِرْخَتْ . فَقَالَ لَهُ الْبَبْرُ :
 أَنَا أَيْضًا فِي أَجْمَةٍ إِلَى جَانِبِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . قَالَتِ الْحِيَّةُ :
 أَنَا أَيْضًا فِي سُورِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْمًا
 مِنَ الدَّهْرِ ، وَاحْتَجَجْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ عَلَيْنَا حَتَّى نَأْتِيكَ فَنَجْزِيكَ
 بِمَا أَسَدَيْتَ إِلَيْنَا مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ السَّائِحُ
 إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ ، وَأَدْلَى الْحَبَلِ ،
 فَأَخْرَجَ الصَّائِغَ ، فَسَجَدَ لَهُ ، وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي
 مَعْرُوفًا . فَإِنْ أَتَيْتَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نَوَادِرْخَتْ فَاسْأَلْ
 عَن مَنزِلِي : فَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ لَعَلِّي أَكْفَيْتُكَ بِمَا صَنَعْتَ
 إِلَيَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ . فَاذْهَبْ إِلَى مَدِينَتِهِ وَانْطَلِقْ السَّائِحُ
 إِلَى جَانِبِهِ . فَعَرَّضَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ السَّائِحَ اتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى
 تِلْكَ الْمَدِينَةِ ، فَاذْهَبَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْقَرْدُ ، فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ
 رِجْلَيْهِ . وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّ الْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ،

طَيِّبَةً ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ . ثُمَّ إِنَّ السَّائِحَ
 أَنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ الْمَدِينَةِ فَاسْتَقْبَلَهُ الْبَيْرُ ، نَحَرَ لَهُ
 سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا . فَاطْمَئِنَّ
 سَاعَةً حَتَّى آتِيكَ . فَانْطَلَقَ الْبَيْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ الْحِيطَانِ^(١)
 إِلَى بِنْتِ الْمَلِكِ فَقَتَلَهَا ، وَأَخَذَ حَلِيهَا ، فَأَتَاهُ بِهَا ، مِنْ غَيْرِ
 أَنْ يَعْلَمَ السَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذِهِ الْبَهَائِمُ
 قَدْ أَوْلَتْنِي هَذَا الْجَزَاءَ ، فَكَيْفَ لَوْ قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الصَّائِغِ
 فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ مُعْسِرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هَذَا الْحَلِيَّ فَيَسْتَوْفِي
 ثَمَنَهُ . فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ ، وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِثَمَنِهِ .
 فَانْطَلَقَ السَّائِحُ ، فَأَتَى إِلَى الصَّائِغِ . فَلَمَّا رَأَاهُ رَحَّبَ بِهِ وَأَدْخَلَهُ
 إِلَى بَيْتِهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِالْحَلِيِّ مَعَهُ ، عَرَفَهُ وَكَانَ هُوَ الَّذِي
 صَاغَهُ لِابْنَةِ الْمَلِكِ . فَقَالَ لِلْسَّائِحِ : اطمَئِنَّ حَتَّى آتِيكَ
 بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ مَا فِي الْبَيْتِ . ثُمَّ نَحَرَ وَهُوَ يَقُولُ :
 قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي : أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَدْلُهُ عَلَى ذَلِكَ ،
 فَتَحْسُنَ مَنَزِلَتِي عِنْدَهُ . فَانْطَلَقَ إِلَى بَابِ الْمَلِكِ ، فَأَرْسَلَ

إِلَيْهِ : إِنَّ الَّذِي قَتَلَ ابْنَتَكَ وَأَخَذَ حَلِيهَا عِنْدِي .
فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ وَأَتَى بِالسَّائِحِ فَلَمَّا نَظَرَ الْحَلِيَّ مَعَهُ لَمْ يَمْهَلْهُ ،
وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَيُصَلَّبَ .
فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ جَعَلَ السَّائِحُ يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :
لَوْ أَنَّي أَطَعْتُ الْقِرَدَ وَالْحَيَّةَ وَالْبَبْرَ فِيمَا أَمَرَنِي بِهِ وَأَخْبَرْتَنِي
مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ الْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ أَمْرِي إِلَى هَذَا الْبَلَاءِ ، وَجَعَلَ
يُكْرِرُ هَذَا الْقَوْلَ . فَسَمِعَتْ مَقَالَتَهُ تِلْكَ الْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ مِنْ
جُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهَا أَمْرُهُ ، فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خَلَاصِهِ .
فَانْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتْ ابْنَ الْمَلِكِ ، فَدَعَا الْمَلِكُ أَهْلَ الْعِلْمِ
فَرَقَّوهُ لِيَشْفُوهُ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ مَضَتْ الْحَيَّةُ إِلَى أُخْتِ
لَهَا مِنَ الْجَنِّ ، فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ السَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ،
وَمَا وَقَعَ فِيهِ . فَرَقَّتْ لَهُ ، وَانْطَلَقَتْ إِلَى ابْنِ الْمَلِكِ ، وَتَحَايَلَتْ لَهُ .
وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ حَتَّى يَرْقِيكَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدْ
عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا . وَانْطَلَقَتْ الْحَيَّةُ إِلَى السَّائِحِ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ
السُّجْنِ ، وَقَالَتْ لَهُ : هَذَا الَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنْ اصْطِنَاعِ
الْمَعْرُوفِ إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ : وَلَمْ تُطِغْنِي . وَأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ

مِنْ سُمِّهَا . وَقَالَتْ لَهُ : إِذَا جَاءُوا بِكَ لِتَرْقِيَ ابْنَ الْمَلِكِ فَاسْقِهِ
مِنْ مَاءِ هَذَا الْوَرَقِ : فَإِنَّهُ يَبْرَأُ . وَإِذَا سَأَلَكَ الْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ

فَاصْدُقْهُ : فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنَّ ابْنَ الْمَلِكِ
أَخْبَرَ الْمَلِكَ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ : إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيَكَ
هَذَا السَّائِحُ الَّذِي حُبِسَ ظُلْمًا . فَدَعَا الْمَلِكُ بِالسَّائِحِ ، وَأَمَرَهُ
أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ . فَقَالَ : لَا أَحْسِنُ الرَّقِيَّ ، وَلَكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ
هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى . فَسَقَاهُ فَبَرِيَ الْغُلَامُ .
فَفَرِحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ : وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ ، فَأَخْبَرَهُ . فَشَكَرَهُ
الْمَلِكُ ، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً ، وَأَمَرَ بِالصَّائِحِ أَنْ يُصَلَّبَ .
فَصَلَبُوهُ لِكَذِبِهِ وَأَنْحِرَافِهِ عَنِ الشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ
بِالْقَبِيحِ . ثُمَّ قَالَ الْفَيْلَسُوفُ لِلْمَلِكِ : فَنِي صَنِيعِ الصَّائِحِ
بِالسَّائِحِ ، وَكُفْرِهِ لَهُ بَعْدَ اسْتِنْقَازِهِ إِيَّاهُ ، وَشُكْرِ الْبَهَائِمِ لَهُ ،
وَتَخْلِيصِ بَعْضِهَا إِيَّاهُ ، عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، وَفِكْرَةٌ لِمَنْ تَفَكَّرَ ،
وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ ،
قُرْبُوا أَوْ بَعُدُوا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ صَوَابِ الرَّأْيِ وَجَلْبِ الْخَيْرِ
وَصَرَفِ الْمَكْرُوهِ .

بَابُ ابْنِ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا
 الْمَثَلَ . فَإِنْ كَانَتِ الرَّجُلُ لَا يُصِيبُ الْخَيْرَ إِلَّا بِعَقْلِهِ وَرَأْيِهِ
 وَتَثَبَّتِهِ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَزْعُمُونَ ، فَمَا بَالُ الرَّجُلِ الْجَاهِلِ يُصِيبُ
 الرَّفْعَةَ وَالْخَيْرَ ، وَالرَّجُلِ الْحَكِيمِ الْعَاقِلِ قَدْ يُصِيبُ الْبَلَاءَ
 وَالضَّرَّ ؟ . قَالَ بَيْدَبَا : كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِعَيْنَيْهِ
 وَلَا يَسْمَعُ إِلَّا بِأُذُنَيْهِ ، كَذَلِكَ الْعَمَلُ ، إِنَّمَا هُوَ بِالْحِلْمِ
 وَالْعَقْلِ وَالتَّثَبُّتِ ، غَيْرَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ يَغْلِبَانِ عَلَى ذَلِكَ .
 وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ ابْنِ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ
 كَانَتْ ذَلِكَ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ اضْطَحَبُوا فِي طَرِيقِ
 وَاحِدَةٍ ، أَحَدُهُمْ ابْنُ مَلِكٍ وَالثَّانِي ابْنُ تَاجِرٍ وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 شَرِيفٍ ذُو جَمَالٍ وَالرَّابِعُ ابْنُ أَكَّارٍ^(١) . وَكَانُوا جَمِيعًا مُحْتَاجِينَ ،

(١) الأكار : الحراث وجمعه أكرّة كأنه جمع أكر .

وَقَدْ أَصَابَهُمْ ضَرَرٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ فِي مَوْضِعٍ غُرْبَةٍ لَا يَمْلِكُونَ
إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الشِّيَابِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ فَكَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ

وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَاجِعًا إِلَى طِبَاعِهِ وَمَا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُ
الْخَيْرُ : قَالَ ابْنُ الْمَلِكِ : إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ ،
وَالَّذِي قُدِّرَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ يَأْتِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَالصَّبْرُ لِلْقَضَاءِ

وَالْقَدْرِ وَانْتِظَارُهُمَا أَفْضَلُ الْأُمُورِ . وَقَالَ ابْنُ التَّاجِرِ : الْعَقْلُ
أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَقَالَ ابْنُ الشَّيْبَانِيِّ : الْحَمَالُ أَفْضَلُ

مِمَّا ذَكَرْتُمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْأَثَّارِ : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلُ
مِنَ الْإِجْتِهَادِ فِي الْعَمَلِ . فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا
مَطْرُونٌ ، جَلَسُوا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا يَتَشَاوَرُونَ : فَقَالُوا لِابْنِ
الْأَثَّارِ : انْطَلِقْ فَانْتَسِبْ لَنَا بِاجْتِهَادِكَ طَعَامًا لِيَوْمِنَا هَذَا .
فَانْطَلَقَ ابْنُ الْأَثَّارِ ، وَسَأَلَ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ الْإِنْسَانُ يَكْتَسِبُ
فِيهِ طَعَامَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ فَعَرَفُوهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ شَيْءٌ
أَعَزَّ مِنَ الْحَطَبِ ، وَكَانَ الْحَطَبُ مِنْهَا عَلَى فَرَسِيخٍ . فَانْطَلَقَ

ابْنُ الْأَثَّارِ فَاجْتَبَطَ طَبًا مِنْ الْحَطَبِ ، وَأَذَى بِهِ الْمَدِينَةَ

فَبَاعَهُ بِدِرْهَمٍ وَاشْتَرَى بِهِ طَعَامًا وَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ :
عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِذَا أَجْهَدَ فِيهِ الرَّجُلُ بَدَنَهُ قِيَمَتُهُ دِرْهَمٌ .
ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِالطَّعَامِ فَأَكَلُوا . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ :
قَالُوا يَنْبَغِي لِلذِّي قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ الْجَمَالِ
أَنْ تَكُونَ نَوْبَتُهُ . فَانْطَلَقَ ابْنُ الشَّرِيفِ لِيَأْتِيَ الْمَدِينَةَ ،
فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ : أَنَا لَسْتُ أَحْسِنُ عَمَلًا فَمَا يُدْخِلُنِي
الْمَدِينَةَ ؟ ثُمَّ اسْتَحْيَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ ، وَهُمْ
بِمُفَارَقَتِهِمْ . فَانْطَلَقَ حَتَّى أَسَنَّ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ ،
فَغَلَبَهُ النَّوْمُ فَنَامَ . فَسَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمَدِينَةِ فَرَأَاهُ
جَمَالَهُ وَتَوَسَّمَ فِيهِ شَرَفَ النُّجَّارِ فَرَقَّ لَهُ ^(١) وَمَنَعَهُ خَمْسِمِائَةَ دِرْهَمٍ .
فَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ : جَمَالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي
خَمْسِمِائَةَ دِرْهَمٍ . وَآتَى بِالذَّرَاهِمِ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا
فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ، قَالُوا لِابْنِ التَّاجِرِ : انْطَلِقِ أَنْتَ فَاظْلُبْ
لَنَا بِعَقْلِكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هَذَا شَيْئًا . فَانْطَلَقَ ابْنُ التَّاجِرِ

فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى بَصَرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سُفُنِ الْبَحْرِ كَثِيرَةٍ الْمَتَاعِ
 قَدْ قَدِمَتْ إِلَى السَّاحِلِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ يُرِيدُونَ
 أَنْ يَبْتَاعُوا مِمَّا فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِ . فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةِ
 مِنَ الْمَرْكَبِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَرْجِعُوا يَوْمَنَا هَذَا
 لَا نَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئًا حَتَّى يَكْسُدَ الْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ فَيُرْخِصُوهُ
 عَلَيْنَا ، مَعَ أَنَّنَا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، وَسَيَرُخُصُّ . فَخَالَفَ الطَّرِيقَ
 وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَرْكَبِ ، فَابْتَاعَ مِنْهُمْ مَا فِيهِ بِمِائَةِ أَلْفِ
 دِينَارٍ نَسِيئَةً^(١) وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ مَتَاعَهُ إِلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى .
 فَلَمَّا سَمِعَ التُّجَّارُ ذَلِكَ خَافُوا أَنْ يَذْهَبَ ذَلِكَ الْمَتَاعُ مِنْ أَيْدِيهِمْ ،
 فَأَرْبَحُوهُ عَلَى مَا اشْتَرَاهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَأَحَالَ عَلَيْهِمْ أَصْحَابَ
 الْمَرْكَبِ بِالْبَاقِي ، وَحَمَلَ رِبْحَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ
 الْمَدِينَةِ : عَقَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَنُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا كَانَ
 الْيَوْمَ الرَّابِعُ قَالُوا لِابْنِ الْمَلِكِ : انْطَلِقِ أَنْتِ وَاكْتَسِبِ لَنَا
 بِقَضَائِكَ وَقَدْرِكَ . فَاَنْطَلَقَ ابْنُ الْمَلِكِ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ

(١) إلى أجل . (٢) أي أخذ مائة ألف درهم وأحال الخ .

لَمَدِينَةٍ بَجَلَسَ عَلَى مُتَّكَأٍ فِي بَابِ الْمَدِينَةِ ، وَاتَّفَقَ أَنَّ مَلِكَ
تِلْكَ النَّاحِيَةِ مَاتَ وَلَمْ يُخْلِفْ وَلَدًا وَلَا أَحَدًا ذَا قَرَابَةٍ .
فَمَرُّوا عَلَيْهِ بِجَنَازَةِ الْمَلِكِ وَلَمْ يُحْزِنُوهُ وَكُلُّهُمْ يَحْزَنُونَ . فَأَنْكَرُوا
حَالَهُ وَشَتَمَهُ الْبَوَّابُ ، وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا هَذَا ؟ وَمَا يُجْلِسُكَ
عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ وَلَا نَرَاكَ تَحْزِنُ لِمَوْتِ الْمَلِكِ ؟ وَطَرَدَهُ الْبَوَّابُ
عَنِ الْبَابِ فَلَمَّا ذَهَبُوا عَادَ الْغُلَامُ بِجَلَسَ مَكَانَهُ . فَلَمَّا
دَفَنُوا الْمَلِكَ وَرَجَعُوا بَصُرَ بِهِ الْبَوَّابُ فَغَضِبَ وَقَالَ لَهُ :
أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ الْجُلُوسِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؟ وَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ .
فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ اجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَنْ
يَمْلِكُونَهُ عَلَيْهِمْ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَتَطَاوَلُ يَنْظُرُ صَاحِبَهُ ، وَيَحْتَلِفُونَ
بَيْنَهُمْ . فَقَالَ لَهُمُ الْبَوَّابُ : إِنِّي رَأَيْتُ أَمْسِ غُلَامًا جَالِسًا
عَلَى الْبَابِ ، وَلَمْ أَرَهُ يَحْزِنُ لِحُزْنِنَا ، فَكَلَّمْتُهُ فَلَمْ يُجِئْنِي ،
فَطَرَدْتُهُ عَنِ الْبَابِ . فَلَمَّا عُدْتُ رَأَيْتُهُ جَالِسًا ، فَأَدْخَلْتُهُ
السُّجْنَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ عَيْنًا . فَبَعَثْتُ أَشْرَافَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
إِلَى الْغُلَامِ بِجَاءُوا بِهِ ، وَسَأَلُوهُ عَنِ حَالِهِ ، وَمَا أَقْدَمَهُ

إِلَى مَدِينَتِهِمْ . فَقَالَ : أَنَا ابْنُ مَلِكِ فَوِيرَانَ ، وَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ
وَالِدِي غَلَبَنِي أَخِي عَلَى الْمُلْكِ ، فَهَرَبْتُ مِنْ يَدِهِ حَذْرًا
عَلَى نَفْسِي حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ . فَلَمَّا ذَكَرَ الْغُلَامُ
مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ عَرَفَهُ مَنْ كَانَ يَغْشَى أَرْضَ أَبِيهِ مِنْهُمْ ،
وَأَثَنُوا عَلَى أَبِيهِ خَيْرًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَشْرَافَ اخْتَارُوا الْغُلَامَ
أَنْ يَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوا بِهِ . وَكَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ سُنَّةٌ
إِذَا مَلَكَوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا حَمَلُوهُ عَلَى فَيْلٍ أَبْيَضٍ ، وَطَافُوا بِهِ
فِي الْمَدِينَةِ فَتَرَاهُ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بَيْتِهَا .

الْكِتَابَةُ عَلَى الْبَابِ فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ : إِنَّ الْإِجْتِهَادَ وَالْجَمَالَ
وَالْعَقْلَ وَمَا أَصَابَ الرَّجُلُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِنَّمَا هُوَ
بِقَضَاءِ وَقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدْ أزدَدْتُ فِي ذَلِكَ
اعْتِبَارًا مِمَّا سَأَقُ اللَّهُ إِلَيَّ مِنَ الْكَلَامَةِ وَالْحَزَنِ .

وَأَمْرَ لِصَاحِبِ الْجَمَالِ بِمَالٍ كَثِيرٍ ثُمَّ نَفَاهُ كَيْ لَا يُفْتَنَ بِهِ .
 ثُمَّ جَمَعَ عَلَيْهِمْ أَرْضِيهِ وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا أَصْحَابِي
 فَقَدْ تَيَقَّنُوا أَنَّ الَّذِي رَزَقَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ الْخَيْرِ
 إِيْمًا هُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ ؛ وَإِيْمًا أَحَبُّ أَنْ تَعْلَمُوا ذَلِكَ
 وَتَسْتَيَقِنُوهُ ؛ فَإِنَّ الَّذِي مَنَحَنِي اللَّهُ وَهَيَّأَهُ لِي إِيْمًا كَانَ بِقَدْرِ ،
 مَا نَكُذُّ بِمَحَالٍ ، وَلَا عَقَا ، وَلَا اجْتِمَادٍ . وَمَا كُنْتُ ، لِأَحْمَدَ

طَدَدْتُ أَخِي أَنْ يُصَلِّتَهُ مَا نُعِشُّهُ مِنَ الْقُوَّةِ فَضْلًا عَنَّا أَنْ

وَصَدَّقْنَاكَ فِيمَا وَصَفْتَ . وَالَّذِي سَأَلَ اللَّهَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَلِكِ
 وَالْكَرَامَةِ كُنْتَ أَهْلًا لَهُ ، لِمَا قَسَمَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مِنَ الْعَقْلِ
 وَالرَّأْيِ . وَإِنَّ أَسْعَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ
 رَأْيًا وَعَمَلًا . وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْنَا إِذْ وَفَّقَكَ لَنَا عِنْدَ مَوْتِ
 مَلِكِنَا وَكَرَّمَنَا بِكَ . ثُمَّ قَامَ شَيْخٌ آخَرُ سَأَلَ فُحِمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
 وَأَخْبَنِي عَلَيْهِ وَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَعْبُدُكَ وَأَنَا غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ
 سَائِحًا ، رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ . فَلَمَّا بَدَأَ لِي رَفُضُ الدُّنْيَا
 فَارْتَمَيْتُ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، وَقَدْ كَانَ أَعْطَانِي مِنْ أُجْرَتِي دِينَارَيْنِ ،
 فَارْتَمَيْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا ، وَأَسْتَبْقِيَ الْآخَرَ ، فَاتَيْتُ
 السُّوقَ ، فَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الصَّيَّادِينَ زَوْجَ هُدُودٍ ،
 فَسَأَوْتُهُ فِيهِمَا فَأَبَى الصَّيَّادُ أَنْ يَبِيعَهُمَا إِلَّا بِدِينَارَيْنِ ،
 فَاجْتَهَدْتُ أَنْ يَبِيعَنِيهِمَا بِدِينَارٍ وَاحِدٍ فَأَبَى . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
 أَشْتَرِي أَحَدَهُمَا وَأَتْرِكُ الْآخَرَ . ثُمَّ فَكَّرْتُ وَقُلْتُ لِعَلَّهِمَا
 يَكُونَانِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى فَاغْفِرُ بَيْنَهُمَا ، فَادْرَكْنِي لِهَمَارِحَةٍ

فَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَابْتَعْتُهُمَا بِيَدَيْنَارَيْنِ وَأَشْفَقْتُ إِنْ أُرْسَلْتُهُمَا
 فِي أَرْضٍ عَامِرَةٍ أَنْ يُصَادَا ، وَلَا يَسْتَطِيعَا أَنْ يَطِيرَا مِمَّا لَقِيَا
 مِنَ الْجُوعِ وَالْهَزَالِ ، وَلَمْ آمَنْ عَلَيْهِمَا الْآفَاتِ . فَاَنْطَلَقْتُ
 بِهِمَا إِلَى مَكَانٍ كَثِيرِ الْمَرْعَى وَالْأَشْجَارِ بَعِيدٍ عَنِ النَّاسِ
 وَالْعُمَرَانِ ، فَأُرْسَلْتُهُمَا ؛ فَطَارَا وَوَقَعَا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ .
 فَلَبَّ صَارَا فِي أَعْلَاهَا شَكَرًا لِي ، وَسَمِعْتُ أَحَدَهُمَا يَقُولُ
 لِلْآخَرِ : لَقَدْ خَلَّصَنَا هَذَا السَّائِحُ مِنَ الْبَلَاءِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ ،
 وَاسْتَنْقَذَنَا وَنَجَّانَا مِنَ الْهَلَكَةِ . وَإِنَّا نَحْلِقَانِ أَنْ نُكَافِيَهُ
 بِفِعْلِهِ . وَإِنَّ فِي أَصْلِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ جَرَّةٌ مَمْلُوءَةٌ دِنَانِيرَ .
 أَفَلَا نَدُلُّهُ عَلَيْهَا فَيَأْخُذُهَا ؟ فَقُلْتُ لَهُمَا : كَيْفَ تَدُلَّانِي
 عَلَى كَنْزٍ لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ وَأَنْتُمَا لَمْ تُبْصِرَا الشَّبَكَةَ ؟ فَقَالَا :
 إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا نَزَلَ صَرَفَ الْعُيُونَ عَنْ مَوْضِعِ الشَّيْءِ وَغَشِيَ

الْبَصَرَ . وَإِنَّمَا صَرَفَ الْقَضَاءُ أَعْيُنَنَا عَنِ الشَّرْكِ وَلَمْ يَصْرِفْهَا

..... : (١)

مَمْلُوءَةٌ دَنَانِيرَ ، فَدَعَوْتُ لَهُمَا بِالْعَافِيَةِ ، وَقُلْتُ لَهُمَا :
 اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَّمَكُمَا مَا لَمْ تَعْلَمَا ، وَأَنْتُمَا تَطِيرَانِ فِي السَّمَاءِ ،
 وَأَخْبِرْتُمَا بِمَا تَحْتَ الْأَرْضِ . فَقَالَ لِي : أَيُّهَا الْعَاقِلُ ،
 أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَدَرَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ
 أَنْ يَنْجَاوِزَهُ . وَأَنَا أَخْبِرُ الْمَلِكَ بِذَلِكَ الَّذِي رَأَيْتُهُ : فَإِنْ أَمَرَ
 الْمَلِكُ أَتَيْتُهُ بِالْمَالِ فَأَوْدَعْتُهُ فِي خَزَائِنِهِ . فَقَالَ الْمَلِكُ
 ذَلِكَ لَكَ ، وَمَوْفَّرٌ عَلَيْكَ .

(انتهى باب ابن الملك وأصحابه)

• بَابُ الْحَمَامَةِ وَالْتَعَلْبِ وَمَالِكِ الْحَزِينِ

وَهُوَ بَابٌ مَنْ يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ . قَالَ الْمَلِكُ
 لِلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلًا
 فِي شَأْنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَرَى الرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ .
 قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَامَةِ وَالْتَعَلْبِ وَمَالِكِ
 الْحَزِينِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا مَثَلُهُنَّ ؟

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كَانَتْ تُفْرِخُ فِي رَأْسِ
 نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَاهِبَةٍ فِي السَّمَاءِ ، فَكَانَتْ الْحَمَامَةُ تَشْرَعُ فِي نَقْلِ
 الْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ النَّخْلَةِ ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَنْقُلَ مَا تَنْقُلُ
 مِنْ الْعُشِّ وَتَجْعَلَهُ تَحْتَ الْبَيْضِ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ :
 لِطُولِ النَّخْلَةِ وَسُخْقِهَا ، فَإِذَا فَرَّغَتْ مِنَ النَّقْلِ بَاضَتْ
 ثُمَّ حَضَنْتْ بَيْضَهَا ، فَإِذَا فَقَسَتْ وَأَدْرَكَ فِرَاخُهَا جَاءَهَا ثَعْلَبٌ
 قَدْ تَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهَا لَوْقَتٍ قَدْ عَلِمَهُ بِقَدْرِ مَا يَنْهَضُ فِرَاخُهَا ،
 فَيَقِفُ بِأَصْلِ النَّخْلَةِ فَيَصِيحُ بِهَا وَيَتَوَعَّدُهَا أَنْ يَرُقَى إِلَيْهَا
 فَتُلْقِي إِلَيْهِ فِرَاخُهَا . فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ أَدْرَكَ لَهَا فَرَّخَانِ
 إِذْ أَقْبَلَ مَالِكُ الْحَزِينِ فَوَقَعَ عَلَى النَّخْلَةِ . فَلَمَّا رَأَى الْحَمَامَةَ
 كَعِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةً الْهَمِّ قَالَ لَهَا مَالِكُ الْحَزِينِ : يَا حَمَامَةُ ،
 مَا لِي أَرَاكَ كَاسِفَةَ اللَّوْنِ سَيِّئَةَ الْحَالِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : يَا مَالِكُ
 الْحَزِينِ ، إِنَّ ثَعْلَبًا دَهَيْتُ بِهِ كُلَّمَا كَانَ لِي فَرَّخَانِ جَاءَنِي يَهْدِدُنِي
 وَيَصِيحُ فِي أَصْلِ النَّخْلَةِ ، فَأَفْرُقُ مِنْهُ فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرَّخِي .
 قَالَ لَهَا مَالِكُ الْحَزِينِ : إِذَا أَتَاكَ لِيَفْعَلَ مَا تَقُولِينَ فَقُولِي لَهُ :

لَا أُلْقِي إِلَيْكَ فَرْنَحِي ، فَارِقَ إِلَى وَغَرَّرَ بِنَفْسِكَ . فَإِذَا فَعَلْتَ
ذَلِكَ وَأَكَلْتَ فَرْنَحِي ، طَرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي . فَلَمَّا عَلِمَهَا
مَالِكُ الْحَزِينُ هَذِهِ الْحِيلَةَ طَارَ فَوْقَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ . فَأَقْبَلَ
الثَّعْلَبُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي عَرَفَ ، فَوَقَفَ تَحْتَهَا ، ثُمَّ صَاحَ كَمَا كَانَ
يَفْعَلُ . فَأَجَابَتْهُ الْحَمَامَةُ بِمَا عَلِمَهَا مَالِكُ الْحَزِينُ . فَقَالَ لَهَا
الثَّعْلَبُ : أَخْبِرِيَنِي مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا ؟ قَالَتْ : عَلَّمَنِي مَالِكُ
الْحَزِينُ . فَتَوَجَّهَ الثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مَالِكًا الْحَزِينُ عَلَى شَاطِئِ
النَّهْرِ ، فَوَجَدَهُ وَاقِفًا . فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ : يَا مَالِكُ الْحَزِينُ :
إِذَا أَتَيْتَكَ الرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ ؟ قَالَ : عَنْ
شِمَالِي . قَالَ : فَإِذَا أَتَيْتَكَ عَنْ شِمَالِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ ؟
قَالَ : أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي . قَالَ : فَإِذَا أَتَيْتَكَ الرِّيحُ مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ نَاحِيَةٍ فَأَيْنَ تَجْعَلُهُ ؟ قَالَ : أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحِي .
قَالَ : وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحِكَ ؟ مَا أَرَاهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ .
قَالَ : بَلَى : قَالَ : فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ ؟ فَلَعَمْرِي يَا مَعْشَرَ
الطَّيْرِ لَقَدْ فَضَلَكُمُ اللَّهُ عَلَيْنَا . إِنَّكُنَّ تَدْرِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ

مَا تَدْرِي فِي سَنَةٍ ، وَتَبْلُغْنَ مَا لَا نَبْلُغُ ، وَتُدْخِلْنَ رُءُوسَكُنَّ تَحْتَ
 أَجْنِحَتِكُنَّ مِنْ الْبَرْدِ وَالرَّيْحِ . فَهَنِيئًا لَكُنَّ فَأَرِنِي كَيْفَ
 تَصْنَعُ . فَأَدْخَلَ الطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ الثَّعْلَبُ
 مَكَانَهُ فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ هَمْزَةً دَقَّتْ عُنُقَهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا عَدُوَّ نَفْسِي ،
 تَرَى الرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ ، وَتَعْلَمُهَا الْحِيَلَةَ لِنَفْسِهَا ، وَتَعْجِزُ عَنْ ذَلِكَ
 لِنَفْسِكَ ، حَتَّى يَسْتَمَكِنَ مِنْكَ عَدُوُّكَ ، ثُمَّ أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَأَكَلَهُ .

فَلَمَّا انْتَهَى الْمَنْطِقُ لِلْمَلِكِ وَالْفَيْلَسُوفِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ
 سَكَتَ الْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، عِشْتَ
 أَلْفَ سَنَةٍ ، وَمَلَكَتِ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ ، وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
 سَبَبًا ، مَعَ وَفُورِ سُرُورِكَ وَقُوَّةِ عَيْنِ رَعِيَّتِكَ بِكَ ، وَمُسَاعَدَةِ
 الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لَكَ ، فَإِنَّهُ قَدْ كَمَلَ فِيكَ الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ ، وَزَكَ
 مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْقَوْلُ وَالنِّيَّةُ ، فَلَا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ ،
 وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقَطٌ وَلَا عَيْبٌ . وَقَدْ جَمَعْتَ النَّجْدَةَ وَاللَّيْنَ ،
 فَلَا تُوجَدُ جَبَانًا عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا ضَيْقَ الصَّدْرِ عِنْدَ مَا يَنْوُبُكَ
 مِنَ الْأَشْيَاءِ . وَقَدْ جَمَعْتَ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ شَمْلَ بَيَانِ

الأمور ، وشرحتُ لك جوابَ ما سألتني عنه منها ، فأبلغتكَ

.....

فطنتي ، التماساً لقضاءِ حقِّك وحُسنِ النيةِ منك . بإعمالِ
الفكرةِ والعقلِ . فجاء كما وصفتُ لك من النصيحةِ والموعظةِ ،
مع أنه ليس الأمرُ بالخيرِ بأسعدٍ من المُطيعِ له فيه ،
ولا الناصحُ بأولىِ بالنصيحةِ من المنصوحِ ، ولا المعلمُ للخيرِ
بأسعدٍ من متعلِّبه منه . فافهم ذلك أيها الملكُ ، ولا حولَ
ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق
في يوم الأربعاء ٢٠٠٠ من ربيع الأول سنة ١٣٥٥
(١٠ من يونيو سنة ١٩٣٦) م

مدير المطبعة الأميرية

محمد أمين بيهجت

To: www.al-mostafa.com